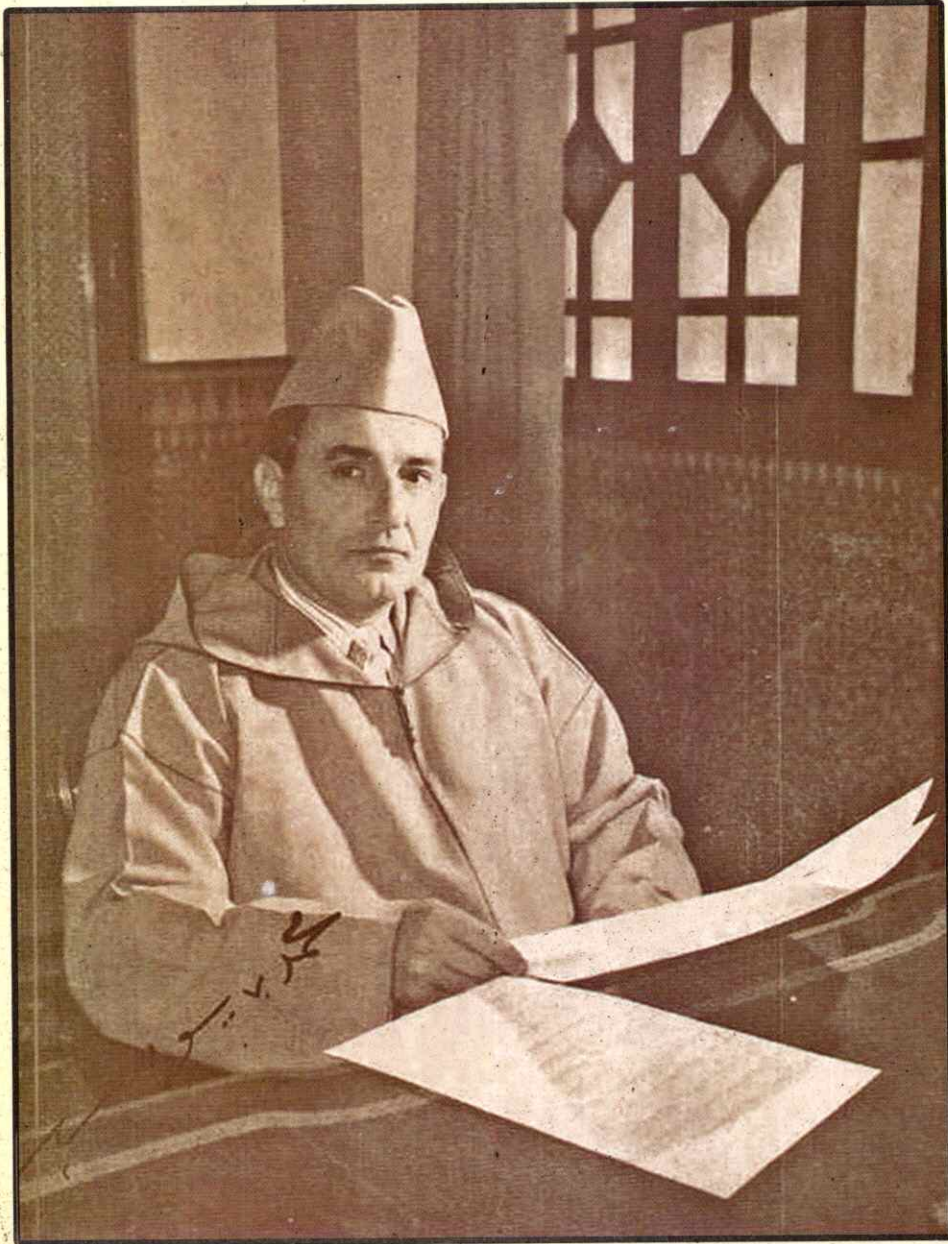


دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الشفاعة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية



عدد خاص بذكرى ثورة الملك والشعب



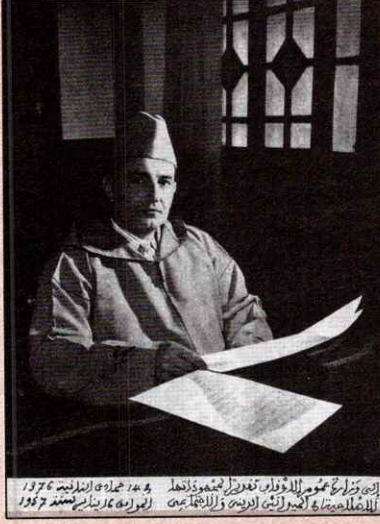
السنة الرابعة والستون - العدد 437 محرم 1443هـ / غشت 2021م

437

دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الرابعة والستون - العدد 437 محرم 1443هـ / غشت 2021م



أسسها
جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م

”... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تُعنى بصحة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تُعالج
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية. ولنا وكسيد الأمل في
أن يلتفت مولانا عمالة الفكر والثقافة والإصلاح في مسنده
البليغ وغيره لتؤدي مهمتها خير أداء.
وعسى أن تملك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق، بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الإسلامية
الملك محمد الخامس طيب الله ثراه في شهر يوليوز 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhaj.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74

فاكس : 05 37 76 17 21

هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

التوزيع

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ

الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمانة - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية

ثورة الملا والشعب ثورة متجددة انتقلت فيها المملكة المغربية من العهد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، ثورة انخرست فيها الأجيال تلو الأجيال بمجرء ما أعلنها المغفور له محمد الخامس، صيب الله ثراه، وأسس لها الحسن الثاني بالبناء والتشييد.. صرحا من المنجزات ومنارات شامخة من الأجيال والمفاخر والمبرات.

ولم يرأل صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أيده الله جهدا ليرقى بالثورة الملكية الشعبية، حتى أصبحت أسوة حسنة للشعوب وقذوة فخرى للأمم. رسالة في العجالات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية... قيمة إضافية في ترسيخ أخلاقيات المواطنة، وتكبير الأزمات وابتكار السياسات وتمتين البنيات وتحييد روح التضامن والتآزر بين مختلف الهيئات والمؤسسات والتيارات، بل بين الدول والقارات...

ثورة لا تقبى فورثها، ولا يعمد أوارها... لا يكاد منبر ولا منتدى ولا حفل يغلو من تجيلها والإعجاب بمبدعها وراعيها... ثورة كلما حلت ذكراها أعادت لذاكرة الشعب المغربي عذبات لا تنسى ومواقف لا تلبى من التضحيات والبصولات يتراءى صداها في كل خصب يلقيه جلالته بالمناسبة فيشعد الهمم، ويذكرى العزائم ويرفع سقف التحدي استشرافا لآفاق أوسع من أجل مستقبل أفضل، وحياة أكرم، وعيش أهنأ وأرغد.

وقد حاولت أقلام هذا العدد توصيف بعض من أحداث هذه الثورة العظيمة المباركة وتحليل أبعاد من تجلياتها.

سوف تبقى مدى الحياة منارا يلهم الشعب حكمة ورشاما

رئيس التحرير

د. عبد الحميد العلمي

المقاومة المغربية وأثرها في تحرير المغرب من الاستعمار

الشهيد محمد الزرقطوني نموذجاً

(1927-18 يونيو 1954م)

ذ. أباسيدي أمrani علوي
كلية الآداب - مكناس.

إذا كان علم التاريخ ذلك العلم الذي يؤرخ للأحداث والوقائع عبر الحقب والأزمنة لتعريف الخلف بما تركه السلف للاعتراف بما بذل هؤلاء من خدمات وتضحيات، مما يفرض الدعاء لهم والثناء عليهم وأخذ العبر والدروس من جهة أولى، لفهم وفقه الحاضر واستيعابه، بما يعرفه من تحديات جسام على جميع الأصعدة، ومن جهة ثانية، التفكير والتخطيط للمستقبل، وتتهيء الجو السليم للأجيال القادمة، ليكونوا في مستوى المسؤولية وحمل الراية راية الأمن والوحدة والاستقرار على المستوى المحلي والوطني والدولي.

وبالرجوع إلى تاريخ هذا الوطن العزيز المغرب الحبيب أقول بأنه عرف أحداثاً كثيرة. ومحطات تاريخية لم ولن ينساها كل مغربي أصيل، اعتبرت في بعضها أعياداً وطنية يخلدها الشعب المغربي بكل فخر واعتزاز جيلاً عن جيل، من طنجة إلى لكومية، دون أن ننسى دور رسالة الإسلام وأثرها العميق في البناء للإنسان وتوعيته في هذا البلد، منذ اعتناقه له سنة 62هـ، لما يتميز به من مبادئ وتعاليم ربانية سامية فريدة، صنعت رجالاً عظماء وأقوياء، أسهموا في نشر الخير في الأمة والمعمور، وإشاعة ثقافة الكرامة والحرية والمساواة والشورى، وهو ما يعبر عنه بأخلاق النبوة، من حياء وإيحاء ومحبة وصدق وحفظ للأمانة. ونبذ للكراهية والتعدي والظلم بكل أشكاله ومن أي جهة صدر...

وإذا كانت المناسبة شرطاً كما يقول الفقهاء، فإن المغرب الحبيب مقبل على تخليد ذكريات غالية، على رأسها ذكرى عيد العرش المجيد، وذكرى ثورة الملك والشعب، ويأتي هذا البحث تقديراً منا لجسامة الحدثين وعظمتها ومكانتهما في قلوب المغاربة قاطبة، وفي هذا السياق تتبادر إلى الذهن التساؤلات الآتية:

لماذا يحتفل المغاربة بمجموعة من الأعياد والذكريات الوطنية منها:

- تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير منذ سنة 1944م،

- يوم المقاوم وهو يوم 18 يونيو 1954م

- عيد العرش المجيد يوم 30 يوليوز.

- ذكرى ثورة الملك والشعب سنة 1953م ويوم 18 نونبر 1956م الذي يصادف عيد

الاستقلال، وعيد الشباب يوم 20 غشت سنة 1963م وذكرى المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء يوم

6 نونبر 1975م؟

وما المقصود بالمقاومة وما الفرق بينها وبين الجهاد؟

ومتى بدأت هذه المقاومة وكيف تطورت؟ وهل سلك المغاربة مسلكاً قبل المقاومة والجهاد؟

وكيف اقتنع المغاربة بها؟ وما هي مرجعيتهم وسندهم في ذلك؟

ثم ما هي الظروف أو الملابسات التي كانت وراء ظهور رجال استرخصوا دماءهم وأرواحهم

وأموالهم في سبيل الدين والوطن مثل الشهيد محمد الزرقطوني البطل الشاب رحمه الله؟

وإذا كان المغرب ولا زال - والله الحمد - تحت قيادة الدولة العلوية الشريفة، فما السر في وجود

عقد رباني وثيق ومتين بين القيادة والشعب جيلاً عن جيل يجني الخلف عن السلف ثماره الطيبة؟

وكيف أسهمت الأحداث في تكوين وإنجاب رجال عظماء همهم هو الدين والوطن

والعرش؟

وأخيراً وليس آخراً ما هي المواقف الشجاعة أو البصمات البيضاء التي تركها الملكان العظيمان

المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه والحسن الثاني نور الله ضريحه، إن على المستوى الوطني أو

الدولي، تمهيداً وإرساء لقيادة الملك الهمام جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، منذ أن اعتلى

العرش خلفاً لوالده سنة 1999م، والسائر على طريقة ونهج خلفه وماضيه التليد الأصيل والمشرق،

لما تميز به سلفه من الحكمة والحنكة السياسية وبعد النظر، في مواجهة الأحداث على المستوى

الداخلي أو الخارجي، والسهر والحرص على حماية الملة والدين، وتحقيق سعادة وأمن وكرامة شعبه

الوفاي؟

إلى غير ذلك من التساؤلات التي يحتاج كل واحد منها أن يكون موضوع ندوة وطنية أو دولية.

وللتيسير على القارئ الكريم يأتي موضوع هذا المقال مكوناً من ثلاثة مباحث فضلاً عن مقدمة وخاتمة.

أما المقدمة فقد خصصتها للتعريف ببعض المصطلحات التي أعتبرها مفاتيح، مهمة وأساسية للموضوع نحو مصطلح الحماية والاستعمار والمقاومة والجهاد، وبعد ذلك أذكر بوضع المغرب في بعض المحطات التاريخية منذ 1912م إلى يومنا هذا.

وأما المبحث الأول: فسأفرده للحديث عن التكوين الديني أو الشرعي والثقافة المغربية المتكاملة بصفة عامة في بناء الرجال العظام ومنهم رجال المقاومة.

المبحث الثاني: سيكون محور الحديث عن الشهيد محمد الزرقطوني رحمه الله: سيرة وتاريخاً ونموذجاً في الكفاح والنضال والجهاد.

أما المبحث الثالث والأخير: فسأضمنه الكلام عن المدرسة الحسنية نسبة إلى الملك الحسن الثاني رحمه الله، ومواقفه الشجاعة النبيلة الوطنية والدولية، وإسهاماتها في تكوين شخصية الملك محمد السادس حفظه الله، وكل من يدرس تاريخ هذا الوطن العزيز بعمق وبصيرة.

وأما الخاتمة فستخصص للحديث عن أهم النتائج والدروس والعبر، التي ينبغي أن يستخرجها كل مغربي وطني صادق غيور على بلده ووطنه وملكه ولغته وأرضه.. والله المستعان.

مقدمة:

لقد عاش بلدنا العزيز المغرب كغيره من بعض البلدان والدول العربية والإسلامية ظروفًا، أدت إلى دخول الأجنبي كإسبانيا في الشمال وفرنسا في الجهات الأخرى ففرضت عليه الحماية سنة 1912م، يقول وليام هويسنطن في كتاب: "الحماية الفرنسية بين الأوج والأفول" عندما تكلم عن بنودها: (وكان من مهام نويس- مقيم عام فرنسي- أيضا وقاية المغرب من مضاعفات الأمة الاقتصادية العالمية، وصيانته من قلاقل الحرب الأهلية الإسبانية، والحرب العالمية الثانية. وفي كلتا الحربين، مس بالنفوذ الفرنسي، وأسباب تطبيق ما كان متعاقدًا عليه مع السلطان، ذلك بأن معاهدة 1912م قضت بدخول فرنسا إلى المغرب "لإقامة حكومة معتمدة على النظام الداخلي وعلى الأمن" وتيسير سبل الإصلاح وضمان "النمو الاقتصادي للبلاد"، وقد تأتي لفرنسا بفضل "النظام الجديد" أن تحتل البلاد، وأن تتحكم في شؤونها باسم السلطان، وعلى يد المقيم العام الفرنسي، فهو المؤتمن على سلطات الجمهورية كلها في المغرب، وتعهدت فرنسا في مقابل ذلك بصيانة "المقام الديني للسلطان وما له في التقاليد المغربية من الحرمة والجاه" وبمؤازرته "ضد كل خطر يمس بذاته الشريفة، أو بكرسي العرش أو ينشأ عنه اضطراب المملكة" وأيضًا بمساندة حكومته المركزية، وهي المخزن، والسهر على ممارسة العقيدة الإسلامية في مجموع الإمبراطورية)¹.

وقد حاول المحتل الفرنسي توطيد دعائمه بكل الطرق لتحقيق أهدافه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

على المستوى السياسي اجتهد المحتل كي يبقى المغرب تابعًا لفرنسا، ليصبح جزءًا منها مستغلا ظروفه التي عانى منها،...

أما على المستوى الفكري فقد اجتهد المستعمر في فرنسة المجتمع، وذلك بغرس اللغة الفرنسية ومحو وإبعاد اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، قال تعالى: (إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا) وأن المتكفل بهذا الدين كله هو رب العزة والجلال، مصداقًا لقوله سبحانه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، والشريعة نفسها تفرض وتحث على تعلم هذه اللغة المباركة، والانفتاح على حضارات ولغات أخرى، قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن

1 - الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نويس 1936-1943م، تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ص16.

أكرمكم عند الله أتقاكم²، مما يدل على أن هذا الدين دين الانفتاح، والتعامل مع الآخر دون تزمّت أو انغلاق أو انكماش، كما يتهمه أهل الشبه والانحراف الفكري من التيارات المناوئة عبر التاريخ، وصدق الله العظيم القائل: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)³.

إن البقاء للأصلح والتمكين للحق وأهله ما دامت السماوات والأرض. قال تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)⁴.

إن أهداف المحتل لا تقتصر على ما سبقت الإشارة إليه وإنما يتعداها إلى التبشير بالمسيحية وغرسها في عقول المغاربة بكل الوسائل مستغلين الأطفال والعوام، قال وليام هويسنطن الفرنسي عندما تكلم عن هذا المخطط المقيت: (إن صلة فرنسا بالمغرب واستعمار الأوروبيين لأراضيها هما المحوران اللذان تدور عليهما قضايا الاستعمار، فهما الجانبان الجوهريان في نظر ليوطي من أعمال الفرنسيين فيما وراء البحار. وإنه أضفى على المشروع الاستعماري صبغة الواجب التبشيري بعد أن تفتن إلى عجز الكثير عن إدراك ما في القيام بذلك من خلاص ليس للمبشر "بالشدة على الشين وفتحها" فحسب ولكن أيضا للمبشر بها "بشين مشددة مكسورة". والفرنسيون في نظره في حاجة إلى عطور.. والواقع أن اليوطي كان على يقين حاد بمصير فرنسا إلى "تمام الانحطاط" ما لم تدخل ميدان الاستعمار بإقدام. وقال وهو يمعن النظر في أحوال وطنه من الخارج سنة 1897م بأنه في حالة "غير صحية" وأنه "ميت للطموح القوي وللثقة" مما كان من الانتقادات العادية على السنة كل المشمئزين من الاطمئنان المقيت لبورجوازية الجمهورية الثالثة على نفسها)⁵.

أما على المستوى الاقتصادي فتتجلى أهدافه في استنزاف خيرات المغرب التي ينعم بها كما ينعم بموقعه الاستراتيجي والفريد وخيراته الفلاحية والمعدنية...

وبالنسبة للجانب الاجتماعي تحكي كتب التاريخ بأن المحتل فرض ما يسمى بالظهير البربري سنة 1930م، ليفرق بين العرب والأمازيغ، فأوقد نار المقاومة، وخاصة عندما ركز على الأسرة

2 - سورة الحجرات، الآية 13.

3 - سورة الرعد، الآية 19.

4 - سورة الأنبياء، الآية 104.

5 - الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول تحت قيادة الجنرال نويس 1936-1943م، تعريب إبراهيم بوطالب، ص 149-150.

باعتبارها النواة لتكوين المجتمع، والتي بصلاحيها يصلح وبفسادها يفسد، لذلك سهر إلى جانب العملاء والمنافقين ليفرغها من محتواها وماضيها التليد، وتشبثها بتعاليم الإسلام الحنيف، إسلام الوسطية والاعتدال، والتخلق بأخلاق النبوة، وقد ركز على المرأة التي هي نصف الرجل، لتخرج متبرجة وفي سفور مكشوف، تحت غطاء ثقافة الحرية المسمومة والملغومة، ورفع راية تحريرها من سلطة الرجل، مع العلم أنها شطر المجتمع، والساهرة- إلى جانب الرجل أو الزوج- على تحقيق أسرة مثالية إسلامية لتؤدي رسالتها على الوجه المطلوب، بما يحافظ على أنوثتها وكرامتها وتكوينها البيولوجي، للحفاظ على الجنس البشري، وتحقيق الرغبة الطبيعية بين الجنسين بطريق نظيف، وإعطاء نسل صالح يتحمل المسؤولية ويقدرها حق قدرها، ويسير بالبلد إلى الأمام، ويحقق الرفاهية والسعادة، ويحسن التصرف والتعامل مع أصحاب الحضارات الأخرى⁶، تماشياً وانسجاماً مع مضمون قوله عز وجل: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)⁷.

لقد حاول المستعمر بكل وسائل المكر إفراغ الأسرة المغربية المسلمة من محتواها المضيء النير فأنشأ ما سمي بالمحاكم العرفية، ووضع في الواجهة العملاء والمنافقين للتعامل مع المواطنين، لكن التخطيط الجهنمي كان من الفرنسيين في الداخل بين الجدران، حتى لا يراه الناس، ورغم ذلك لم ولن يفلح، وهذا ما وجد معارضة قوية من خلال عمل رجال المقاومة الأبرار كما سيتضح لاحقاً بحول الله.

ولذلك يعتبر موضوع الأسرة من أكبر الموضوعات في الفقه الإسلامي، بالنظر إلى أثره ومكانته ورسالته، كما حكى ذلك الدكتور محمد ابن معجوز المزغراني رحمه الله، وهو من علماء القرويين بفاس العالمة، وكان أستاذاً مشهوراً بكلية الحقوق بنفس المدينة، في كتابه الموسوم بـ: "أحكام الأسرة في الشريعة الإسلامية وفق مدونة الأحوال الشخصية"، وقبله المرحوم الأستاذ علال الفاسي (ت1973م) صاحب كتاب التقريب، وكتاب مقاصد الشريعة ومكارمها، وهو العالم الكبير والسياسي المحنك، الذي أسهم بجهادته وتضحياته وفكره الأصيل في تكوين الرجال، وكم كان يشيد به الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله تعالى.

6 - للتوسع أكثر في هذا الموضوع الهام، يرجع إلى مجموعة من المصادر والمراجع منها: التلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب البغدادي ت422هـ رحمه الله، بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ت520هـ، الفصل في أحكام المرأة للدكتور عبد الكريم زيدان، وتحرير المرأة في عصر الرسالة للمرحوم عبد الحليم أبو شقة،..
7 - سورة الحجرات، الآية 13.

وفي هذا السياق تتبادر إلى الذهن التساؤلات الآتية:

هل أفلح الاستعمار في تمرير مخططه الجهنمي على المستوى السياسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي، بعد فرض الحماية عليه، وخاصة في مجال الأسرة وغيرها؟

هل بقي الشعب المغربي مكتوف الأيدي ومستسلماً، وخاصة عندما مدت يد المحتل الخبيثة إلى نفي رمز الأمة محمد الخامس وأسرته الملكية إلى جزيرة مدغشقر؟

المبحث الأول: المرجعية الدينية وأثرها في بناء وتكوين الرجال الوطنيين الصادقين.

مما لا شك فيه أن التربية الدينية التي تعتبر رافداً ورافعة أساسية وقوية عند كل المغاربة أسهمت وبما لا يدع مجالاً للشك في تكوين رجال تخرجوا من جامعة القرويين بفاس، فضلاً عن التشبع بخليط من الثقافات وفقه الواقع، درسوا وتلقوا مبادئ وتعاليم الإسلام الحنيف، ومن تلك المبادئ السامية الرفيعة الذهبية الخالدة مبدأ الحرية والشورى والديمقراطية الحققة وعدم اليأس، ونبذ الظلم والقهر والاستبداد بكل أشكاله ومن أي جهة كانت، لذلك لا ينبغي أن يستغل ضعف البلدان لسبب من الأسباب السياسية أو الاقتصادية، أو الاجتماعية فيعتبر مسلكاً لاستغلالها واستنزاف خيراتها، بل المطلوب في الميزان الشرعي الإسلامي وحقوق الإنسان الأصيل في هذا الدين الحنيف، ودون مزايده من أحد مهما كانت ثقافته، مساعدتها والأخذ بيدها، ومناصرتها في الحق وليس قهرها واستعبادها، وقد صدق عمر الفاروق عندما قال قولته المشهورة التي تعتبر قاعدة ذهبية: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"

أضف إلى ذلك أن المغربي الأصيل يعتبر مصدر خير أينما حل وارتحل داخل أو خارج الوطن لكنه لم ولن يتنازل عن ثلاثة أشياء تعتبر في نظره خطأ أحمر كيف ما كان الحال أو الثمن وهما: (الدين أو العقيدة، والعرض، والوطن).

إنها مقدسات يعيش عليها ويموت من أجلها، الإنسان المغربي الحق، لم ولن يقبل مساومة في دينه وعقيدته منذ أن فتح هذا البلد العزيز سنة 62هـ، وهو على دين الوسطية والاعتدال والتسامح وحسن المعاملة وحب الخير للآخر، واحترام أفكاره وخصوصياته، ولنا أمثلة كثيرة قديماً وحديثاً.

كما لا يقبل أن يمس في عرضه وشرفه النقي الطاهر، لن يقبل أحد منا أن يظلم في نفسه أو أمه أو زوجته أو أحد أقاربه، فإنه يواجه عدوه المتعدي عليه بكل ما أوتي من قوة.

أما وطنه وملكه فهو نفس الإحساس السابق وزيادة، فقد يما قال الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله: "لن نسمح في شبر من أرضنا"، أرضنا ووطننا الذي ولدنا فيه وخرجنا من رحمه الطاهر، وتربينا في أحضانه، على المبادئ الربانية الطيبة والأصيلة، ينبغي أن نرد إليه الجميل بحراسته والوقوف في وجه كل من تسول له نفسه فردا أو جماعة أو دولة أو حزبا... أن يمسه بسوء، وهذا من المقاصد النبيلة التي نريد تحقيقها من هذا البحث، ليعرف أبنائنا وفلذة أكبادنا ما قدمه السلف للخلف من خدمات جليلة، لم ولن ينساها التاريخ أبدا، حتى تكون لنا نفس الغيرة والإحساس، وهذا مطلوب شرعا وقانونا، "فاعتبروا يا أولي الأبصار".

وللحق والإنصاف والله الحمد والمنة، فقد سجل التاريخ أن هذه المبادئ النبيلة وجدت طريقها إلى قلوب رجال المقاومة وأعضاء جيش التحرير، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، لكي ننعم نحن اليوم بالأمن والأمان والحرية والاستقلال، والعيش الكريم تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة سيدي محمد السادس أمد الله في عمره، ليحرر ما تبقى بيد الاستعمار، المدينتين السليبتين سبتة ومليلية إن شاء الله.

المبحث الثاني: الشهيد محمد الزرقطوني نموذج الجهاد والكفاح والوطنية الصادقة.

المطلب الأول: الولادة والنشأة:

يعتبر محمد الزرقطوني (من مواليد الدار البيضاء)، نموذجا في الكفاح والنضال والوطنية الصادقة، لكن ماهي العوامل التي هيأت له ليكون ذلك البطل الشاب؟

مما لا شك فيه أن الأسرة والبيئة والرفقة الطيبة لها دور كبير في البناء وتكوين الرجال، تحكي الكتب التاريخية الوطنية أن هذا الشاب انحدر من أسرة محافظة محبة للقرآن وأهله، وهذا ما عرف عن أبيه محمد الزرقطوني، يحكى أنه كان مقاولا، وعمت الفرحة الأسرة وقت ولادة البطل رحمه الله وهو الابن الأكبر، كان ينادى على الأب الكبير، والشهيد الأب الصغير، دخل الكتاب القرآني بحي السوينية عند فقيه اسمه سي علي رحمه الله، كان والده مقدما بالزاوية الحمدوشية بالمدينة القديمة، وكان أمل الأب أن يصبح ابنه فقيها متعلما يلج أعلى معاهد العلم والمعرفة⁸، وهذا ديدن وهدف كل

8 - الشهيد محمد الزرقطوني سيرة حياة رمز المقاومة المغربية، لحسن العبيسي، منشورات مؤسسة محمد الزرقطوني للثقافة والأبحاث، الطبعة الأولى، 2000م، ص 10-11.

أب مسلم في كل زمان ومكان، تربي على هذا النهج القويم متشبعاً بالثقافة النيرة التي يتلقاها عن أهل الفضل من الفقهاء والعلماء والسياسيين، متتبعاً أحداث وطنه تحت وطأة الاستعمار، فهياًه الله لأداء رسالة الشهداء، وهو في عنفوان شبابه، حتى أصبحت مواقفه يضرب بها المثل على المستوى الوطني والدولي، كما سنرى، ويكفيه شرفاً أن المغفور له محمد الخامس عندما رجع من المنفى وقف على قبره بخطابه التاريخي، فأصدر أمره المطاع بجعل يوم وفاته 18 يونيو 1954م يوماً وطنياً أطلق عليه: "يوم المقاوم"، الذي يكتب بهاء الذهب، إلى جانب بعض الأيام الأخرى، وهذا ما سنوضحه فيما يأتي.

المطلب الثاني: محمد الزرقطوني قائد المقاومة المسلحة.

تطلق المقاومة على الحراك أو السياسات التي تدعو إلى منع وردّ الاحتلال أو الاستعمار، بكل الوسائل المسموح بها شرعاً وقانوناً، وطيناً ودولياً، كالمقاومة الفلسطينية لتحرير الأرض وإجلاء الاحتلال.

فإن المقاومة المغربية مرت بمراحل متنوعة ومختلفة، عندما تأكد باللموس الهدف المؤلم للمحتل، لذلك خطط رجال المقاومة وأعضاء جيش التحرير لمواجهته بكل الوسائل الممكنة بدءاً بالحوار، والتذكير بأن الوطن لأهله وسيبقى لأهله، مرت هذه المقاومة وفق المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: من سنة 1912م إلى 1933م التي تمثل مرحلة الطفولة للشهيد محمد الزرقطوني، حيث كانت مقاومة مسلحة غير منظمة من طرف القبائل والزوايا والعلماء، لا تنضوي تحت قائد واحد، لشعور الجميع بضرر الاستعمار ووجوب نبذه وإبعاده لتطهير الأرض منه. أرض المغرب الحبيب، أرض الخير والنماء والتعايش بضوابط قوية وصارمة.

المرحلة الثانية: كانت مقاومة سياسية، وهي الفترة التي قبل فيها رجال المقاومة الشهداء مثل الأستاذ علال الفاسي وغيره ببنود المعاهدة أي معاهدة الحماية وذلك بتطبيق بنودها حرفياً، الشيء الذي رفضته فرنسا، بغية تحقيق أهدافها الخاصة الشيء الذي أوقد النار أكثر، وأسهم في بروز رجال أقوياء ووطنيين صادقين مثل الشهيد محمد الزرقطوني، رحمه الله، الذي ربه الأحداث وصاغت منه رجل المرحلة بامتياز، وهذا ما سيلمس في المرحلة الآتية.

المرحلة الثالثة: التي تمثل سنة 1944م، وهي المرحلة الذهبية التي تذكر بتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال بعد توقيعها يوم 11 يناير من طرف رجال وحمد الله كلمتهم على الحق لتحقيق هدف

واحد ووحيد، وهو إجلاء المحتل وإرجاع رمز الوحدة والاستقلال المغفور له محمد الخامس، من المنفى إلى أرض الوطن بعدما أصدرت الأمم المتحدة قرارها التاريخي وهو حق الشعوب في تقرير مصيرها، هذا بالإضافة إلى التحام القيادة والشعب من سنة 1944م إلى سنة 1956م، سنة الفرج والله الحمد لأن "مع العسر يسراً"، وهي الفترة التي تشعب فيها الشهيد محمد الزرقطوني بأفكار أساتذته وعلمائه إلى جانب رفاقه في الكفاح، فتحرك الجميع بعلم وتنسيق وتخطيط شكل جبهة التحرير الوطني، فحقق الله المراد على يدها، فكيف لا نحيي ذكراهم، ونحن مدينون لهم ما حيننا.

المطلب الثالث: محمد الزرقطوني وحفظ الأمانة.

لقد تشعب الشهيد محمد الزرقطوني بتعاليم دينه الحنيف، علمته وربته أن يكون أميناً في القول والفعل، وصدق الصادق الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)⁹، وقال عليه الصلاة والسلام: (اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)¹⁰..

لقد تجسدت هذه الأخلاق النبيلة في الشهيد محمد الزرقطوني، بدليل أنه كان شديد الحرص رحمه الله على سلامة رفاقه وأصدقائه في الكفاح، للميثاق الرباني الذي يجمعهم لتحقيق الهدف المنشود، ولا يخرقه عنده أي هدف مادي زائل، أو مصلحة شخصية، وهو يقينه وإيمانه القوي بأن النصر آت لا محالة، وذلك من خلال الأخذ بالأسباب المشروعة، ولذلك عندما أُلقي عليه القبض من طرف رجال الأمن الفرنسيين، وأدخل سيارتهم في الطريق تناول حبة سم واستشهد، حتى لا يكره فيفشي السر الذي بينه وبين أصحابه، حفاظاً على أرواحهم ليستمروا في المقاومة والجهاد¹¹، وهذا موقف بطولي فريد، وبهذا يكون رحمه الله سجل اسمه من ذهب في لائحة الشهداء، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)¹².

9 - صحيح الجامع الصغير، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، 2/120.

10 - نفسه، 1/234.

11 - الشهيد محمد الزرقطوني، ص: 7-8.

12 - سورة آل عمران، الآية 169.

لو لم يكن لهذا البطل غير هذا الموقف لكفاه، مما يدل دلالة قطعية أنه صاحب مبادئ سامية تمشي على الأرض، ويبقى عنوان مرحلة بكاملها، "أدرك بوعي مسؤولياته كفرد من أفراد المجتمع المغربي، إزاء تلك المرحلة وعمل على ترجمة مواقفه بجرأة وشجاعة، لا تتوفر لغير المؤمنين بقضاياهم وعدالتها أشد الإيمان"¹³.

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج الدروس والعبر الآتية:

- الظلم عبر التاريخ لا يقبله دين سماوي ولا قانون وضعي، ومآل الظالم بالقول أو بالفعل الدمار.
- النفس البشرية موصوفة بالظلم إلا إذا وجدت مقاومة.
- الدخيل لا بد يوماً ما أن يرحل ذليلاً حقيراً.
- سنة الله في الأرض أن كل استعمار أو استبداد أو قهر... عبر التاريخ مآله الحرية والاستقلال.
- ضرورة الاستعداد لرد كل عدوان كيف ما كان نوعه أو جنسه أو مصدره، قال عز وجل: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).
- المرجعية الدينية الإسلامية والثقافية المغربية أنجبت رجالاً عظماء وأقوياء، منهم من قضى نحبه رحمه الله، ومنهم من ينتظر.
- الميثاق الغليظ الذي جمع بين القيادة والشعب - قيادة الدولة العلوية والشعب المغربي الأبى عبر التاريخ - يعتبر من أكبر عوامل النصر والتمكين وإحلال الأمن والسلام.
- من أسباب النصر الاعتصام بالله وبأحكامه الشرعية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- يد الله مع الجماعة كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13 - الشهيد محمد الزرقطوني، ص 7-8.

- إذا كان الشهيد محمد الزرقطوني وما تميز به من أخلاق سامية من الشباب الغيور على مقدساته إلى درجة أن جعل حداً لحياته حفاظاً على سلامة إخوانه المجاهدين، كيف هو حال شبابنا الآن؟

- لا بد من تذكير الخلف من أبنائنا وفلذات أكبادنا بما قدمه السلف من خدمات جليلة، لفهم الواقع والتخطيط للمستقبل، فإن الأمة التي لا تعرف ماضيها ولا تفقه حاضرها ولا تخطط لمستقبلها تعتبر أمة ميتة¹⁴.

كل مغربي أصيل يعتبر مصدر خير أينما حل وارتحل، ولم ولن يقبل الذل والهوان والمساومة في دينه وعقيدته وعرضه ووطنه، الذي يعتبر أمانة في عنق حامي حمى الملة والدين والساھر على أمن وسلامة المواطنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، نجل المدرسة الحسنية العميقة التاريخية (نسبة إلى المغفور له الحسن الثاني رحمه الله). والحمد لله رب العالمين.

14 - انظر: ما كتبه الدكتور عبد الكريم الفيلاي رحمه الله في كتابه القيم: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

العمق التاريخي للمغرب المتجدد قراءة في مسارات الدولة المغربية

ذ سمير بوزوينة

عميد كلية الآداب سايس - المغرب.

تروم هذه الدراسة إلى البحث في تاريخ الدولة المغربية، وإعادة رسم عمقها التاريخي، والإلمام بنقط تفردها، ورسم هيكلتها ووصف ممارساتها، وهو تصور طموح وبسيط في الآن ذاته. طموح لكونه يسائل فترة زمنية طويلة من تاريخ الدولة المغربية، وبسيط لأنه يقتصر فقط على إثارة سؤال المغرب المتجدد.

لاستيعاب هذه الأبعاد، يجب جعل استكشاف التقاليد السياسية للمغرب التاريخي، هدفاً يقيس ويُعير ثقل التاريخ على الهياكل السياسية المعاصرة.

فالدولة المغربية تتمتع بكثافة تاريخية ضاربة في جذور وعمق التاريخ، وباعتبار أنها لم تعرف قط الانحلال والزوال التام، وحتى بعد استعمارها، لذلك فإن هذه السمة جعلت الدولة المغربية من أقدم الدول الموجودة في العصر الحاضر، ومنحها هذا التجذر قوة أبعدها عن الكثير من المعاناة التي عاشتها دول أخرى كانت من صنع قوى أجنبية، ولم تعبأ بالمعطى التاريخي في تأسيسها، ومما جعل هذه الدول مهددة باستمرار بالتفتت والزوال¹.

إن طبيعة الدولة المغربية تتطلب تعميق البحث في إشكالات الانتقال من أشكال الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، والتركيز بالأساس على إبراز ذاك النسق الذي لم يتوقف من الاشتغال في تلحيم واستمرارية تماسك المجتمع والدولة. وهذا بطبيعة الحال، يفضح زيف أطروحة هشاشة الدولة السلطانية². فإلى أي حد بإمكاننا أن نؤمن في الآن نفسه بمقولة هشاشة الدولة السلطانية

1 - برهون إدريس، إشكالية دولة الحق والقانون في المغرب، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، 2002م. ص. 64.

2 - الهرماسي محمد عبد الباقي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1992م. ص. 19.

وعجزها في ممانعة المد الاستعماري، ودولة لم تفرض نفسها على المستعمر فقط وإنما جعلته يحافظ عليها ويستخدمها كمصدر للشرعية؟

لقد وجدت الدولة السلطانية نفسها أمام تحدي غير مسبوق، واجهت به الإمبريالية الأوروبية الحديثة. إذ وجد مغرب القرن التاسع عشر نفسه في قلب المتغيرات الدولية، وكان عليه أن يحافظ في الآن ذاته على سيادته ومركزه الدولي.

فكيف تمكن المغرب أن يفرض على القوى الأوروبية المنافسة حوله على تبني حل وإستراتيجية إضعاف الدولة السلطانية بدل زوالها. فإذا كان المغرب قد عجز عن الصمود في وجه التحدي الأوروبي، مثلما صمد قبل بضعة قرون، فمرد ذلك إلى مجموعة من العوامل المرتبطة بتطور المناخ العالمي وحنكة الدولة السلطانية في معالجة التسابق الإمبريالي حول المغرب.³

تقدم القراءة السياسية للدولة السلطانية أن هذه الدولة واجهت هول الظاهرة الإمبريالية بالقيام بإصلاحات موافقة لمنطقها هي، كما أن المخزن في ذلك الوقت رأى في تلك الإصلاحات تعزيزا للإجراءات السياسية والعسكرية. وكان يعتقد أن تماسك المجتمع يتم من الأعلى، وكان تصويره للظاهرة الإمبريالية يتم من طرف فئات عديمة التأثير، وهو ما لم يمكن متخذي القرار من التفكير في الإصلاحات وفق الطبيعة الحقيقية للرهانات.⁴ وبذلك لا تشكل هيكل الدولة السلطانية في القرن التاسع عشر أية قطيعة مع هيكل الدولة السلطانية في القرون الوسطى.

إذا كان عبد الله العروي وهو يبرر تبنيه لمفهوم الدولة السلطانية بقوله: "تبقى عبارة دولة سلطانية وهي التي اخترناها لأنها الأقرب إلى الواقع والأقل التباسا". إن هذا المفهوم سبق وأن استعمله المؤلفون الغربيون، أمثال ماكس فيبر خاصة، لكن من وجهة نظرهم الخاصة... وفي غياب مصطلح أدق الأقرب إلى الواقع. هو أن نسمي النظام السياسي الذي عاش تحت ظله المسلمون في جل تاريخهم بدولة السلطنة⁵.

3 - ابن المليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار - البنيات السياسية - ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، 2014م. ص. 63.

4 - نفسه، ص. 134.

5 - العروي عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1988م. ص. 120.

فإنه يعتبر أن دولة السلطنة محكومة بشرطيتها التاريخية، وأنها تراجعت لتحل محلها دولة الحماية أو دولة التنظيمات. ومعنى ذلك أنه قرأ هذه الدولة قراءة من زاوية "داء العطب قديم"، ويجسد ذلك السلطان المولى عبد الحفيظ بقوله: "والقصد من ذلك هو البحث عن الأسباب التي كانت سببا لاضمحلال المغرب ومتى كانت، بعد أن يعلم القارئ أن الغرض من هذا التقييد ليس هو تتبع سيرة الأجداد وما فعلوا من المصالح الدنيوية والأخروية، لأن ذلك مثبت في محله في عدة تواريخ، وإنما المقصود هو التنبيه على ما طرأ عليهم من الحوادث التي صدمتهم عن تتبع أوائلهم في السهر عن السياسة الخارجية حتى قبلوا شروط الدول الأجنبية. وها أنا بحول الله، آتي عقب كل ملك بشروطه التي التزم الوفاء بها حتى يعلم كل منصف ما تكابده الملوك من المشاق والمصائب بسبب جهل الرعية وعدم الانقياد، وليس هذا في زمن أواخرنا بل داء العطب قديم".⁶

لم يقف عبد الله بن المليح عند هذا المستوى بل يركز على مسلمة جوهرية تتلخص في هشاشة البنيان السياسي للدولة السلطانية منذ مراحل تكوينها. وقد حاول رصد عوامل هذه الهشاشة السياسية من خلال انتقال الحكم بين الأسر الحاكمة والتي تعاقبت على حكم المغرب. وخلص إلى أن كل هذه الأسر عانت من هذه الهشاشة. ولم تتمكن رغم كل الجهود السياسية التي بذلتها، من أجل إيجاد حل لهذه الإعاقة. ويستخلص أن فشل المحاولات الإصلاحية التي تبنتها هذه الدولة خلال القرن التاسع عشر، قد تتمثل في المصير المحتوم الذي انتهت إليه الدولة السلطانية، بحيث أرغمت على التنازل عن سيادتها لكل من فرنسا وإسبانيا.⁷

وإذا كان عبد الله بن المليح يرى أن هشاشة مؤسسات السلطان، وتفككها قبيل وضعها تحت الحماية يمنحان التفوق للسلطة الاستعمارية.⁸ فكيف إذن، نجحت الدولة السلطانية في التكيف مع مقتضيات مرحلة الانتقال من حماية المجتمع إلى حماية الدولة نفسها؟ وإلى أي حد يمكن نعت دولة الحماية بالدولة التراصفية (L'Etat Sédimental)؟ وهل لعبت الهيكلة الجديدة لهذه الدولة دور هدم الدولة السلطانية أم أن الترصيف الذي تم بين الدولتين مكن المغرب من توطيد أركان الدولة في كل مكان؟

6 - المولى عبد الحفيظ، داء العطب قديم لسلطان المغرب الأسبق المولى عبد الحفيظ، ضبطه وحققه، محمد الرازي كنون الإدريسي الحسني. ص. 3.

7 - شقير محمد، تطور الدولة في المغرب: إشكالية التكون والتمركز والهيمنة من القرن الثالث ق.م إلى القرن العشرين، إفريقيا الشرق، 2002م. ص. 30-35.

8 - ابن المليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب... م س، ص. 361.

إنها أسئلة تهم أكثر اشتغال الدولة المغربية خارج سياجات التنميط، حيث تكمن خصوصية وقوة الدولة المغربية. فلم يفلح النظام الحماي في تجميد النظام السلطاني بل على عكس ذلك، لم يحل هذا دون تأثير الأول بالثاني. وبذلك يمكن الحديث عن التنسيق الذي حصل بين النموذجين المختلفين⁹. وهذا ما دفع بعبد الله بن المليح أن ينعت هذا التنسيق بالدولة التراصفية. وذلك بعدما فشل نظام الحماية وتراجع عن المكتسبات والمشاريع الإصلاحية التي سبق أن تبناها النظام المغربي، والذي سبق أن حقق مجلس الأمة، والذي جسد مرحلة متقدمة في تحقيق ملكية دستورية¹⁰.

لقد حمل الاستعمار الفرنسي إلى المغرب مشروع هيكلية جديدة للمؤسسة المخزنية التقليدية، فجمع بين حكومة ثنائية متداخلة على نمط السودان مع مرجعية ظاهرية مغربية ومرجعية حقيقية فرنسية، وبين حكومتين منفصلتين إحداهما مغربية وأخرى فرنسية، تمثل الأولى المغرب الإسلامي كما كان قائما بالفعل، وتمثل الثانية المغرب الفرنسي كما كان يرجى قيامه¹¹. إن هذين الشكلين العجيبين لهذه الدولة الهجينة، خلفا صعوبة في تسمية هذه الدولة، ودفع جماعة المؤرخين إلى نعتها بالتسميتين التاليتين:

1- دولة التنظيمات

يرى عبد الله العروي أن الإصلاح الذي تبنته الحماية الفرنسية في المرحلة الأولى كان يهدف إلى تقوية الدولة السلطانية مع تحقيق بعض المصالح الاقتصادية بالتبعية. أما إصلاح المرحلة الثانية فإنه كان يهدف في الظاهر على الأقل إلى وضع الدولة في خدمة الرعية. وفي كلا الحالتين، كانت أداة الدولة تتغير، إلا أنها تبقى في الأولى سلطانية، وتصبح في الثانية نسبيا منفصلة عن أهواء السلطان خاضعة لرغبات الرعية.

إن مفهوم المنفعة العمومية كركيزة لدولة التنظيمات، قد قرب بلا شك السلطة السياسية من المجتمع الإنتاجي، فأصبحت الدولة تتظاهر بأنها لا تعدو أن تكون أداة في خدمة المنتجين، حيث تضمن لهم الأمن والعدل، وتكافئ النافع وتعاقب السيء، وتصرف الضرائب في تجهيز البلاد

9 - ابن المليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار... م س، ص. 236.

10 - Lahbabi Mohamed, *Le Gouvernement Marocain à l'aube de XX siècle*, Les Editions maghrebines, Casablanca, 1975. pp. 4-26.

11 - خير فارس محمد، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب (1912 - 1939م)، دراسات تاريخ شمال إفريقيا الحديث، 1972م، ص. 131.

بالطرق والموانئ... كل هذا قرب بين الدولة كجهاز سلطوي وبين الإنسان المنتج. لا جدال في أن هذه الظاهرة هي ما يفصل جوهريا دولة التنظيمات عن السلطنة التي سبقتها، إلا أن هذا التقارب المذكور مثل وجهها واحدا من أوجه الواقع.¹² وفي السياق ذاته المركز على البعد الشكلي لدولة الحماية فإن محمد حسن الوزاني ينعتها بقوله: "فإن الإدارة العامة المغربية غدت فرنسية، ويريد القائمون عليها أن تبقى فرنسية"¹³. أما كتاب (موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية) فقد اكتفى بنعت الدولة الجديدة بما يلي: "وهكذا لم يهتم النظام الجديد بتوطيد دعائم الإدارة التشريعية الأصلية أو إبرازها، بل إنه جردها من مقوماتها، وصنع منها أداة جديدة لا تمت إلى الإدارة القديمة بصلة". وبذلك صارت الدولة الجديدة هيكلًا مجردا ليس له إلا مظهر السلطة وحده¹⁴. والرؤية نفسها، يشدد الصديق بن العربي على إبراز الخطوط الأولى للنظام السياسي الجديد بالمغرب، ويقدم وصفا للمتغيرات الجديدة التي شهدتها المغرب إبان فترة الحماية¹⁵. إن هذه المتغيرات يقتصر عبد الرحمان بن سلامة في الإشارة إليها بقوله: "إن المغرب بقي نظريا في هذه الفترة دولة إسلامية ذات سيادة، والملك عنوانها، وصاحب السلطة المطلقة والمحدودة، ولكن الحماية الحقيقية وسلطتها هي التي كانت تتمتع بكامل السلطة والسيادة علاوة على أنها حملت معها للبلاد مؤسسات سياسية منبثقة عن فلسفة سياسية واجتماعية تغاير ما كان عليه النظام المغربي"¹⁶.

2- الدولة التراصفية (L'Etat Sédimental)

حاول عبد الله بن المليح الاقتراب أكثر من الالتباس الذي يلف شكل دولة الحماية، حيث ركز على تجاوز النظرة الشكلية في التعاطي مع الدولة المغربية في صيرورتها، والتي كانت تكتفي بدراسة الأسر الحاكمة وكأنها دولة قائمة بذاتها ومنفصلة عن بعضها البعض، وتعويضها بنظرة أكثر عمقا تقوم بالأساس على اعتبار الدولة المغربية عبارة عن تراكمات سياسية قد تعرف بعض القفزات

12 - العروي عبد الله، مفهوم الدولة... م س، ص. 131 - 138.

13 - الوزاني محمد حسن، الحماية جنابة على الأمة، ترجمة، أحمد بنجلون، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1994 م. ص. 101.

14 - الوزاني محمد حسن، ومحمد المكي الناصري، موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية، مطبعة الوحدة المغربية، تطوان، 1946 م. ص. 106 - 107.

15 - ابن العربي الصديق، المغرب، مطبعة الأمانة الرباط، الطبعة الثانية، 1956 م.

16 - ابن سلامة عبد الرحيم، المغرب قبل الاستقلال، عرض لأهم الأحداث السياسية والدستورية قبل الحماية وأثناءها، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1980 م. ص. 73.

النوعية التي تغير من مضمونها وأشكالها لكن في إطار صيرورة سياسية مستمرة. كما أن هذا التصور سلط الضوء أيضا على عملية التلاقي والترصيف السياسي والمؤسساقي بين الدولة المخزنية والمؤسسة الحمائية وما نتج عنها من تغييرات بنيوية في الهيكلة العامة للمشهد السياسي والمؤسساقي المغربي إبان فترة الحماية¹⁷.

إن مصطلح الترصيف الذي تنبأه عبد الله بن المليلح لنت "دولة الحماية الفرنسية" التي أفرزتها عملية الترصيف السياسي والمؤسساقي، تفيد في رصد الانتقال من الدولة المخزنية إلى دولة الحماية من جهة، وتجسيد هذه الصيرورة عبر مراحل التطور الذي شهدته الدولة المغربية من جهة أخرى.

لقد وجدت دولة الحماية مقيدة بعقد الحماية ذاته، حيث اتجهت نحو التركيب والهيمنة كإستراتيجية استعمارية. ومن ثمة، عمل الاستعمار على استمرار الدولة السلطانية ومنحها وظائف خاصة في سير النظام التراصفي¹⁸. وبذلك مرت هذه الدولة من المرحلتين المؤسستين التاليتين:

- مرحلة الحماية اليوطية، حيث ارتبطت الحماية بشخصية اليوطي المهيمنة على المشهد السياسي، وعلى الرغم من ذلك فقد يصعب على الدارس لتاريخ الحماية الفرنسية بالمغرب الانفكاك والانفلات من أسر كتابة هذه التجربة، وباستحالة رصد الخط الهندسي الفاصل والواصل على جسر الحدود بين عالمي اليوطي والمتروبول. وكثير من الدارسين الغربيين ومنهم دانييل ريفي الذي لم يفلح في التخلص ولو لهنية من التداخل الحاصل بين تاريخ اليوطي وتاريخ المتروبول، فالتجربة بدت له إيجابية ساهمت في تحويل الدولة المغربية من دولة مخزنية إلى دولة مخزنية حديثة.

لقد شكل تربع اليوطي على مقبمية المغرب، فرصة لإبراز موهبته في صناعة المشهد السياسي والاجتماعي والديني الذي يتلاءم ورغباته وتطلعاته، فابتدع سياسة إسلامية، تأخذ بعين الاعتبار رمز الشرعية والبركة (السلطان) والحفاظ على مصالح حراس العقيدة (العلماء وأهل الزوايا). أما العامة فقد كانت السياسة الأهلية كفيلة بتكييفهم وفق الإجراءات والقوانين الجديدة (السياسة الصحية والتعليمية)¹⁹.

17 - شقير محمد، تطور الدولة في المغرب ... م س، ص. 129.

18 - بنمليح عبد الله، التاريخ السياسي للمغرب ... م س، ص. 273 - 278.

19 - Rivet Daniel, Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc, 3vol., L'Harmattan, 1988.p.19.

- مرحلة الإصلاحات وهيكل الدولة الجديدة، قامت الدولة الجديدة على أساس إصلاحي وذلك بهدف إنشاء إدارة عصرية مواكبة لمتطلبات وطموحات المتروبول الاستعمارية. وقد شهد المشهد المؤسسي المغربي هيكلية وترصيفاً سياسياً، تم الحفاظ فيه على هياكل دولة سلطانية مفرنسة (بروح فرنسية). وقد عبر محمد حسن الوزاني على الهيكلية الجديدة كالتالي: "في قمة الهرم السياسي والإداري يوجد المندوب المقيم العام ممثلاً لفرنسا، ويجمع في الوقت نفسه، بين صلاحيات وزير الداخلية ووزير الحرب ووزير الشؤون الخارجية للمملكة المغربية، وله اختصاصات ما يسمى بالسياسة الأهلية... أما الربط في العلاقات بين الإقامة العامة والسلطان، فإنه موكول إلى موظف فرنسي سام يحمل لقب مستشار الحكومة الشريفة، ويراقب هذه الحكومة، وباختصار فإن الإدارة العامة المغربية غدت مفرنسة".²⁰

إن الشائبة الناجمة عن تطبيق مبدأ الحماية كما هو منصوص عليه في عقد الحماية (30 مارس 1912م) عينت موظفين مغاربة: الباشا في الحاضرة والقائد في البادية. أما على مستوى تمثيل المصالح العامة، فإن المصلحة المركزية للحماية تتوفر على جهاز استشاري يدعى مجلس الحكومة والذي يتألف من قسمين مغربي وفرنسي.

إن الهيكلية الجديدة التي حملتها مؤسسة الحماية إلى المغرب حرمتها من وزارتي الخارجية والحربية، فالأولى صارت في يد المقيم العام، والثانية عهد بها إلى قائد قوات الاحتلال، وألغيت أيضاً وزارة المالية وحلت محلها إدارة تابعة للمقيم الفرنسية، وأصبحت الحكومة المغربية محصورة في أبسط أشكالها:

- الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء)

- وزارة العدلية

- وزارة الأوقاف.²¹

وعموماً يلخص بنشهو تركيبة حكومة الحماية بما يلي: "صارت حكومة خصوصية للحماية الفرنسية امتزجت بالمخزن الشريف، وانقسمت هذه المصالح إلى ثلاثة أقسام:

20 - الوزاني محمد حسن، الحماية جنانية على الأمة... م س، ص. 101.

21 - الوزاني محمد حسن، ومحمد المكي الناصري، موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية... م س، ص. 105.

- الحكومة العليا للحماية والمصالح السياسية والإدارية المحتوية على إدارة الشؤون الشريفة
- الإدارة الداخلية
- إدارة الأمن العام.²²

إن الإصلاحات التي همت هذه الحكومة مرت خلال الفترة اليوسفية بالمراحل التالية:

- 1912 - 1914 م: تميزت بتحويل سلطة القرار من القصر إلى الإقامة العامة.
- 1917 - 1920 م: أنشئت مديريات تقنية كمديرية الأشغال العمومية ومديرية الفلاحة.²³
- 1926 - 1927 م: توسيع المشاركة في مجلس الحكومة.²⁴

شكلت الإصلاحات إذن، أداة لتقوية دولة حماية في مواجهة المجتمع القبلي، بحيث لجأت إلى عدة أساليب لتفكيك البنية القبلية ومن أهمها:

- الأساليب الردعية : إخماد المقاومة المغربية تحت غطاء ما يعرف في الأدبيات العسكرية بعمليات التهدة.

- الأساليب الإدارية: التأطير الإداري، والتطبيب، وبناء الطرق والمدارس.²⁵

لقد لجأت مؤسسة الحماية في مؤسسة النظام التراسفي إلى الدعائم التالية:

- مبدأ الحفاظ على الدولة السلطانية (التقليديوية)
- التقسيم سواء على المستوى الترابي (3 مراكز نفوذ) أو المؤسساتي (أجهزة فرنسية ومغربية) أو القضائي (محاكم فرنسية وإسلامية ويهودية وعرفية) أو على المستوى التعليمي (مدارس إسلامية وبربرية) وحتى على المستوى العمراني (مدن جديدة وقديمة).²⁶

- الأساليب الاجتماعية: تم الاعتماد في هذا الإطار على دعائمين أساسيتين:

- الجهاز الإداري: اعتبرت مؤسسة الحماية هذا الجهاز وسيلة للمأسسة، حيث شكلت الإدارة أهم جهاز مؤسسي في النظام التراسفي بوصفها كانت عاملا منظما ومنسقا وضامنا للمشروع

22 - بنشهو عبد الحميد بن أبي زيان، البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، مطبعة الأمة، الطبعة الثانية، 1951 م. ص. 61.

23 - شقير محمد، تطور الدولة في المغرب... م س، ص. 164 - 167.

24 - نفسه، ص. 166.

25 - شقير محمد، تطور الدولة في المغرب... م س، ص. 213.

26 - نفسه، ص. 246.

الاستعماري. وبذلك سادت الإدارة في مجموع التراب المغربي معتمدة في ذلك على المراقب العسكري والمدني، اللذان يجسدان الإدارة على الصعيد المحلي ورئيس الجهة على الصعيد الإقليمي.

- النخب الاستعمارية والمحلية: اعتمدت السلطات الاستعمارية على هذه النخب من أجل ضمان ترسيخ النظام الترابي. كما أن الاستعمار بشكل عام كان مضطرا إلى توظيف فكرة الإبقاء على التراث الأهلي وخلق الأدوات القادرة على ضمان استمراريته، وصيانة وجوده، بشكل ينسجم وإستراتيجيته العامة في الاستعمار.²⁷

لفهم أكثر للترصيف السياسي الذي تضمنته دولة الحماية، يجب اقتفاء مخلفات هذا الترصيف على التركيبة العامة لهذه الدولة، ودراسة:

3- الآثار القانونية والسياسية لعملية الترصيف

يفترض نظام الحماية بقاء الحكومة الأهلية / المحلية مضافا إليها الحكومة الحامية. فما هي طبيعة العلاقة القائمة بين هاتين الدولتين اللتين تشتركان في السيادة على أرض واحدة؟ هل هي اتحاد؟ ولكن الاتحاد يفترض وجود أسس مشتركة بين الدولتين وهل نجد شيئا من هذا في الحماية القائمة؟ هل هي مشاركة تقوم على توزيع السلطات؟ إن المشاركة بين الدولة الحامية والمحمية يقتصر فيها على طرف واحد، فلا يتمتع الطرف الآخر بنفس الحقوق. وكيف يتم توزيع هذه السلطات أباتفاق أم بالإملاء؟ وهل يستطيع الشريك المحمي أن ينهي هذه الشراكة في الوقت الذي يريده باعتباره المالك الأصلي للسيادة، وهذا التوزيع يقتضي تحديد نوع الصلاحيات الممنوحة لكل الطرفين؟ إن مثل هذه الحدود لا نجدها إلا في الحضور الشكلي للدولة المحمية. وفي هذا الصدد فإن صيغ معاهدات الحماية تقتضي في جوهرها استبدال كلمة توزيع السلطات بانتزاعها. فهل تحتفظ الدولة المحمية بسيادتها؟ يرى البعض أن الدولة الخاضعة للحماية ليست أبدا دولة ما دام أنها تفتقد للسيادة، ولكن كثيرا من فقهاء القانون يرون أن الدولة المحمية تحتفظ بسيادتها.²⁸

لقد فقد المغرب قانونيا وسياسيا واقتصاديا مقومات السيادة، وتعتبر السيادة بمفهومها القانوني هي قدرة الدولة وممارستها لتلك القدرة على تسيير شؤونها الداخلية والخارجية بحرية. وأما

27 - مالكي محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993م. ص. 153.

28 - فارس محمد خير، تنظيم الحماية بالمغرب ... م س، ص. 43 - 44.

السيادة بمفهومها السياسي، فتحدد في المغرب انطلاقاً من وضعية السلطان من خلال كونه يقود الجيش والمخزن. وينضاف إلى هذا الجانب المكانة الدينية والسياسية للسلطان، وذلك من خلال مسألة الاستخلاف وما تمثله البيعة من ضمانات للدولة دينياً وسياسياً، أما المفهوم القانوني للسيادة، فلم يعد للدولة المغربية أية سلطة على تسيير شؤونها الداخلية، وذلك من خلال التغييرات الجديدة التي عرفتها المؤسسة المخزنية، حيث أحدثت المقيمة العامة مديريات أصبحت تمارس السلطة الفعلية سياسياً واقتصادياً في مجموع التراب المغربي. ووفق هذه الهيكلية الجديدة ألغيت وزارتي الخارجية والحرب، وأصبح المقيم العام هو الممثل الوحيد لعلاقات المغرب على المستوى الخارجي، أما قائد القوات الفرنسية فهو وزير الحرب، وحتى المكانة الدينية للسلطان قد اهتزت من خلال مسألة الاستخلاف. وبذلك فإن نظام الحماية ألغى أهم ركن من أركان السلطنة، والذي يتحدد عن طريق البيعة، وهو الصك الشرعي والمؤسس الحقيقي لطبيعة العلاقة السائدة بين الحاكم والمحكوم. ومع ذلك فإن السلطة الفرنسية قد احتفظت للمغرب بشخصيته وكل مقومات سيادته، فالسلطان احتفظ برمزيتته وقداسته.²⁹

ولم تكتف الحماية الفرنسية بالحفاظ على الوضعية السياسية والدينية للسلطان، بل حافظت أيضاً على البروطوكولات المخزنية التي كانت تسود الدوايب المخزنية قبل الحماية. إذ أن الاعتماد على السياسة القايدية والسياسة الأهلية الواعية بطبيعة التعامل مع المجتمع المغربي ساعد بشكل كبير على ترسيخ النظام المخزني والحفاظ عليه.³⁰ وبذلك فإن الدولة المغربية استطاعت بالنظر إلى تجزئتها أن تتحمل تكاليف القوى الإمبريالية وأن تنبعث كلما ظهر بأنها تعيش لحظات الانهيار، وهنا تكمن قوة الدولة المغربية.

4- استقلال المغرب وبناء الدولة الوطنية

لقد كان من الطبيعي أن تؤدي المجابهة مع الاستعمار والتفاعل معه إلى أن يكون الهدف القريب والمباشر هو استرجاع الدولة وإعادة بنائها. ويجمع الباحثون المغاربة على أن السلفية التي أصبحت عنوان النضال الوطني لا يمكن اعتبارها نوعاً من الوطنية الإسلامية في شكلها العام. بقدر ما هي دفاع عن معايير إسلامية أنتجها تاريخ المغرب وجسدها نظام المخزن منذ السلطان مولاي

29 - Julien Ch.André, *Le Maroc face aux impérialismes (1415 – 1956)*, Editions J.A.Paris, 1978, p.104.

30 - فارس محمد خير، تنظيم الحماية بالمغرب ... م س، ص. 293.

رشيد العلوي. وفي هذا الإطار نجحت الملكية في توظيف السلفية في خدمة المركزية السياسية والحفاظ على الدولة. وبنفس التوجه حددت شرعيتها بطريقة إطلاقية، حينما نتحدث عن أمة واحدة غير قابلة للانقسام وبدون تحديد، وهو وضع يقضي من حيث الأساس كل تعبير عن المصالح المتصارعة، سواء أكانت هذه المصالح طبقية أو إثنية أو دينية، ونتيجة لذلك أصبح المغاربة يؤمنون بأن الدولة هي مركز الإدماج والتنمية، وأنها ستعجز لحسابهم كل ما حرمهم منه الاستعمار. وبذلك أصبحت الملكية حجر الزاوية للمجتمع ككل. ومن ثمة اكتسبت شرعيتها من خلال دورها المزدوج الذي قامت به بعد الاستقلال والمتمثل في دور الوصي على العلاقات الناشئة والرمزية بينها وبين رعاياها، ووظيفتها كحكم ووسيط لإدارة ورعاية الاقتصاد.³¹

أعلن الملك محمد الخامس لمجرد الحصول على الاستقلال تأسيس الدولة الوطنية الجديدة التي تختزل كل ما سبق ذكره، فجسدت الحكومة برئاسة امبارك البكاي على عمق الرأسمال الرمزي للمغرب:

- شرعية سياسية ودستورية من خلال ديمومة النظام الملكي الدستوري.
- شرعية تاريخية ودينية مصدرها النضال الوطني
- شرعية الإجماع على قدسية التراب المغربي.

أصبحت هذه الشرعية الرمزية السياسية الضامنة لاحتضان المتناقضات والصراعات السياسية وبطبيعة الحال فإن الميزة التي تطبع النظام المغربي كونه يجمع بين المجال التقليدي (المخزن) والمجال الحديث (البرلمان والتعددية السياسية والحزبية)، ولئن كان هذان المجالان متباعداً في المصادر المرجعية، ومتناقضان في الممارسة السياسية، إلا أنهما يشتركان في إعادة إنتاج النظام وإعطائه مبررات الاستمرارية والقوة الإيديولوجية والرمزية التي تكون فعالة ومؤثرة زمن الأزمات.³²

ووفق هذا وذاك، اعتبرت فترة (1955 - 1962م) فترة البحث عن شكل ومحتوى السلطة التأسيسية التي من شأنها رسم الدولة السياسي وفلسفتها السياسية.³³ وكان من المفروض أن يسود

31 - الهرماسي محمد عبد الباقي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1992م. ص. 38، 41، 42، 125، 127، 128، 142.

32 - وناس المنصف، الدولة والمسألة الثقافية في المملكة المغربية، بيت الحكمة، قرطاج، 1991م. ص. 59 - 63.

33 - أكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، أفريقيا الشرق، 1987م. ص. 145 - 147.

نظام الملكية الدستورية طبقا لمطالب الوطنيين وتصريحات الملك نفسه أثناء معركة التحرير³⁴. وانسجاما مع هذا المطلب، فقد كانت فترة 1955 - 1962م فترة تأكيد شكل ومحتوى الفلسفة السياسية للدولة وتحديد أهم التوجهات اعتمادا على التراث العربي الإسلامي، وترسيخ وجود الدولة وتوسيع قاعدتها في البادية، وبالفعل نجحت الملكية في تحقيق هذه الخطوة التي كانت مفعمة بالعمل الوطني والتأطير لتحقيق مشروع "الدولة - الأمة".

يتجسد هذا المشروع في خطاب الملك محمد الخامس الذي شدد فيه على القول: "إننا لا نبني للحاضر فقط، ولا لأبناء الجيل الحالي وحدهم، ولكننا نبني لخير الأجيال القادمة، ونسعى بذلك لحفظ كيان الدولة وضمان وجودها واستمرارها". وهكذا استطاع هذا التصور السياسي توزيع الفضاءات السياسية في إطار سياسة لا تقصي المعارضة السياسية ولا تقطع نهائيا مع التراث والتقليد. ووفق ذلك، اتخذ مفهوم "الدولة - الأمة" في هذه الحقبة طابعا تقليديا مستندا إلى شرعية دينية ورمزية مطلقة، وممارسة تأطيرية للقوى السياسية والاجتماعية جد متطورة وجدت خير تعبير عنها في قانون العهد الملكي الصادر في 8 ماي 1958م³⁵. وقد كان هذا القانون بمثابة برنامج، حاول من خلاله الملك محمد الخامس رسم الخطوط العريضة للنظام السياسي الذي عقد العزم على تحقيقه، وقد جاء في هذا التصريح: "وسنقوم بإنشاء ملكية دستورية تتطابق مع المصلحة العليا للبلاد وتتماشى مع طبيعته الخاصة"³⁶.

وما هو مؤكد أن تصور الملك محمد الخامس للدولة يتضمن ملاءمة مكتسبات العصر لمضمون الدولة المغربية التقليدية، إلا أن "تقليدية" هذه الدولة لا تقطع إطلاقا مع الحداثة، وإنما تسعى للاستفادة من إيجابياتها، وذلك في إطار رؤية توفيقية، تسعى إلى الجمع في السياق ذاته بين الموروث السياسي للإسلام والمضامين الديمقراطية للعصر والأعراف المغربية. وبذلك لعب الملك محمد الخامس دورا أساسيا في تحديد المحتوى الإيديولوجي للدولة المغربية، وطبيعة مرتكزات مؤسساتها وضبط أسس الشرعية انطلاقا من اعتباري القومية والدين³⁷.

34 - العقاد صالح، المغرب العربي، دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، مكتبة الأنجلو - مصرية، 1980م، ص. 495.

35 - وناس المنصف، الدولة والمسألة الثقافية... م س، ص. 72.

36 - أكنوش عبد اللطيف، تاريخ المؤسسات... م س، ص. 148.

37 - الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، الطبعة 2، ص. 106.

ثم معرفة الدولة خلال ثمانية وثلاثين سنة التي تولى فيها أمرها الملك الحسن الثاني، نوعاً من "التركيب" شبيه بذلك الذي تحدث عنه ابن رشد، فعرفت فترات يطبعها "التغلب والاستبداد" وأخرى أقرب إلى الكرامة أو "الحرية" لينتهي بها الأمر إلى الشروع في تغليب الفضيلة على العناصر الأخرى، بإقرار ما عرف بـ "التناوب التوافقي" الذي جاء أشبه بذلك الذي بدأ على عهد والده الملك محمد الخامس مجدد الدولة.

لقد تميزت مرحلة الملك الحسن الثاني بما يلي:

بناء هياكل ومؤسسات الدولة الوطنية وتحديثها في إطار برامج إستراتيجية تهم قطاعات التعليم والفلاحة والصحة والاتصالات، وكل ما يتعلق بالبنية التحتية الرافعة للتنمية والمرافق الخاصة بتدبير الشأن العام³⁸.

صياغة المرجعيات القانونية التي على أساسها يتم نسج علاقات التكامل بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية، استناداً إلى حصيلة التاريخ المغربي وثوابته التي لم ينفك عنها رغم اجتهاداته لتطويرها والارتقاء بها إلى ما يؤهلها لمواكبة تحولات العالم.

تدبير الصراعات والتوترات الناتجة عن التناقضات التي برزت إلى الوجود بين مختلف النخب السياسية والسلطة وذلك في سياق تاريخي عالمي تتجاذبه تيارات إيديولوجية متنافرة يهيمن عليها القطب الليبرالي من جهة وقطب الاشتراكية والشيوعية من جهة أخرى³⁹.

لقد نجح الملك محمد السادس نصره الله في نقل الدولة المغربية إلى التناوب الديمقراطي الحق، وبذلك يتم تجاوز دولة المخزن والانتقال إلى الدولة الديمقراطية، وإذا كان الانفتاح السياسي حقيقة بدأ مع أواخر حياة الملك الحسن الثاني، فإنه وفي عهد الملك محمد السادس نصره الله بدأت ملامح الانتقال تظهر على الواجحة وبدأت الرغبة في تأكيد ثقافة سياسية جديدة. وتتجلى هذه الإشارات في نص البيعة الموجز، وإن احتفظ بلغته التقليدية، وتقليص عدد الموقعين، وخاصة تراتبيتهم، حيث كان الوزير الأول، في أول سابقة من نوعها، أول الموقعين بعد الأسرة الملكية، والحضور غير المعهود

38 - طنكول عبد الرحمان، ثقافة المواطنة والحكامة الجديدة بالمغرب، ندوة: مغرب العهد الجديد، من قيم المقاومة إلى الحجة الجديدة، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، دار أبي رقراق، 2009م. ص. 21.

39 - طنكول عبد الرحمان، ثقافة المواطنة... م س، ص. 22.

لامرأتين وزيرتين، والعدد القليل فيما يخص تمثيلية العلماء على الرغم من الطابع الديني الملازم لمبدأ البيعة نفسه.

وفي السياق نفسه الرامي إلى تثبيت هذه الصورة الجديدة، لوحظ نوع من التخفيف من حدة البروتوكول، وهو ما تجلّى بدءاً في الأشكال التي اتخذتها استقبالات ملكية في مناسبات مختلفة لبعض رجال الفكر والثقافة، أو لبعض أعضاء الجالية المغربية بالخارج. كما كان أمراً محسوساً نهج تواصل سياسي جديد يتوخى القرب والحضور، كما توضّح ذلك أيضاً في علنية مراسيم الزواج الملكي، وفي تعدّد الزيارات الميدانية، وما تخلّلها من لقاءات مباشرة مع مواطنين من مختلف المستويات والآفاق. ومن علامات هذا التجديد الخطب الملكية التي لمس فيها العديد، مواطنون وباحثون، بداية تحديث سياسي باحترامها موعد البث دونما انتظار، وبنصوصها الموجزة والمقروءة دونما ارتجال، ناهيك طبعاً عن مضامينها التي تمحورت بشكل أساسي حول مفهوم الحداثة، وما يستتبعه من تصورات أخرى لا تقل أهمية، وعلى رأسها مبدأ المواطنة ودور النخبة ونقد السياسوية الضيقة.

إن الإصلاح الذي شهده المغرب المعاصر، يمكن التحقق منه عبر مجموعة من الإنجازات التي تحققت في طريق التحديث، والتي يمكن قياسها كمياً عبر توسيع البنيات التحتية الاقتصادية، والتصنيع، والتبادل التجاري، والمكننة الفلاحية، والتنظيم الترابي، والتجهيزات الجمعية، وأنماط العيش، إلخ.

تقدم الخطب السياسية للملك محمد السادس نصره الله، إطاراً عاماً لمختلف مناحي الإصلاح، إنه "المشروع المجتمعي" الذي تدافع عنه المؤسسة الملكية، تارة تحت شعار "المشروع المجتمعي الديمقراطي التنموي"، وتارة أخرى تحت شعار "المشروع الديمقراطي الحداثي"، وفي كثير من الحالات تكتفي بنعته بـ "المشروع المجتمعي".

وإذا كانت وظيفة المؤسسة الملكية هي تحديد التوجهات الكبرى لمشروعها المجتمعي فإنه على المؤسسات الدستورية، والهيئات السياسية، والقوى الحية في البلاد، أن تنزل هذه التوجهات على أرض الواقع. وفي هذا السياق يمكن القول وبأريحية إن "المواطنة" بشكل من الأشكال تظل إحدى نقاط الارتكاز القيمة التي طالما أكد عليها المشروع المجتمعي للملك محمد السادس نصره الله وأيده.

مفهوم البيعة في الإسلام وعلاقتها بالإمام والأمة

د. أحمد الأزمي - فاس.

بمناسبة حلول الذكرى الثانية والعشرين لتربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس على عرش أسلافه الميامين، يسرني أن أساهم بإعداد هذا المقال احتفاء بالحدث السعيد، تحت عنوان: "مفهوم البيعة في الإسلام وعلاقتها بالإمام والأمة، وفقا لمقتضيات كتاب الله وسنة رسوله، كما هي موضحة ومفسرة ومبسطة بتفاصيلها في التآليف المشهورة، المعروفة بالآداب السلطانية".

I. مفهوم البيعة في الإسلام وتطورها التاريخي:

1- مفهوم البيعة في الإسلام:

البيعة والمبايعة مشتقة من البيع، والبيع عقد بين البائع والمشتري، تنتقل بموجبه الأملاك من يد لأخرى، وعلى هذا المعنى تقاس البيعة التي تكون بين الأمة والإمام، فهي عقد من الأمة على التفويض للإمام بالإمامة، ويتبعه الالتزام والإلزام، أي بذل الطاعة والنصرة من الأمة في مقابل الحماية والرعاية بالعدل من الإمام.

وذكر ابن منظور في "اللسان": أن البيعة هي الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة، ومن ثم جاء معناها يمين الولاء، يقسم بين يدي الخليفة عند ولايته، وهذه الشعيرة عبارة عن وضع اليد في يد الأمير المبسوطة دلالة على الخضوع. ويقال بايعه وأعطاه صفقة يده، والأصل في ذلك ما كان عليه العرب من أنه إذا تباع اثنان صفق أحدهما بيده على يد صاحبه، ومن هنا انتقل، فاستعمل كتعبير دقيق للربط الإيماني القوي والدائم بين الطرفين في المبايعات¹.

ويتضح من هذه التعريفات كلها أن البيعة قولية وعملية، وأن اليد هي التعبير العملي لها، بعد أن يقول المبايع (بالكسر) للمبايع (بالفتح) رضيت بك خليفة أو نحوه، مما يدل على الرضا،

1 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت)، ج 8، ص 23 وما بعدها.

وهي عقد يتم بين الطرفين، الطرف المختار والمرشح للخلافة، وطرف أهل الحل والعقد المرشحين، والخلافة هي موضوع البيعة.

وأول مفهوم للبيعة في الإسلام كان لطاعة الله، وتطهير النفوس، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللقاء التاريخي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة في العقبة الأولى، إذ قدم اثنا عشر رجلا من الخزرج والأوس، فاجتمعوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلموا وبايعوه، على أن لا يشركوا بالله شيئا، ولا يسرقوا ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا بهتنا يفترونه بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصوه في معروف².

وللمرة الثانية كانت بيعة أخرى في العقبة الثانية، حين تمت له من عدد أكبر من أهل المدينة، اشترط فيها لربه أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا به شيئا، ولنفسه أن يمنعوه، مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، حين قدم عليهم. ولما نزل رسول الله (ص) بالمدينة، وقعت هناك بيعة ثالثة، إذ بايعه أصحابه البالغ عددهم ألفا وخمسمائة رجل، على قتال المشركين الذين صدوه عن العمرة، وحبسوا مبعوثه إليهم عثمان بن عفان، تلك البيعة التي كانت السبب في تخويف قريش، ورضوخها لصلح الحديبية المعروف، والمترتب عنه نصر عظيم وفتح مبين للمسلمين³.

وقد مدح الله هذه البيعة المعبرة عن استعداد المسلمين الصادق، لخوض غمار الحرب مع كفار قريش، وسجلها في صحائف من نور بقوله: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا، ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما"⁴.

2 - تطورها التاريخي:

أما بخصوص التطور التاريخي لمفهوم البيعة في ارتباطه بالخلافة (الإمامة)، فنرى في البداية من المفيد التعريف ولو بشكل سريع بمفهوم، الإمامة والخلافة، وهما مفهومان، يدلان على شيء واحد، ويمكن أن يضاف إليهما في نفس المعنى إمارة المؤمنين وإمارة المسلمين، والملك، مع بعض التفاوتات البسيطة، بين مصطلح وآخر. غير أن المفهومين البارزين في

2 - أبو محمد عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، جزآن، بدون دار النشر ولا تاريخ، ج1، ص: 431 وما بعدها.

3 - نفسه، ص: 454 وما بعدها.

4 - سورة الفتح، الآيتان: 18-19.

النصوص التاريخية الإسلامية، هما الإمام والخلافة. وهما اللذان سنركز عليهما. فمن حيث الاستعمال اللغوي هناك من يرى، أن الإمامة كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم، وهو من أمه إذا قصده، وورد في القرآن مفردا ومجموعا، بالمعنى اللغوي السابق، وذلك في قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماما"⁵، ثم قوله تعالى: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين"⁶.

وتطورت الخلافة الإسلامية على أرضية التطبيقات التاريخية إلى أن فرضت نفسها كمؤسسة إسلامية، يعقد لها الفقهاء بابا خاصا، تطلق على الإمام، فتجب طاعته على الأمة، ومن الفقهاء من اشترط فيه سلالة معينة، كابن تيمية، وابن حزم الذي يرى أن الخلافة لا تجوز إلا في قریش مستدلا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا يزال هذا الأمر في قریش، ما بقي من الناس اثنان)⁷.

وإذا أطلقت الإمامة دون تخصيص كان معناها الإمامة العظمى، التي هي قيادة الدولة الإسلامية، تميزا لها عن إمامة الصلاة التي لا تخلو بدورها من رموز للتصدر، واحتلال المكانة المرموقة في المجتمع، التي قد تفضي بصاحبها إلى قيادة الدولة، وهو ما حصل، لما اعتبر المسلمون أن تقديم الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ليؤم بالناس، نيابة عنه في الصلاة، إشارة إلى تقديمه ليؤمهم في الشؤون العامة أي الإمامة العظمى. وإذا كان الإسلام لا يجعل من أئمة المسلمين معصومين يمنحون الجنة والنار لمن أرادوا، مثل ما عليه السلطة الكنسية عند المسيحيين، فإنه إضافة إلى ذلك أوجب طاعتهم والرجوع لهم عند الاختلاف، فقال عز وجل، مخاطبا الإمام أو الخليفة: "إن الله يامرکم أن تودوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حکمتم بین الناس أن تحکموا بالعدل"⁸، ثم قوله: "يا أيها الذين آمنوا، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر"⁹.

5 - سورة البقرة، الآية: 123.

6 - سورة القصص، الآية: 4.

7 - حمداتي ماء العينين، دور الخلافة من خلال عقد البيعة في تكوين وحدة الدولة الإسلامية، ضمن أعمال ندوة البيعة والخلافة في الإسلام بمدينة العيون، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 1985م، ج2، ص: 408.

8 - سورة النساء، الآية: 57.

9 - سورة النساء، الآية: 58.

بعد هذا التعريف الموجز بالإمامة، ننتقل للحديث عن الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمة والإمام.

II. الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمة والإمام

سنتطرق في هذا المبحث، لمحور أول يتناول الإمامة وشروط انعقادها، ونفصل القول في محور ثان بخصوص الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية.

1- الإمامة وشروط انعقادها:

يرى أبو الحسن علي الماوردي في "الأحكام السلطانية والولاية الدينية" أن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنه الأصم¹⁰.

أما الشروط الواجب توفرها في الإمام، فهي سبعة كما حددها الماوردي¹¹:
الأول: العدالة على شروطها الجامعة.

الثاني: العلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام.

الثالث: سلامة الحواس من السمع، والبصر، واللسان.

الرابع: سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة وسرعة النهوض.

الخامس: صحة الرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح بشكل مرض.

السادس: الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو.

السابع: النسب، وهو أن يكون من قریش، لورود النص فيه وانعقاد الإجماع عليه.

لكن ابن خلدون من جهته، ورغم أنه وظف الكثير من الأفكار والمعلومات الواردة في الأحكام السلطانية، فإنه اختلف مع الماوردي في عدد الشروط التي يجب توفرها في الإمام المرشح لرئاسة الدولة، وفي ذلك يقول: "... وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم

10 - الأصم: هو عبد الرحمن بن كيسان، شيخ المعتزلة، كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم، منقبضا عن الدولة (ت 200هـ). انظر: ترجمته في الفهرس لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، طهران 1971م.

11 - أبو الحسن علي الماوردي، م.س، ص: 54.

والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل. واختلف في شرط خامس، وهو النسب القرشي¹².

بعد هذا المحور المرتبط بالإمامة وشروط انعقادها، ننتقل لبسط القول حول المحور الثاني من هذا المبحث والذي يعد حقيقة صلب الموضوع، ونعني بذلك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الراعي والرعية، كما ينص على ذلك عقد البيعة الذي يجمع بين الطرفين، تطبيقاً لما ورد في الكتاب والسنة.

2- الحقوق والواجبات المتبادلة بين الإمام والأمة (السياسة الشرعية)¹³:

إن الصورة المثالية، لما يجب أن تكون عليه الدولة الإسلامية، في علاقة الراعي بالرعية أو الإمام بالأمة بفضل الوفاء لمقتضيات وأهداف عقد البيعة النبيلة، تحققت في عدد غير قليل من عصور الخلافة الإسلامية، التي عرفت فترات مشرقة وزاهية في التاريخ، من حيث الاستقرار والرخاء، وازدهار العلوم الإسلامية وتطورها في كل تخصصاتها وفنونها، كما هو الشأن بالنسبة للخلافة الأموية¹⁴، خلال النصف الثاني من القرن الأول الهجري، والخلافة العباسية¹⁵ منذ النصف الثاني من القرن الهجري الثاني وإلى ما بعد نهاية القرن السادس الهجري، ونفس الشيء يقال عن دولة الخلافة بالأندلس في عصورها الزاهية¹⁶، إلى تاريخ احتلال مدينة سبتة المغربية خلال القرن التاسع الهجري، غير أن هذه النماذج التاريخية الإيجابية، في تاريخ الخلافة الإسلامية، تحلللتها وأعقبتها نماذج سلبية، مشهورة ومعروفة في التاريخ العربي الإسلامي، نتيجة الإخلال بمستلزمات عقد البيعة، من هذا الطرف أو ذاك.

وبما أن عقد البيعة، يلزم الطرفين الحاكم والمحكوم، فإن التاريخ يحتفظ لنا بنصوص، تشهد على إخلاص بعض الخلفاء، لله والرسول في المهمة التي أنيطت بهم، وحرصهم على

12 - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، م.س، ص: 241.

13 - من المؤلفات التي ناقشت مسألة السياسة الشرعية بشكل علمي مبسط، كتاب "المقدمة السلطانية في السياسة الشرعية"، تأليف طرغان شيخ المحمدي الحنفي الأشرفي (ت 881هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور عبد الله، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1997م.

14 - محمد كامل المحامي، الدولة العربية الكبرى، دار المعارف بمصر، د.ت، ص: 130 وما بعدها.

15 - مصطفى الرافعي، حضارة العرب في العصور الإسلامية الزاهرة، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968م، ص: 199 وما بعدها.

16 - سهيل زكار، تاريخ العرب والإسلام، دار الفكر، بيروت، 1977م، ص: 422 وما بعدها.

الضرب بيد من حديد على كل من رام الخروج عن شرع الله في تدبير شؤون الأمة، كما نجد نصوصاً أخرى تسلط الضوء على ما كان للرعية من دور في تقويم ما اعوج من سياسة الإمام في دولته، ومن سلوكات منحرفة ولا شرعية، من قبل ولاية وعمال في الأقاليم لا ضمير لهم، فتسببوا بذلك في تدمير الرأي العام، مما كان يسيء لقدسية منصب الخلافة ويطعن في قيم العدل والمساواة التي يعتبر الإمام أكبر ضامن لها.

أ- نماذج من إخلاص الخلفاء لله وللرسول:

الخليفة أبو بكر الصديق (ت13هـ): يعتبر أبو بكر الصديق خليفة رسول الله أبرز نموذج، وقع عليه اختيار الصحابة لرئاسة شؤون الدولة الإسلامية الفتية، في ظرف حرج، وبمجرد ما تمت مبايعته من قبل أبرز المقربين من النبي محمد صلى الله عليه وسلم كعمر وعثمان وعلي، والزبير، وجماعة من الأنصار¹⁷، ألقى أبو بكر كلمته التاريخية المؤثرة في المسلمين والتي يمكن اعتبارها بلغة العصر، خارطة الطريق، التي من سار على هديها نجا. وفيما يلي أهم المقاطع الواردة في خطبته، فبعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: "أيها الناس، إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم تكلفوني ما كان رسول الله (ص) يطيق، إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقممت فبايعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول الله (ص) قبض، وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، وإن لي شيطانا يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني، (...) وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، وإن استطعتم أن لا يمضي إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله"¹⁸. إلى أن قال: "... إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، فإن ما خلصتم الله من الأعمال، فطاعة أتيتموها وضرائب أدتيتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية، لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا، فيمن كان قبلكم (...)، واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وأن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته"¹⁹.

17 - الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2008م، ج 5، ص: 4.

18 - نفسه، ص: 5.

19 - نفسه، ص: 5.

عمر بن عبد العزيز (ت 96 هـ/715 م)²⁰: من أبرز خلفاء بني أمية الذين ساروا في الرعية سيرة عادلة، على غرار سيرة الخلفاء الراشدين في رعاياهم، خصوصا وأنه من سلالة عمر بن الخطاب الذي سارت بذكره الركبان قديما وحديثا بخصوص العدالة الاجتماعية التي كان يحرص عليها شخصا خلال فترة حكمه. وقد نسب لعمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب قوله، وهو خليفة للمسلمين: "أيها المسلمون، إنه لا كتاب بعد كتاب القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ألا وإني لست بقاض، ولكنني منفذ، ولست بمبتدع ولكني متبع، ولست بخير من أحد منكم، ولكنني أثقلكم حملا، وأن الرجل لهارب من الإمام الظالم، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"²¹.

المنصور، الخليفة العباسي (ت 158 هـ)²²: من الخطب المنسوبة لهذا الخليفة الذي عرفت الدولة الإسلامية في عهد أسلافه وبعض من جاء بعده قدرا لا يستهان به من الرخاء والازدهار، محذرا أعوانه من مغبة الغش المؤدي إلى الإساءة إلى الأمة: "... أيها الناس، لا تخرجوا عن أنس الطاعة، إلى وحشية المعصية، ولا تسروا الأئمة، فإن من أسر غش إمامه، أظهر الله سريره في فلتات لسانه وسقطات أفعاله وأبداها الله لإمامه الذي بادر بإعزاز دينه به"²³.

أحمد المنصور، الخليفة السعدي (1012 هـ/1603 م): ازدهر المغرب الأقصى في عهد هذا الخليفة، واتسعت دولته، وكان محبا للعلماء مجالسا لهم، يسير في الرعية سيرة عادلة، وقد أعطى المثال في الوفاء لعقد البيعة مع شعبه، عندما أنزل على محمد الشيخ المامون أحد أبنائه المرشحين لولاية العهد، أقصى العقوبات، لتفسخ أخلاقه وعدم اهتمامه بأمور الرعية التي أوكل له أمرها بمدينة فاس وما جاورها. وبعد أن حذره، عدة مرات، ووبخه، دون طائل، أقر الخليفة العزم، على وضع حد لتصرفاته مهما كان الثمن، وعندما علم ابنه محمد الشيخ المامون بالخبر: "... فر إلى زاوية الشيخ الصالح أبي الشتاء من فشتالة، قرب نهر ورغة، (...) فنزل بالزاوية ومعه بطانته وأصحاب دخلته من الأحداث وقرناء السوء فبلغ خبره المنصور، فبعث إليه الباشا جودرا مع

20 - سهيل زكار، م.س، ص: 198.

21 - حمداتي ماء العينين، دور الخلافة من خلال عقد البيعة في تكوين وحدة الدولة الإسلامية، ضمن أعمال ندوة البيعة والخلافة في الإسلام، م.س، ج2، ص: 416.

22 - محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الدولة العباسية، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 1983 م، ج1، ص: 99 وما بعدها.

23 - المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص: 236، نقلا عن حمداتي ماء العينين، م.س، ص: 418.

القائد منصور النبيلي، فذهبا إليه، فامتنع من الدخول في يدهما، وانعزل في أصحابه حتى ناوشوه القتال، وتراموا بالنبال، ثم قبضوا عليه وأتوا به إلى المنصور، فأمر به إلى مكناسة، فسجن بها²⁴.

السلطان المولى سليمان (ت 1238هـ/1822م): الأمير الورع العالم الذي تصفه المصادر، بأنه لم يلتفت قط إلى شيء مما يتعاطاه إخوته الكبار والصغار من أمور اللهو كالصيد والسماع، ومعاقرة الندمان، ولم يأت فاحشة قط من صغره إلى كبره²⁵، ومن صفات عدله، واستقامته واحترامه لرعيته بموجب البيعة التي تربطهما، أنه لم يعهد بالملك لأحد من أبنائه، وأوصى به، لابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام، ليتفرغ لعبادة ربه، وفي ذلك أورد صاحب "الاستقصا"، على لسان السلطان مولاي سليمان: "... ما أظن في أولاد مولانا الجد عبد الله، ولا في أولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ولا أولاد أولاده، أفضل من مولاي عبد الرحمن بن هشام، ولا أصلح لهذا الأمر منه، لأنه إن شاء الله، حفظه الله، لا يشرب الخمر ولا يزني، ولا يكذب، ولا يخون، ولا يقدم على الدماء والأموال بدون موجب، ولو ملك ملك المشرقيين"²⁶.

الملك محمد الخامس (ت/1961م)²⁷: من المعروف تاريخيا أن الاستعمار الفرنسي، وهو يبسط حمايته على المغرب منذ سنة 1912م، اعتدى على الملك الشرعي محمد الخامس سنة 1953م، ونفاه وأسرته إلى كرسিকা أولا، ثم إلى مدغشقر²⁸، بسبب مواجهته للفرنسيين ومطالبته لهم بمنح الاستقلال للمغرب وشعبه، وهي المواجهة والتضحية التي رأى فيها واجبا وإجراء لا بد منه، باعتباره المؤتمن شرعا، كما ينص على ذلك عقد البيعة، على وحدة البلاد واستقلالها، فلم يزد ذلك الشعب المغربي إلا إيمانا وتثبيتا واستمساكا بالملك الشرعي الذي أعطاه طاعته ومحضه الحب وأخلص له النية، وأصفى له الولاء، رافضا في الوقت نفسه الملك ابن عرفة الذي نصبه المستعمر.

24 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ج 5، ص: 176-175.

25 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا... م.س، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص 200.

26 - نفسه، طبعة الدار البيضاء 1956م، ج 8، ص: 164.

27 - groupe d'auteurs, histoire du maroc, Paris, Casablanca, 1967, p : 252.

28 - ibid.p.402.

الأبعاد الاجتماعية لثورة الملك والشعب

د. أحمد بوزيدي

كلية الآداب - مكناس.

مثل الاحتفال عبر تاريخ المغرب مناسبة للفرح واستحضار الأحداث المشكلة للهوية الدينية والوطنية، باعتبارها تنشيطا للذاكرة الجماعية وعنوانا للوفاء لماض أسس حاضرا، ومثل في الوقت ذاته تذكيرا بالخلفيات الدينية والاجتماعية والسياسية التي تأسس عليه الحدث الذي كان لحظة حاسمة في مسار ممتد بذورا وجذورا ثم ثمارا.

في هذا السياق تأتي الأحداث الوطنية التي طبعت مرحلة خروج المملكة المغربية من ربقة الاستعمار والتأسيس لمغرب معاصر، نظاما سياسيا داخليا وعلاقات خارجية، ومن بينها تلك التي عرفتها بداية النصف الثاني من القرن العشرين والتي طبعت المخيال الجمعي المغربي، ثورة الملك والشعب، التي عبر عن أهدافها خير تعبير جلالة الملك محمد السادس في خطابه يوم الخميس 20 غشت 2020م بمناسبة نفس الحدث بقوله: "في مثل هذا اليوم من سنة 1953 اجتمعت إرادة جدنا، جلالة الملك محمد الخامس، ورفيقه في الكفاح، والدنا جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما مع إرادة الشعب المغربي، في ثورة تاريخية، على رفض مخططات الاستعمار".

وقد رجعنا قصدا لهذا الاستهلال ضمن هذا الخطاب القريب العهد بهذه المحاولة المتواضعة لبنين من خلاله الأهداف المستبطنة في هذا الحدث والأبعاد الجوهرية فيه وخاصة الأبعاد الاجتماعية، وحضور هذا العمق في الرؤية الملكية، على اعتبار أن التاريخ المغربي بقدر ما هو تحولات سياسية وعناوين متنوعة للدولة المغربية، منذ كانت هذه الدولة خلال العصر الإدريسي بل وحتى العناصر التي استثمرت فيما قبله، هي في المحصلة النهائية بناء اجتماعي وتراكم تاريخي للشخصية المغربية والروح المغربية والوجدان المغربي وما ترتب عنه من علاقات بين السلطة السياسية والشعب المغربي.

وهو الأمر الذي انتهى إلى الدولة العلوية الشريفة حيث استكملت عناصر الهوية المغربية الدينية والاجتماعية والسياسية من خلال المذهب المالكي والتصوف السني تدينا، والشخصية

المغربية المنفتحة والحاضنة لفسيفساء التنوع الاجتماعي والديني المغربي اجتماعيا، وقبل ذلك وبعده في نموذج الحكم الذي انتهى إلى إمارة المؤمنين بالخصوصية المغربية نظام حكم واختيارا سياسيا، ولا غرو في ذلك ما دام أن "تاريخ المغرب حافل بهذه المواقف والأحداث الخالدة التي تشهد على التلاحم القوي بين العرش والشعب في مواجهة الصعاب"¹.

ولا زالت هذه الذكرى راسخة في الوجدان المغربي تتوارثها الأجيال، لأن أحداثها ارتبطت بما عاشه المغاربة من محطات قاسية مع الاستعمار على إثر اتفاقية الحماية الموقعة سنة 1912م وسعي المغاربة نحو إسقاط بنودها الجائرة وسقوط العديد من الشهداء بعد الثورات التي عرفتتها عدة مناطق من المملكة المغربية، ثم توالى الأحداث إلى أواخر الأربعينات حيث بدأ الاستعمار يفكر في التخلص من الملك محمد الخامس الذي كان حريصا على وحدة المغرب وتماسكه الحضاري كما عبرت عن ذلك رحلته لطنجة يوم 9 أبريل 1947م، وما وازاها من بطش استعماري كان الهدف منه ثني السلطان عن رحلته تلك، وهو الأمر الذي لم يفت من عزيمة السلطان فأتمها وعبر من خلالها عن وحدة المغرب وتطلعه لاستقلاله، الأمر الذي لم يرق للمستعمر فأوعز إلى أتباعه بتكوين هيئة الباشوات والقواد الذين سعوا إلى خلع السلطان وتنصيب بنعرفة، مما عنى لدى المغاربة مسا في مقدساتهم وطمسا لتاريخهم ومسحا لهويتهم التي تشكل الملكية ركنها المتين، فبرزت "روح الشعب المغربي مرة أخرى لتحمي السيادة ممثلة في محمد الخامس وهو الشيء الذي لم يفهمه الفرنسيون حكومة وإقامة قبل أن يرتكبوا خطيئة 20 غشت"².

ولم يحتج المستعمر وقتا طويلا ليدرك أن مرامه ليس عرضا قريبا، وهو الأمر الذي عبر عنه خير تعبير ادكارفور بإشارته إلى أن "عاهل المغرب ليس قائدا وحسب، بل هو قائد ديني والوظيفة الدينية هي أكثر قوة". لقد أدرك هذا المقيم العام الحقيقة - كما يشير إلى ذلك عبد الكريم غلاب³ - ورأى بأم عينيه المواطنين يهتفون بحياة محمد الخامس ورأى سيدة شعبية تشير له بين الجموع بباقة ورد وهي تحييه وتهتف بحياة ابن يوسف، بل أكد لادكارفور أحد الضباط، أن تلاميذ المدرسة العسكرية بمكناس، التي كان يفخر بها الجنرالات الفرنسيون، لا زالوا أوفياء لابن يوسف. ولا زال هذا الوفاء وهذا الارتباط ممتدا إلى يوم الناس هذا.

1 - من خطاب الملك محمد السادس 20 غشت 2020م.

2 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج2، ص711.

3 - نفسه، ج2، ص712.

لقد سعى الاستعمار بكل تقنياته الاقتصادية والسياسية والعسكرية إلى تفكيك المركب الحضاري المغربي- حسب تعبير أحد الباحثين⁴- الذي تشكل عبر العصور من خلال مكوناته المتمثلة في الأصول الحضارية (العقيدة والتشريع والأخلاق) وأركانه الحضارية، ومنها العادات والتقاليد والأعراف، ثم المرتكزات الحضارية (الجيو سياسي والاقتصادي والإنساني).

لذلك، فإن المقوم الذي ظل المغرب عبر تاريخه يسعى للحفاظ عليه ضمن ما سعى إليه ملوكا وشعبا هو استمرارية نموذج الشخصية الحضارية المغربية التي تميزت أساسا باستحضار الأبعاد الاجتماعية في العمق والوجدان المغربي، فكان العرش العلوي صمام أمان، والعامل الأساس في ذلك والثابت الذي لم يتبدل ولم يكن محل نقاش طيلة تاريخ الدولة العلوية.

إن الاستعمار وهو يستهدف الكيان المغربي، لم يكن ليغيب عنه أن هذا المغرب بلد له تاريخ وحضارة وامتداد، وأن المجتمع المغربي ليس كباقي المجتمعات، لذلك فإن كل التفسيرات لبنيته الاجتماعية لم تفلح في النفاذ إلى عمقه الاجتماعي، فظل عصيا على التفكيك بله المحو، ولنا أن نتذكر أنه في الفترات التي لم تكن له القدرة على المواجهة المادية العسكرية لم يستسلم لمخططات الاستعمار كما تجلّى ذلك في الرد ضد الظهير البربري ونشوء حركة اللطيف، وهو الأمر الذي أنبأ ساعتها عن صحوة مغربية ووعي عميق بما يحاك ضد المغاربة، ونعتقد أن نجاح المقومات بكافة عناوينها لم يكن ليتم لولا التماسك الاجتماعي الذي ميز المغاربة.

الشيء نفسه حصل عند كل محاولة من المستعمر للتفريق بين المغاربة والعرش العلوي، سواء عبر التقسيم وتعدد التسميات (منطقة سلطانية ومنطقة خليفية وأخرى دولية)، أو التمييز بين المحميين وغير المحميين أو حتى التجرؤ لتنصيب "سلاطين" لم يكن لهم وقتئذ من المشروعية إلا ما منحهم إياه الكيان الاستعماري الغاصب، فكانوا يبادق في رقعة شطرنج وضمن لعبة لا شك لم يفهموا قواعدها، وكل هذه الممارسات رد عليها المغاربة ردودا متنوعة وغير متباعدة تصب جميعها في رفض النموذج الاجتماعي الذي يسعى الاستعمار لفرضه.

ولما لم يفلح الاستعمار في كل ما فعل كان من بين ما سعى إليه إبعاد السلطان محمد الخامس وعائلته الملكية، في محاولة لتفكيك المركب الحضاري المغربي في شق العلاقة بين الرعية والراعي، ناسيا - أي الاستعمار - أو متناسيا أن تلك العلاقة ليست وليدة لحظة عابرة وزمن قصير، بل لها

4 - أحمد العماري، نظرية الاستعداد في المواجهة الحضارية للاستعمار، المغرب نموذجا، ص 5-6.

جذورها في العقل والقلب والوجدان المغربي، وأنها تأسست من خلال أبعاد دينية واجتماعية ووجدانية.

وعلى الرغم من قساوة الإبعاد والظروف المحلية والدولية المحيطة به إلا أنها ساهمت في إدراك المغاربة لتمييزهم وعمق الأواصر التي جمعت الراعي بالرعية ووحدة الأهداف، ذلك أن أمما أخرى لم تستطع في مراحل من تاريخها الصمود أمام أقل القليل من مثل ما تعرض له المغاربة وأن قيادات أخرى في باقي العالم لم تستطع أن تتحمل عشر معشار ما تحملته الملكية في المغرب من أجل الحفاظ على استمرارية المملكة المغربية ووجودها وصمودها وسط أعاصير التحولات الدولية والإقليمية آنذاك، وهو الأمر الذي جعل هذه الذكرى كما قال الملك محمد السادس في خطابه يوم الاثنين 20 غشت 2019م: "بما تحمله من دلالات ومعاني عميقة" .. "ثورة إيجابية رغم أنها كانت في ظروف قاسية"، لذلك فقد انبجست من هذه القساوة وخففت من غلوائها قيم التماسك الاجتماعي وهو ما يجعل من النظام الملكي صمام أمان اجتماعي مع ضمانه السياسي لاستمرارية الدولة المغربية في نظمها ومظاهرها الحضارية الكبرى.

لقد ساهم هذا التماسك الاجتماعي في تفويت الفرصة على المخططات الاستراتيجية للاستعمار ومكن في الوقت ذاته من التأسيس لتقاليد العلاقة بين العرش والشعب المغربي، وهو الأمر الذي تجلّى خلال ثورة الملك والشعب حيث "تميزت هذه الثورة المجيدة بروح الوطنية الصادقة، وبقيم التضحية والتضامن والوفاء من أجل حرية المغرب واستقلاله"⁵.

وغني عن البيان أن هذا الحرص قد تجلّى في العهد الجديد في استراتيجيات المملكة المغربية ذات الأبعاد الاجتماعية والتضامنية، مما لا يتسع المقام لبسطه هنا، وبعناوين مختلفة كلها تصب في بوثقة التضامن الاجتماعي والرعاية الاجتماعية، التي لم تعد شأنًا محليًا بل تعدته إلى باقي العالم الإسلامي والإنسانية في إطار الأدوار الحضارية التي تميز بها المغرب عبر تاريخه المجيد، ولا شك أن ذلك جذورًا في التاريخ المغربي القريب والبعيد، ستبقى عصية على الاجتثاث ملهمة للأجيال.

5 - من خطاب الملك محمد السادس 20 غشت 2020م.

ثورة الملك والشعب قوام الوحدة والتلاحم وأساس التنمية والتقدم

ذ. إبراهيم بنزيدي

عضو المجلس العلمي المحلي
لعمالة مقاطعة عين الشق.

لقد كانت ثورة الملك والشعب حدثا عظيما في تاريخ مغربنا المعاصر، استطاع من خلال الجهود التنسيقية بين الملك وشعبه ممثلا في نخبة من مناضليه الأوفياء الحد من جبروت المستعمر الذي أهان مقدساتنا وعطل إرادتنا وأراد أن يستعبدنا، لكن شهامة هذا الشعب العريق صاحب التاريخ التليد الوفي لمقدساته الدينية والوطنية الطامح للانعتاق والحرية أبى إلا أن يقف وقفة رجل واحد وأن يرقى جميع المنابر بشتى ألوانها وأطيافها وينادي بالحرية في تلاحم فريد بين الملك وشعبه شهد له وأشاد به القاصي والداني.

ولأجل تجديد العهد للوطنية المغربية وللبيعة الشرعية للدولة العلوية، يأتي يوم 20 غشت من كل سنة ليخلد هذه الذكرى المجيدة التي تذكر جميع المغاربة بتلك الفترة العصيبة التي كانت سببا في استرداد الحرية والاستقلال الوطني.

إن الحرية التي حصل عليها المغاربة إثر هذا الحدث تعتبر منطلقا لرقى المغرب إلى المكانة اللائقة به من بين دول العالم، وتؤكد على الحب والوفاء المتواصلين بين الملك وشعبه، وتعلم أبناء هذا الوطن أن هذا الاستقلال لم يقدم للمغرب على طبق من ذهب وإنما حصل عليه بعد جهد جهيد وعناء كبير ومقاومة ونضال وإراقة لدماء الشهداء الأبرار وإبعاد ملك المغرب جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه عن وطنه ومأواه.

لقد شهد المغرب قبل هذه الثورة المباركة فترة أساءت إلى المغاربة إساءة بليغة حيث فرضت عليهم قيودا منعتهم من تدبير شؤون بلادهم بأنفسهم بكل حرية وسيادة، وتسببت في خسائر كثيرة دامت مدة أربع وأربعين سنة.

هذه المدة التي ذهبت سدى من عمر هذا البلد استطاع بعد هذه الثورة أن يتداركها بفضل حنكة وحكمة ملوكه الثلاثة ويجولها من ركود وكساد إلى رقي وتطور ونماء. ولولا دهاء المغاربة ووفائهم القائم على البيعة الشرعية لكان المغرب على وشك حرب أهلية تحرق الأخضر واليابس.

لقد عاملنا الاستعمار بمنتهى الخسة والحقارة، ولم يأل جهدا في إذلال المغاربة ومحاولة استعبادهم وتبخيس مطالبهم، فأقدم على قمع مقاومة الشعب وخلع ونفي ملكه الشرعي وتعيين الخائن محمد بن عرفة سلطانا على المغرب في الخامس عشر من غشت سنة 1953م، إلا أن المغاربة لم يظلوا مكتوفي الأيدي فهبوا جميعا في انسجام لا نظير له يتولاه زعماء من الحركة الوطنية يتوسطون بين الملك وشعبه من خلال تخطيط مدروس وتنظيم محكم أفضى في النهاية إلى مقاومة أعادت إلى المغرب سيادته وملكه وحقت حريته وانعتاقه.

إن يوم العشرين من غشت سنة 1953م يعد يوما فاصلا بين مرحلتين: مرحلة الاستعمار الغاشم ومرحلة الاستقلال المجيد، كما يعد يوم حداد وحزن على إثر خلع ملك البلاد عن عرشه ونفيه هو وأسرته الكريمة إلى مدغشقر، بالإضافة إلى ذلك فإن العالم بأسره عاين تضحية متبادلة بين الملك وشعبه في أسمى معانيها، ملك يرفض كل المساومات لأجل التنازل عن عرشه وشعب يأبى خلع ملكه وإبعاده عنه، فبذل الغالي والنفيس من أجل استرجاع ملكه واسترداد حريته وكرامته، فكان له ذلك وعاد الملك محمد الخامس إلى وطنه وشعبه مبشرا بنهاية الحجر والوصاية مرددا قوله تعالى: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

بهذا النصر استطاع العلماء أن يلهجوا بفرحة الاستقلال من على المنابر ويحمدوا الله على أن مكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، واستطاع الشعراء أن ينظموا قصائدهم في مدح قائد ومحرر البلاد، وتعزيزه فيمن استشهد من أبناء الوطن كالشهيد الزرقطوني وعلال بن عبد الله وغيرهما، واستطاع زعماء المقاومة أن يتلذذوا بنصرهم ويفخروا بحسن صنيعهم في انسجام تام وتوافق عام، فكان كما قال الشاعر عبد الرحمن الدكالي:

واحد من بنيهِ يقصد شرا
إخوة كلهم يؤمل خيرا¹

نحن أبناءه جميعا وحاشا
إنما الشعب أسرة وبنوه

1 - دعوة الحق عدد دجنبر 1959م.

فكان الضامن لهذه الوحدة في ذلك الوقت هو جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، إذ لم الشمل ووحدة الصفوف، وفي ذلك يقول الشاعر محمد الحلوي:

فأعدها سمحاء تنتظم الشـمـم ل جميعا وتقتل الأضـغانا
واحـتـضـنـها رعيـة عـرـفـت فـيـ ك شـفـوقـا يـوطـئ الأـحـضانـا²

ومن مظاهر هذه الثورة المباركة أنها تحققت وآت ثمارها باجتماع أمرين هما: القول والفعل، أما القول فقد كان للكلمة أثرها في نفوس المقاومين والمناضلين، فكانت المنابر تهتز بخطابات العلماء ورجال المقاومة، وكانت دروس الشيخ محمد بن العربي العلوي بجامع القرويين كمثال على ذلك تذكى روح الوطنية وتبعث على التشبث بالبيعة وعدم التهاون أو التفريط في مقدسات الوطن. وهكذا رويدا رويدا تشبع المغاربة بروح الوطنية الصادقة وتمسكوا ببيعة ملكهم الشرعي وتقوت عزائمهم فكان أول رد فعلي وهو الأمر الثاني تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال برعاية المغفور له محمد الخامس رحمه الله، أعقبته بعد ذلك مباركته لهذا المطلب المشروع، هذه المباركة التي تجلت في خطابه الشهير بمدينة طنجة في أبريل من سنة 1947م، وكان من أهم مضامينه حض الشعب على عدم التنازل عن وحدة ترابه وتحقيق الاستقلال الكامل.

وبعد حصول المغرب على استقلاله ورجوع رمز السيادة حاملا معه بشارة الاستقلال لشعبه معلنا عن نهاية عهد الحجر والحماية ألقى خطابه التاريخي وأوصى رعيته بالاستعداد للجهاد الأكبر وتكثيف الجهود من أجل التصدي لكل ما يهدد المغرب من أخطار فقال رحمه الله: (إن في أعناقنا هؤلاء الشهداء الأبرار أمانة يجب علينا تأديتها تأدية تنال رضاهم. تلك هي تكثيل قوانا جميعا للوقوف في وجه كل خطر عدواني، ولحماية استقلالنا الفتى وذلك بالاتحاد والتعاون والامثال).

ومن أجل العمل بوصية رمز المقاومة، قام شباب المغرب وفي مقدمتهم ولي العهد آنذاك جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله الذي وقف إلى جانب والده يستنصره ويشد عضده، فخاض معه معركة الاستقلال وكان مرافقا له كظله وخير معين له على الشدائد والمحن، فاستلهم منه شباب المغرب روح التضحية والوفاء فهبوا المقاومة المستعمر بشتى أنواع المقاومة والنضال فكريا وسياسيا ودفاعيا.

2 - من ديوانه: أنغام وأصداء.

وبهذه الطريقة تحقق التحام الشعب بالعرش فكانت له نتائج طيبة استمرت في الزمان والمكان ونعم المغرب بعد ذلك بالطمأنينة والسلام، ويلخص هذا المعنى قول الشاعر عندما قال:

فيا وطن الأحرار نلت المنى فسر	على نهج أسلاف عظام بإحسان
دعوا للمعالي شعبهم فاستجاب وهـ	وراض على الرشد القويم بإيمان
وثورة نصر قـادها ملك رأى	كرامة شعب لا تنال بخـذلان
فباركها شعب أبي رأى سـلا	مة العرش والبلاد عزا للأوطان
فظل على منهج المهـمام يسير ثا	بت الخطـوييني كل فضل بإتقان ³

إن المغرب بهذا الحدث التاريخي العظيم الذي مكّنه من استعادة حريته قد أعطى دروسا لغيره من البلدان الإفريقية التي عانت كذلك مثل ما عانى، فبمجرد حصول المغرب على استقلاله بادر بكل ثقله الدبلوماسي إلى التعاون مع المقاومة في سائر البلاد الإفريقية بحكم الانتماء التاريخي والارتباط الجغرافي بهذه القارة السمراء.

وما سعي أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره لتمتين العلاقات وتوطيد الصلات بين المغرب وكثير من جيرانه وبلدان هذه القارة إلا دليل على وعي المغرب بحكومة وشعبا بضرورة تكريس الجهود لجبر كل الأضرار بغية بناء حضارتنا وترميمها وإعادة الاعتبار لهذه القارة والمساهمة في تنمية شعوبها وتقديم أوطانها.

لقد كان خطاب العرش بمناسبة الذكرى الثالثة والستين (63) لثورة الملك والشعب الأثر البالغ في رسم خريطة الطريق الجديدة التي رسمها المغرب في سياسة تعامله مع جيرانه الأفارقة لاسيما بعد عودته إلى مكانه الطبيعي من بين دول القارة السمراء بعد أن أصبح فاعلا لا يستغنى عنه في جميع مظاهر التنمية المستدامة، علاوة على أنه يمثل الامتداد الطبيعي والعمق الاستراتيجي لإفريقيا، ولا أدل على ذلك ما نهجه المغرب بقيادة جلالته في تسوية ملف المهاجرين الأفارقة من باب سياسة التضامن التي يؤمن بها مع مد يديه إلى كل من أراد المنفعة المشتركة للمواطنين الأفارقة وذلك بإنجاز البنيات التحتية وتوفير فرص الشغل وإنشاء مراكز التكوين المهني والتقني وغير ذلك.

3 - من قصيدة مغرب الأجداد لمحمد الحجوي.

وها هو المغرب بفضل سياسة جلالته المتبصرة والحكيمة استطاع أن يكسب عددا من المكاسب القارية والدولية بوأته المكانة اللائقة به لكونه ينتظم مع جميع القرارات التي تصدر عن المجتمع الدولي والتي تعزز احترام المغرب لحقوق الإنسان وتضمن له كرامته وحرية وتحفظ له دينه وهويته وتبقي على سلامته وأمنه انطلاقا من إمارة المؤمنين التي تعتبر أحد ثوابت الأمة وتعد الحصن الحصين منذ قرون خلت في استتباب الأمن الروحي لجميع المغاربة.

عندما نستحضر هذه الذكرى فإننا نستحضر معها كثيرا من الدروس والدلالات التي يجب على كل المغاربة الوفاء لها والعمل بها على اعتبار أنها أصبحت جزءا لا يتجزأ من ذاكرة المغرب والمغاربة.

ومن هذه الدروس والدلالات التي تساهم في الحفاظ على هويتنا ومقدساتنا، وتضمن لنا الاستقرار والرقى والازدهار في ظل الألفية الثالثة نذكر ما يلي:

- الاستقلال الذي حققه المغرب بعد ثورة الملك والشعب لم يقدم للمغاربة على طبق من ذهب، بل جاء نتيجة عناء الأوفياء وإراقة دماء الشهداء على تربة هذا البلد.

- وعليه، وجبت المحافظة على هذه الحرية واستثمارها في توحيد جميع المغاربة تحت راية واحدة وقيادة شرعية تتمثل في وارث السر وضامن الوحدة الوطنية جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره.

- ألا ندع مجالا للكائدين والحاسدين والمشوشين والفتانين لزرع بذور الشقاق والتفرقة بين أبناء هذا الشعب.

- يعتبر هذا الاستقلال أمانة في أعناق جميع المغاربة كما صرح بذلك أب المقاومة في خطابه بمناسبة استقلال المغرب يجب الوفاء لها.

- تحقيق التنمية المستدامة وضمان كرامة المواطن المغربي والحفاظ على حقوقه المشروعة، وهذا هو عين ما يقوم به أمير المؤمنين جلال الملك محمد السادس حفظه الله انطلاقا من أعماله المستلهمة من فحوى خطاب جده عندما حض شعبه على الجهاد الأكبر وهو جهاد ضد الفقر والجهل والتخلف. فكانت سياسته أعزه الله رائدة في هذا المجال غايتها تحقيق نهضة شاملة تعم المغاربة قاطبة سواء كانوا في بلدهم الأصلي أو خارجه بدول المهجر، ثم إن هذه السياسة الرشيد التي همت الجانبين

معا الديني والديني أصبحت تصدر إلى دول عربية وإفريقية بعد النجاح الباهر الذي حققته على كثير من المستويات لاسيما في مجال التنمية البشرية المستدامة واستتباب الأمن الروحي.

يجب على كل المغاربة أن يتحملوا مسؤولياتهم كل بحسب موقعه ويستشعروا ضرورة العمل بما يخدم مصالح هذا البلد، وأن يستغلوا ثرواتهم البشرية والطبيعية الاستغلال الحكيم علما أن المغرب يملك طاقات بشرية ومادية متنوعة لن يكون معذورا إذا هو أهدرها وأضاعها وفرط فيها، كما يجب أن يعوض تعويضا مضاعفا السنوات التي ضاعت بسبب الحجر والحماية والاستعمار، وذلك بتكثيف الجهود من أجل مستقبل زاهر وبلد رائد وما ذلك على ملك المغرب وشعبه بعزير.

العرش العلوي المجيد: تاريخ من الجهاد والنضال المشترك

د. وسام شهير

كلية الآداب - وجدة.

يمكن اعتبار المقاومة المغربية للغزو الأجنبي من أطول المقاومات تاريخاً، لامتدادها من منتصف القرن الخامس عشر إلى حدود منتصف القرن العشرين، لمدة تفوق خمسة قرون من الزمن، أي من تاريخ احتلال سبتة سنة 1415م إلى حدود توقيع معاهدة الاستقلال سنة 1956م، وما ميز هذه المقاومة كذلك هو طابعها المشترك بين القيادة السياسية والشعب¹، حيث لم يقتصر الفعل الحربي كما روج له على المقاومة الشعبية ومقاومة القبائل بل كان فعالاً مشتركاً بين السلطة المركزية "المخزنية" وباقي أفراد الأمة. كما امتاز مسار المقاومة للوجود الأجنبي بتعدد مراحلها وميادينه، فكل مرحلة وكل ميدان يعد سجلاً حافلاً للقومية المغربية، وللوعي الوطني المناهض للوجود الأجنبي.

ولإحاطة بتلك المراحل نتبع النسق الآتي:

- حراسة الحدود والثغور،
- معارك تحرير الثغور،
- معارك ضد التدخل الأجنبي،
- معارك ضد توسيع حدود الثغور،
- معارك المقاومة الراضية لنظام الحماية،
- حراسة الحدود والثغور.

1 - إلى حدود المنتصف الثاني من القرن التاسع عشر استفادت القبائل المجاهدة من الدعم المخزني، والذي تجلّى أساساً في مد حركات المقاومة بالدعم المادي والمعنوي، حيث قاد سلاطين المغرب العديد من المعارك في مواجهة الاحتلال الإسباني للثغور المغربية بالساحل المتوسطي، خاصة في الفترة الأولى للحكم العلوي متمثلاً في قيادة المولى إسماعيل لحصار سبتة وكذا سيدي محمد بن عبد الله لحصار مليلة، غير أن هذا الدعم تراجع بعد معركة إسلي سنة 1844م وتزايد الضغوط الأجنبية على المغرب، لتقف السلطة المخزنية بعدها مضطرة في وجه كل حركات المقاومة خشية مما كان يفرض عليها من عقوبات وغرامات خاصة بعد حرب تطوان: 1859-1860م وتولية محمد بن عبد الرحمن الحكم، حيث وقع المغرب على معاهدات تلزمه بوقف كل أشكال المقاومة بالساحل الشمالي والتي استهدفت بوجه خاص ثغر مليلة.

تشهد الوثائق والمراجع التاريخية بمختلف مصادرها - خاصة الأجنبية منها - أن نظام حراسة الثغور والحدود ظل على الدوام في حالة من اليقظة والتعبئة لم تنل منه الأحداث الداخلية واضطرابات دواليب الحكم، إذ أن المغربي المجاهد كان مخلصا للبيعة الشرعية، وولائه الوطني، وفيما لتنظيمه الحربي، ملازما على تعمير رباطه المقابل للخلايا الأجنبية الغازية²، معتمدا في هذا على الدعم المركزي وكذا المحلي. ومن أمثلة هذه الحراسات والمسماة جنادة³، نذكر:

2 - يصعب تحديد مفهوم الرباط بدقة، إذ تختلف وظائفه حسب الأمكنة والعصور وحسب الظرفية التاريخية لكل جهة، وعموما وقبل أن يفقد وظيفته العسكرية كان الرباط مكانا للمواجهة المسلحة مع العدو، وذا طبيعة دفاعية بالأساس، وقد يكون مبنيا على شكل قلعة أو حصن يلتجئ إليه سكان المناطق المجاورة للتحصن به من الغارات المسيحية البحرية عليهم كحال رباطات الساحل المتوسطي أو الأطلسي التي كانت كذلك قلاعاً دفاعية يتحصن بها السكان كلما داهمهم الخطر، ليصبح الرباط فيما بعد مكانا يجتمع فيه أهل الصلاح للعبادة والتبتل والزهد والدعوة إلى كلمة الله من خلال الوعظ والإرشاد. ولهذا يحصر غالبية المؤرخين دور الرباط في هاتين الوظيفتين.

كما يمكن الوقوف كذلك على الوظيفة الاقتصادية للرباط باعتبار المواسم السنوية المخصصة لكل واحد منها، خاصة تلك التي تقع في موقع تقاطع الطرق التجارية البرية والبحرية. حيث يعقد في أحد الأعياد الدينية الإسلامية الثلاث: عاشوراء أو في عيد الأضحى، أو في السابع والعشرون من رمضان. ونادرا ما يكون للرباط الواحد أكثر من موسم واحد. ويكون هذا الموسم الذي يدوم أياما معدودة، حوالي أسبوعين، تظاهرة ثقافية واجتماعية يلتقي فيها السكان والتجار من مناطق متباعدة.

أما بالنسبة للعوامل التي ساهمت في تأسيس الربط فيمكن أن نحصرها في عاملين رئيسيين هما:

- الصراع بين الإسلام والمسيحية على ضفتي البحر الأبيض المتوسط، وهو ما يفسر جزئيا ظاهرة تركيز غالبية الربط على الساحل المتوسطي.

- العوامل الثقافية المحلية، حيث تختلط فيها الممارسات المسيحية السابقة بشمال إفريقيا والمتمثلة في رسوخ تقاليد بناء الصوامع والأديرة للرهبان خارج المدن يتزهدون ويتحنثون بها. وتشير عدة مصادر إلى وجود مثل هذه المعابد قبل الإسلام في الأمكنة ذاتها التي أسست فيها جل الرباطات الهامة. أما تأثير الممارسات الوثنية المحلية السابقة للإسلام فنلاحظها في حمل بعض الرباطات لمرادفها الأمازيغي.

أنظر:

- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981م، ص 99.

- محمد ضريف، مؤسسة الزوايا بالمغرب الإسلامي: مساهمة تركيبية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط 1 الدار البيضاء، السنة الأولى، العدد الأول، دجنبر 1986م، ص 28.

3 - جنادة صبيغة مشتقة من الجند، استعملت بمنطقة الريف الشرقي خاصة للدلالة على مقر إدارات القصبات ومحطات حراسة الحدود المشرفة على مراكز الوجود الأجنبي. وهناك في نطاق حدود الريف الشرقي أربع جنادات: فرخانة، كبدانة...

جنادة الكرمة⁴:

هكذا دعي هذا الرباط من خلال الوثائق المخزنية منذ منتصف القرن التاسع عشر ارتباطا بأشجار التين المنتشرة بساحته، وقد كان قبل ذلك يسمى رباط مليلة منذ تأسيسه في القرن السادس عشر.

جاء تشييد هذا الرباط كنتيجة لاحتلال مدينة مليلة سنة 1497م، واندلاع المقاومة بالمنطقة، حيث شكل الموقع نقطة استراتيجية مكنت المجاهدين من رصد ومراقبة كل تحركات الجنود الإسبان بالقسم الغربي للثغر المحتل، ومنعهم من محاولات توسيع حدود الثغر المحتل، وهو ما دفع سلطات مليلة إلى مطالبة السلطان المغربي أكثر من مرة بهدم الموقع، وهذا ما نجده تقريبا في كل الاتفاقيات الموقعة بعد حرب تطوان، ابتداء بالاتفاق الموقع بين السلطان محمد بن عبد الرحمان والسلطات الإسبانية في 24 غشت 1859م والمتعلق بتوسيع حدود مليلة ليشمل الأراضي الواقعة غربي المجري الجنوبي لوادي الذهب "RiodeOro" كما يسميه الإسبان، أو واد المدور عند المغاربة، هذه المساحة التي تضم كل من رباط الكرمة إضافة إلى ضريح الولي الصالح سيدي ورياش، وبشكل خاص اتفاقية سنة 1863م التي نصت على ضرورة إخلاء رباط الكرمة من المرابطين به وهدمه ومرتفقاته واقتلاع كل أشجاره.

جنادة كبدانة:

تأسست جنادة كبدانة كباقي المراكز العسكرية بالمنطقة على يد القبيلة وتحت إشراف السلطات المخزنية، حيث ساهمت قبيلة كبدانة في تشييد هذا الرباط على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان المشرف آنذاك على الحراسة مرابط دعته الوثائق الإسبانية بسيدي البشير. وهو المقدم البشير بن محمد بن أحمد بن الطاهر.

4 - وجب التذكير هنا بالخلط الدائم بين قصبة فرخانة وجنادة الكرمة، حيث نجد البعض يرجع تشييد قصبة فرخانة للفترة الإسماعيلية سنة 1679م في حين أن تشييدها يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر لتعويض بذلك جنادة الكرمة التي دخلت تحت السيطرة الإسبانية بعد توسيع حدود مليلة بموجب اتفاقيات حرب تطوان، وقد عرفت قصبة فرخانة محليا بدار المخزن، وقد تأسست كما أشرنا أواخر القرن التاسع عشر بأمر من السلطان العلوي محمد الرابع "محمد بن عبد الرحمان" بمساعدة سكان قبائل قلعية "مزوجة- آيتشيشار- آيت بويفرور- آيت سيدال- آيتبويفار" وتحت إشراف قائد القبيلة المختار ألعلم، وجاء تشييد القصبة تنزيلا للاتفاقيات الموقعة عقب حرب تطوان 1859-1860م وأهمها اتفاقية 24 غشت 1859م واتفاق 26 أبريل 1860م.

عمل سيدي البشير بالتنسيق مع المجاهد محمد الرتبي النصري ضمن الجيش السلطاني المحاصر لمدينة مليلة السليبية، فقام باعتراض السفن الإسبانية المارة بساحل كبدانة، وقد سباه الإسبان آنذاك بالوحش الرهيب.

وضعت الحراسة بمسجد الرباط، والغاية من إيجاد الحراسة هي: منع المغاربة من ركوب البحر إلى جزر ملوية "كبدانة" بقصد البيع والشراء، وكذا منع رسو السفن الإسبانية. وحسب أحد أئمة المسجد أن السلطان رتب للفقير المقدم أجرا مقداره 50 مثقالاً⁵.

معارك تحرير الثغور:

وهي مجموع المعارك التي شنها المغاربة في محاولة لاسترجاع الثغور المحتلة، والتي أثمرت عن تحرير العديد منها، وبقاء أخرى تحت الاحتلال، ويمكن في هذا المجال إيراد محاولات استرجاع مدينة سبتة على عهدي المولى إسماعيل سنتي 1694 و1727م، وكذا المولى اليزيد سنتي 1791 و1792م. دون إغفال مليلية السليبية التي شهدت أهم هذه المعارك وأطولها خلال فترة حكم سيدي محمد بن عبد الله، عبر حضور السلطان المغربي بجيشه ومخزنه وبقائه شخصيا بالميدان الحربي ما بين 9 دجنبر 1774 و16 مارس 1775م، أملا في تحقيق تحريرها من الاحتلال الإسباني⁶.

معارك ضد التدخل الأجنبي:

وهي كثيرة، نركز على المشهور منها:

معركة إسلي 1844م:

جاء اندلاع هذه المعركة كنتيجة مباشرة للدعم الذي قدمه السلطان عبد الرحمان بن هشام للمقاومة الجزائرية، حيث احتضنها ودعمها بالعتاد والعدة، وجعل من مواطني الجزائر النازحين إلى المغرب مواطنين مغاربة يتمتعون بنفس الحقوق، مقطعا إياهم مساحات شاسعة من الأراضي في

5- حسن الفيكيكي، مادة "جنادة"، معلمة المغرب، المجلد التاسع، مطابع سلا 1998م، ص 3098.

6 - قام السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بتسخير جميع إمكانياته الحربية والدبلوماسية والمالية خلال ثمان عشرة سنة من دراسة المشروع وإعداد جميع إمكانيات النجاح العسكرية والدبلوماسية لمحاولة تحرير مليلة من رقة الاستعمار الإسباني. تبتدئ هذه المرحلة من سنة تولية السلطان عام 1757م وتنتهي سنة 1775م، سنة اليأس من تحقيق مشروع استرجاع مليلة بعد محاولة استمرت خلال ثلاثة أشهر، ما بين 9 دجنبر 1774م و16 مارس 1775م. حاول أثناءها الجيش المغربي بقيادة السلطان نفسه إرغام الحامية على الاستسلام بما أعده لها من العدة والعتاد والخطط الحربية، المتمثلة في هدم الأبراج وتنظيم الهجوم العام.

العديد من جهات المملكة، ليجد السلطان نفسه في مواجهة مباشرة مع الاحتلال الفرنسي، مجبراً على خوض حرب غير متكافئة في سبيل الدفاع عن كرامة وحوزة الوطن.

حرب تطوان: 1859-1860م:

شكل إعلان وفاة السلطان عبد الرحمان بن هشام منطلقاً للعدوان الإسباني على الأراضي المغربية، حيث استغلت إسبانيا رفض المغرب للشروط التعجيزية التي فرضتها في مفاوضاتها⁷، معلنة الحرب عبر احتلال مدينة تطوان والتهديد باكتساح باقي الأراضي المجاورة رغم المقاومة المغربية والتي تزعمها مولاي العباس أخ السلطان.

معارك ضد توسيع حدود الثغور:

في هذا الصدد يمكن التركيز على شكل آخر من المقاومة، وهي المقاومة السياسية التي تصدى لها السلاطين المغاربة من خلال المفاوضات والمراسلات مع مختلف القوى الاستعمارية، وفي هذا الإطار يمكن القول: إن التفاوض لم يكن فردياً وفيه استبداد بالرأي، بل كان بعد استشارة أهل الحل والعقد، كما كانت مصلحة البلاد والعباد أساس كل الاتفاقيات المبرمة والموجه الرئيسي لكل البنود، بهدف وضع حد للأطماع الأوروبية خاصة الإسبانية منها في توسيع حدود مستعمراتها بالشمال المغربي وشرعنة احتلالها للثغور المغربية، على غرار اتفاقية سنة 1767م المبرمة بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله والملك كارلوس الثالث، والتي جاء في بندها التاسع عشر توسيع الثغور المحتلة "سبتة، مليلة، النكور وبادس"، مما أوجب تدخل السلطان المغربي عبر مراسلته للملك الإسباني لوضع حد لهذه الأطماع بطرق دبلوماسية، حيث جاء في جوابه: "... والمسألة الثانية وهي الحدود، اعلم أن هذه الحدود جعلها الملوك المتقدمة وخطوها بعد أن أحضروا علماء الوقت والقضاة والعدول والجماعة من المسلمين وأنزلوا خطوط أيديهم بأن لا يحدث فيها نقص ولا زيادة، ومن ذلك الزمان والملوك الذين يتولوا أمر الرعية يجتهدون بالعسة بها والحراسة لها بالوجه الشرعي، بلا سبيل لمن يريد الزيادة فيها ولا النقص، ولو كانت هذه المسألة جائزة في ديننا لجدنا عليكم بها مراعاة لمحبتك وخدمتك"⁸

7 - تجلت هذه الشروط في:

- إعادة رفع العلم الإسباني على مركز إسباني حديث البناء خارج حدود مدينة سبتة، وقيام الجيش المغربي بتقديم التحية العسكرية له في نفس المكان الذي نكس فيه.
- أن يساق المغاربة المتهمون بمهاجمة المركز وتنكيس العلم الإسباني إلى سبتة لمعاقتهم أمام سكانها وحاميتها؛
- حصول إسبانيا على حق بناء التحصينات التي تراها ضرورية لأمن سبتة.

8- حسن الفيكيكي، المقاومة المغربية للوجود الإسباني (1697-1859م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، 1997م، ص 254.

والنتيجة النهائية أن لا مجال لتوسيع الحدود: هذا القرار هو الذي أسفرت عنه استشارة السلطان لجماعة العلماء والفقهاء والأشراف والأعيان. كان هذا الإجماع هو الذي بنى عليه السلطان جوابه إلى كارلوس الثالث بتاريخ فاتح محرم 1181هـ/28 مايو 1767م.

معارك المقاومة المسلحة الرافضة لنظام الحماية:

شكل الاستعمار الأجنبي للمغرب دافعا أساسيا لتعزيز اللحمة الداخلية من خلال تحالف مختلف قوى البلاد من قبائل وزوايا وطرق تحت راية العرش العلوي المجيد، بهدف مجابهة قوى الاحتلال وصد توسعاتها واعتدائها على حرمت الوطن، وذلك عبر تشكيل العديد من التحالفات، وتموين ودعم العديد من الجبهات التي استعرت فيها نار المقاومة المسلحة كالجبهة الشمالية الشرقية، والتي عرفت دعما منقطع النظير، وبخاصة من الجنوب المغربي، حيث رفعت القبائل الصحراوية راية الجهاد، معلنة النفير دفاعا عن حوزة الوطن تحت راية العرش العلوي المجيد.

خاتمة

يمكن الوقوف على العديد من مظاهر إحاطة وتبصر الملوك العلويين الأشراف بعناصر الوعي الوطني، ومن أبرزها:

• الوعي بعواقب الغزو الأجنبي: فاحتلال البلاد يعقبه حتما الاستيلاء على مقدرات البلاد، والاستحكام في أعناق الناس، وتقدير أحوال العباد والبلاد، مما يؤدي بالدولة بالضرورة إلى الانهيار والخضوع والخنوع، وهذا ما أكد عليه ملوكنا غداة الحصول على الاستقلال وحذروا منه، ونذكر من جملة هذا ما جاء في خطب الحسن الثاني قدس الله روحه بقوله: "... لم يكن عهد الاستعمار فيما يتصل بنا إلا حادثا من تلك الحوادث العارضة التي تصاب بها بعض الأمم، تتكالب عليها أسباب قاسية، وظروف عاتية، فيعتريها من أجل ذلك الضعف والوهن، وتكسل عن المدافعة والمقاومة، وتفقد الناصر الذي يعصمها من المكاره والخطوب"⁹.

9 - من خطاب العرش للمغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه، لسنة 1981م.

• لم يتوقف الأمر عند التحذير من أخطار الوجود الأجنبي بل عبأ السلاطين كل نفوذهم الروحي للحث على الجهاد واسترجاع ما غصبه الأجانب من البلاد، ويكفي أن نورد ما وصى به المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه: "... ارجع بين الفينة والأخرى إلى التاريخ يحدثك عن همم أجدادك وعزائم أسلافك، وكيف أخلصوا النية لله في حماية هذا الوطن وحياطته من الأهوال والأخطار، فجندوا الجنود، وأعدوا العدد، لاسترجاع مراسيه، وتحصين ثغوره، ودرء الطامعين، وصد المغيرين، فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف، وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته أمراً يقتضيه منك شرف المسؤولية، وتفرضه عليك تقاليد الأسرة في آن واحد".¹⁰

ومن جهة أخرى كان السلاطين العلويون الأشراف واعين تمام الوعي بصعوبة المواقف والجهود التي تتطلبها المقاومة، لتفوق الأجنبي في سلاحه وتنظيمه الحربي ونفسه الاقتصادي، ولكن ذلك لا يمنعهم من التعبير بكل الوسائل عن رفض ذلك الوجود، والتصدي له بكل السبل المتاحة، لتحقيق الهدف الأسمى من الحكم ألا وهو حماية الوطن وضمان استقراره، وهذا ما أكدته جلالته الملك الحسن الثاني -رحمه الله- بقوله: "إن كان لكل بلد حر ذي سيادة الحق في أن يستغيث بمن أراد، ومرارا سمعتموني أقولها وسمعتها منكم وسمعتها من شعبي، لأن أذني على فم شعبي، إنه بالنسبة لحماية الوطن يمكن لإنسان أن يتعامل حتى مع الشيطان".¹¹

10 - من الخطاب الملكي السامي بمناسبة تنصيب صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وليا للعهد، يوم الثلاثاء 9 يوليوز 1957م.

11 - من خطاب المغفور له جلالته الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، بمناسبة افتتاح السنة التشريعية 1990-1991م في 12 أكتوبر 1990م.

الإعلام وثورة الملك والشعب صورة محمد الخامس في القمر، قراءة في الرواية

ذ. محمد امrani علوي

الكلية المتعددة التخصصات - الرشيدية.

يوظف الإعلام بدور مهم في ترسيخ العديد من الأفكار في عقول الشعوب والقبائل، خصوصا عندما تقدم في صورة فنية، تساعد على الانبهار بها، والقضايا التي تثار حولها، في الوقت الذي يكون الإعلام موجهها بهدف الدعاية لقضية ما، أو تصور ما، مما يكون له تأثير كبير " ذلك أن الدعاية تشكل تأثيرا قويا وموحدا للجماهير على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم الفكرية، ثم إن استمرار الدعاية وتلونها بأشكال مختلفة، وألوان متعددة يكون لها من التأثير الشيء الكثير، كنقطة ماء تنزل باستمرار على صخرة ما فتؤثر فيها مع مرور الزمن، مهما بدت الصخرة قوية صلبة" (1). وانطلاقا من هذا النص يتضح أن الإعلام يسهم في ترسيخ قضايا وصور في ذهن المتلقي يصعب إزالتها أو التشكيك فيها في بعض الأحيان، مما يؤدي إلى تشكيل عقلية مرتبطة بتصور ذهني صنعتها وسائل الإعلام بمكوناتها.

ولعل هذا ما استغلته الدول الاستعمارية نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، عاملة على توظيفه لترسيخ أفكارها التوسعية وتطبيق سياستها الاستعمارية في البلدان المستعمرة، ومنها فرنسا أثناء احتلالها للمغرب "علما أن هذه الأداة الإعلامية تعتبر بوقا رسميا تصاغ خطابه بعناية وراء أسوار الإقامة العامة" (2)، ولعله الأسلوب الذي تنبّهت له الحركة الوطنية، فجعلوا منه سلاحا يساعد على ترسيخ وتوطيد أفكارها في جل المناطق المغربية، ونشر أخبار إنجازاتها عاملة على جعلها إحدى

1 - محمد غياث مكتبي: الإعلام الإسلامي واقع وطموح، طبعة أولى، دار المكتبي، دمشق، 2010م، ص 69.

2 - جامع بيضا: الصحافة كمصدر من مصادر تأريخ العهد اليوسفي، السعادة نموذجاً، جامعة المولى علي الشريف، دورة رقم 11، ص 10.

الوسائل المستعملة للالتحام والالتفاف حولها، سواء كانت مكتوبة أو مسموعة- جرائد، مناشير، مجلات، برامج إذاعية ... - رغم قلة هذه الوسائل خلال هذه المرحلة، وحصرها في مناطق قليلة، ولدى أشخاص قلائل، لكن لا بد من التأكيد أن دخول الحركة الوطنية في عقد الثلاثينيات، مرحلة المقاومة السياسية، وتأسيس الأحزاب، جعلها تركز على إصدار الجرائد التي كانت تمثل لسان حال هذه الأحزاب وأداة تواصل مع منخرطيه وعموم المغاربة، وبها تمكنت من إيصال عدد من الأخبار إلى المواطنين المغاربة الذين كانوا يتشوقون لسماعها، وكذلك كشف حقيقة السياسة الفرنسية بالمغرب، رغم التضييق الممارس من طرف سلطات الحماية عليها، وعلى الذين يكتبون فيها، مما اضطر هؤلاء إلى توظيف أسماء مستعارة حتى لا تتعرف عليهم السلطات الاستعمارية أساسا.

- الحركة الوطنية وسياق توظيف الإعلام

إذا كانت الدولة الفرنسية تعمل كل ما في وسعها لتحقيق مطالبها الاستعمارية في المغرب الأقصى موظفة كل الوسائل التي تمكنها من ذلك، إما بوضع قوانين تلزم المغاربة على ذلك، أو تظهر فرنسا أمام المجتمع الدولي كونها دولة تسهم في مساعدة وتحديث الدولة المغربية عاملة على نشر ذلك في الصحف والمجلات، وجهاز الراديو، محاولة إقناع المغاربة بصواب تصرفاتها من خلال التبريرات التي تقدمها في هذا الإطار، أو من خلال المبالغة الكبيرة والمكذوبة أحيانا حول سياستها الإصلاحية بالمغرب مما جعلها تعتمد على عدد كبير من الصحف والجرائد الصادرة في مدن الدار البيضاء، والرباط وطنجة وفاس ومكناس ومراكش ووجدة⁽³⁾، فإذا كانت الدولة الفرنسية جعلت من الوسائل الإعلامية إحدى الوسائل الأساسية في نشر سياستها والدعوة لها، فإن الحركة الوطنية كذلك ستوظف الوسائل الإعلامية المتاحة لها في كشف وفضح سياسة الاستعمار الفرنسي، ودعوة المغاربة إلى التشبث بمبادئ وأفكار الحركة الوطنية المغربية خصوصا في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، ومن خلال ما أتيح لهم من جرائد ومجلات أو إذاعة صوتية "راديو" رغم قلة ذلك خلال هذه المرحلة.

وللإشارة فالعمل الصحفي في المغرب لم يكن في المستوى العالي جدا نتيجة الظرفية التي يعيشها البلد، والأمر الثاني حسب محمد براص "جاء نتيجة ضغوط وحاجة فرضتها غريزة الدفاع

3 - محمد براص: الصحافة المغربية والأجنبية مصدر من مصادر الكتابة التاريخية على عهد السلطان مولاي يوسف، جامعة المولى علي الشريف، الدورة 11، منشورات وزارة الثقافة، 2004م، ص 86.

عن النفس اتجاه أسلوب خطابي جديد ومدرّس، وعليه فبعد أن خطت القواعد الإعلامية الأجنبية أولى خطواتها بالمغرب، عبر صحافة تخدم في مجملها توجهاتها العامة، وظهرت على الساحة المغربية وبشكل متأخر صحافة وطنية غير محددة التصورات في الغالب، جمعت من خلال مواضيعها قضايا متداخلة ومتناثرة حتمتها ظروف المرحلة التاريخية، فانتقلت في مضمونها وأهميتها وفق خط تصاعدي مواز لطبيعة المقاومة، سواء في المنطقة السلطانية أو في المنطقة الخليفة⁽⁴⁾، وبذلك يتضح أن الصحافة الوطنية عرفت تطورا مسيرا لتطور الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفة، انعكس على مضامينها وتوجهاتها السياسية لأن هاجس المشرفين عليها "هو مقارعة الخطابات والتوجهات الصادرة ضمن بقية الصحف الأجنبية الصادرة بالمنطقتين الفرنسية والإسبانية"⁽⁵⁾، ولعل هذا ما جعل الصحف الوطنية حسب نفس الباحث "مضامينها لا تخرج عن سياق العمل على إثبات الذات، والرد على جميع الطروحات التي حاولت بسط هيمنتها على المجال الصحفي، هذا التوجه كان ولا بد أن يلقي معارضة من قبل أرباب الصناعة الصحفية الأجنبية، الذين عملوا بكل ثقلهم من أجل الحد بل إفشال التجارب المحلية في هذا الباب، وهي تجارب لن تتطور إلا مع بداية الثلاثينيات، إذ تقوى المجال الصحفي بظهور عدد من العناوين المغربية المميزة"⁽⁶⁾، وهذا ما يبين أن الحركة الصحفية بالمغرب ستعرف تطورا مهما خلال الثلاثينيات وهي المرحلة التي عرفت ترسيخ وعي ثقافي فكري كبير مكنه من كشف سياسة الاستعمار بالطرق العلمية والفكرية التي اعتمد عليها في توجيه سياسته، وبذلك كانت جريدة "صوت المغرب" و"صوت الشعب" و"الشعب" رمزا لكلمة مضيئة تشد الانعتاق، وتدعوا إلى السيادة الوطنية⁽⁷⁾، ولعل هذا ما يدعو إلى القول أن الحركة الوطنية المغربية جعلت من الصحافة وسيلة مواجهة بنفس السلاح الموظف من طرف الاستعماريين، وقد بين هذا بشكل مفصل الأستاذ جامع بيضا في موضوع "دور الصحافة في النضال السياسي للحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الإعلان عن الاستقلال"⁽⁸⁾، ولم يقتصر الأمر على الصحف فقط، فقد استغلت الحركة الوطنية كذلك جهاز

4 - نفسه، ص 83.

5 - نفسه، ص 84.

6 - نفسه، ص 84.

7 - محمد الأمين البزاز: طنجة في عهد الإدارة الدولية، مجلة دار النيابة، عدد 18، 1988م، ص 15.

8 - ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955م، أكادير 13-15 نونبر 1991م، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، 2008م، ص 279.

الراديو في نشر أفكار ومبادئ الحركة الوطنية، ودعوة المغاربة للتظاهر، والالتفاف حول مبادئها والانخراط في صفوفها، مستغلة كل ظرف وحدث في ذلك، خصوصا وأن جهاز الراديو لم يكن منتشرًا بشكل كبير، فقد أكد الأستاذ جامع بيضا ذلك بالقول: "إذا كنا نعرف أن عدد أجهزة الراديو بالمغرب لم يكن يتجاوز 4660 جهازاً في أوائل أكتوبر 1938م، فإنه لا شك أن لهذا الرقم المتواضع أثر مضخم في مجتمع ترسخت فيه التقاليد الشفوية، فالخبر في بادئ الأمر لا يمس إلا فئة قليلة من الناس التي تتولى تناوله في الأسواق والجوامع وغيرها أصداؤه"⁽⁹⁾، فمن خلال هذا النص يتضح الدور المهم الذي لعبه جهاز الراديو في نقل الأخبار رغم قلته في المغرب، حيث يتم التجمع حول جهاز الراديو والاستماع إليه، ومن تم نقل كل الأخبار الصادرة عنه إلى عموم المواطنين، وخاصة الوطنيين منهم محاولين استغلال أماكن التجمعات كالأسواق، والمساجد، وأبواب القصور في البوادي لإبلاغهم كل ما جد في عالم السياسة وخاصة قضية المغرب، وهذا ما أكدته أحد المقاومين بتفيلالت السيد الهاشمي - عندما أشار إلى اجتماع عدد من سكان قصور تافيلالت حول من يتوفر على جهاز الراديو للاستماع للأخبار، ومعرفة ما جد حول القضية المغربية، والتداول في ذلك بينهم، بل يتم نقل هذه الأخبار بين خلايا القصور الفيلالية، في وقت كانت هذه الأجهزة قليلة جداً، ولكن أثرها كان كبيراً⁽¹⁰⁾.

من خلال ما سبق يتبين أن الحركة الوطنية المغربية وظفت هذه الوسائل المتاحة لها في تأجيج الحركة الوطنية المغربية وترسيخ مبادئ أفكارها بل وجعل الشعب المغربي ملتفا حولها، وحول ملكها الشرعي السلطان محمد بن يوسف.

- رؤية محمد الخامس في القمر والتوظيف الإعلامي

يعتبر ظهور محمد الخامس في القمر من القضايا التي عملت الحركة الوطنية المغربية على استغلالها في الرد على نفي السلطان خارج الوطن من جهة، وتوظيفها في زيادة الالتحام الشعبي حول الحركة الوطنية وسلطان البلاد محمد الخامس من جهة ثانية، بعد التوظيف الإعلامي لها والذي جعل الشعب المغربي ينظر إلى السماء وإلى القمر، ولعل القراءة السيميائية لهذا الحدث توحى بتشبث المغاربة بالحق، وهو الحق العادل لقضيتهم، وكذلك الإجماع الوطني المتمثل في إجماع الشعب

9 - جامع بيضا: المغرب والدعاية النازية، ص 13.

10 - السيد الهاشمي، أحد أبناء الرشيدية وأحد أعضاء المقاومة وجيش التحرير من منطقة تنغير، توفي سنة 2018م، بالرشيدية.

حول تمسكه بسلطانه، ولذلك كانت الحركة الوطنية على وعي بأهمية إبراز الحدث في بعده السياسي والديني كذلك من خلال الرؤية في القمر بكل دلالاتها الرمزية خصوصا مع التوظيف الإعلامي الذي بواسطته تم "شحن العزائم، وكشف للمغاربة عورات الفرنسيين"⁽¹¹⁾، فقد كان لصوت العرب الذي يث من القاهرة الدور الكبير والأهمية العظمى في تعريف المغاربة بقضيتهم، وكذلك تقديم صورة حقيقية للعالم تحاول شرح القضية المغربية وتبين حيثياتها، خصوصا وأن المشرفين على إذاعة صوت العرب لم يفرضوا أي تعديل، أو يقوموا بأي تدخل فيما يث، بل كانت لهم الحرية الكاملة في بعث رسائلهم السياسية عبر هذه الإذاعة، مشيرا إلى أن برامج صوت العرب اليومية لم تكن تخلوا من الإشارة إلى المغرب وقضيته وكل ما يتعلق بسلطانه⁽¹²⁾، وقد أشار عبد الكريم الفيلاي بخصوص صوت القاهرة كونه خصص حصصا يومية للحركة الوطنية المغربية فقد قال: "لقد خصص لنا صوت العرب ربع ساعة من كل يوم... ثم نص ساعة كل يوم خميس إن وجد ما يغطي البرنامج الذي لم يكن عليه رقيب، ولا هو يراجع رغم شدة وعنف الاحتجاجات الفرنسية، ومحلات صحف فرنسا على مصر... ولقد أمكننا بفضل صوت العرب أن نحدث في المغرب ما لم يكن منتظرا"⁽¹³⁾، ولعل هذا ما يبين التأثير الكبير على مجرى الأحداث، وترسيخ الفكر المقاوم بكل معانيه، ونجد نفس الباحث يبين الأهمية الكبرى والدور العظيم الذي قدمه صوت العرب للمغاربة بالقول: "بل كان صوت العرب وسيلة ساقها القدر للدفع بقضايا المغرب العربي الكبير بطريقة لا يمكن أن نقول إلا أنها القوة الدافعة التي بها حركنا مشاعر العالم الإسلامي والعربي عموما، ومواطنينا الذين وجدوا فيه خير وسيلة لمعرفة صدى المسألة المغربية، وأحوال العاهل الذي كنا نكيف أخباره بما يتصل وقلوب المغاربة ويحرك مشاعرهم ويؤجج عواطفهم، ثم يدفع بهم إلى التضامن والتراحم والتكاثف، وتشديد المقاومة بكل تضحية وإقدام"⁽¹⁴⁾، ولعل هذا ما جعل رواد الحركة الوطنية يجعلون من صوت العرب إلى جانب الصحافة المكتوبة المتوفرة لهم، وإلى جانب

11 - عبد الكريم الفيلاي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، طبعة أولى، القاهرة، 2006م، 409/11.

12 - قال عبد الكريم الفيلاي أنه ألقى كلمة مطولة موضحا فيها الأطماع الفرنسية في المغرب، مبينا الأوضاع العامة للمغرب والمغاربة، دون أن يتلقى أية ملاحظة، أنظر محتوى الكلمة في التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، 410/11 - 411 - 412.

13 - عبد الكريم الفيلاي: م، س، 412/11.

14 - نفسه، 415/11 - 416.

بعض الإذاعات الأخرى كإذاعة تطوان، وصوت ألمانيا وسائل اتصال وترباط بين المغاربة، وأداة تمرير خطابات وآراء حول القضية المغربية، فكانت مسألة ظهور محمد الخامس في القمر إحدى المسائل التي تم استغلالها بشكل جيد من طرفهم، وبفضل وسائل الإعلام المتاحة لهم، إلى درجة جعلت جل المغاربة يؤكدون هذه الرؤية، بل منهم من يقسم على ذلك، حيث أصبحت من القضايا التي لا تقبل النقاش في الذهنية المغربية، باعتبارها إحدى وسائل إثبات عدالة القضية المغربية حيث "كان الشعب المغربي له اعتقاد وإيمان راسخ بعدالة قضيته وصحة السياسة التي نهجها السلطان سيدي محمد بن يوسف والوطنيون، فأصبح المغاربة يصعدون إلى السطوح لرؤية السلطان في دائرة القمر بجانبه أبنائه، وصدق الكثير من المغاربة هذه الرواية مما جعل السلطات الاستعمارية والإقطاعيين في حيرة وذهول"⁽¹⁵⁾، ولم يتحقق هذا إلا بواسطة التوظيف الإعلامي الجيد الذي اعتمدته الحركة الوطنية، ولعل هذا ما تم التأكيد عليه بالقول: "فبواسطة صوت العرب، وصحافة مصر ورسم الخيال صورة محمد الخامس في القمر ليراها الشعب المغربي واضحة جلية ولم يقبل تعليل علماء النفس"⁽¹⁶⁾، وهذا ما يؤكد ترسيخ الإيمان الجازم بظهوره في القمر لدى البعض بل جل المغاربة، الذين عارضوا كل نفي لذلك، بل حاربوا كل من يحاول إظهار عكس ذلك، أو استخدام الجانب العلمي في عدم ظهوره بقدر ما هو إلا خيال، خصوصا وأن المغاربة يتشبثون بملكهم المنفي، هذا مع التوظيف الإعلامي الذي جعل هؤلاء المغاربة يتخيلون الصورة التقليدية له في القمر، وقد أورد عبد الكريم الفيلاي قصة العربي بناني الذي حاول أن يبين لطلبة مدرسة حرة بالدار البيضاء كان على رأس إدارتها من الناحية العلمية عدم ظهور محمد الخامس في القمر حقيقة، هذا في الوقت الذي انتشرت فيه فكرة ظهور السلطان في القمر في البوادي والمدن، بل أصبح المغاربة في كل مدينة أو قرية يتجمعون مساء، ويشير بعضهم لبعض بالنعوت والتوضيحات المطلوبة لتبيان الصورة في القمر، ففي هذا الوقت الذي حاول فيه العربي بناني نفي ذلك علميا لطلبة المدرسة الحرة التي كان يديرها بالدار البيضاء إذا به يتعرض لتهديد من طرف أحد المقاومين المغاربة الذي كان ملثما، مشيرا إليه بفواهة مسدسه قائلا له: "خلي علمك عندك يا أستاذ صورة محمد الخامس حقيقية في القمر يا

15 - محمد العلمي: محمد وتاريخ استقلال المغرب، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، طبعة ثالثة، الرباط، 2011م، ص 111.

16 - عبد الكريم الفيلاي: م، س، 417/11.

سعادة المدير الله يهنيك"⁽¹⁷⁾، ويتبين من القصة المشار إليها أن المغاربة جعلوا من رؤية محمد الخامس في القمر الحقيقة المطلقة التي لا تقبل نقاشاً، ولا يحق للعلم أن ينفي ذلك، ولعل هذا ما جعل القصة تعرف ذلك الانتشار الكبير، هذا ما اعتبره مدير المدرسة العربي بناني تهديداً فهرب إلى القاهرة، وحسب عبد الكريم الفيلاي فإن مدينة الدار البيضاء أول المدن التي انتشر بها خبر ظهور محمد الخامس في القمر: "وكانت الدار البيضاء قد أصبحت ميدان المقاومة الواسع والتي كان أهلها أول من التقط ما أذاعه صوت العرب ونشرته صحافة مصر عن رؤية العاهل في القمر"⁽¹⁸⁾، وها هو أحد أبناء الدار البيضاء يتحدث عن تلك الليلة التي أذيع فيها خبر ظهور محمد الخامس في القمر إذ يقول: "والذي لم يعيش تلك الأيام الصاخبة يصعب عليه أن يصدق مثل هذه الرؤية... غير أن المغرب كله وفي برهة وجيزة خرج عن بكرة أبيه في ليلة واحدة ليتفحص البدر في كماله ومحمد الخامس يبدو جالسا بهدوء واطمئنان على عرشه في أسفل منتصفه الأيسر، ولقد رأيته مثلما رآه سكان الدار البيضاء، هذه المدينة المجاهدة التي كانت أول ناحية انطلقت منها الإشاعة على ما يعتقد، والواقع أن ما كان يلهب مخيلتنا هو شوقنا إلى الغائب الحبيب وحاجتنا إلى مناجاته، ولو من بعيد لذا بدا لنا الجانب الأبيض المخروط من القمر - والذي لازال مكانه إلى يومنا هذا - وكأنه تلك الصورة التي كانت رائجة في الأربعينات والخمسينات والتي يظهر فيها محمد الخامس جالسا على العرش مرتديا جلباباً أبيض"⁽¹⁹⁾، فمن خلال ما ورد في كلام صاحب النص يتبين أنه جزم منذ البداية بحقيقة رؤية محمد الخامس في القمر، إلى جانب تأكيد سكان مدينة الدار البيضاء لذلك، ليحاول في الأخير أن يبين أن هذه الرواية ماهي إلا تمثل لهذا السلطان المتشوق لرؤيته وبالتالي ما هو إلا خيال وصورة ترسخت في ذهن وعقول المغاربة، مما جعلها تتجسد في القمر هذا الأخير الذي كان بإيها من وسائل الإعلام وخاصة صوت العرب والصحافة المصرية والعربية، ولم يكن هذا الرجل الوحيد الذي أدلى بنفس الموقف والرأي، فجل رجال الحركة الوطنية والمقاومين الذين هم على قيد الحياة، يؤكدون ذلك بالجزم القاطع، ففي تافيلالت رمز المقاومة الوطنية يشير أحد المقاومين أن جل سكان

17 - نفسه، 424/11 - 425.

18 - عبد الكريم الفيلاي: م، س، 424/11 - 425.

19 - علي منير العلوي: محمد الخامس ورأيناه في القمر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، طبعة ثانية، الرباط، 2004م، ص 104.

تافيلالت شاهدوا محمد الخامس في القمر، بل رفعت الزغاريد والشعارات الوطنية التي تؤيد السلطان محمد الخامس وتطالب بعودته إلى عرشه⁽²⁰⁾، فمن خلال ما سبق يتأكد أن مسألة رؤية محمد الخامس في القمر لم تصبح مسألة تهم أشخاصاً، بل تهم شعباً مما جعلها مسألة مرسخة في الذهن والعقلية المغربية، خصوصاً أنها جاءت في سياق خاص بالنسبة للحركة الوطنية المغربية التي ابتكرت المسألة في القاهرة بمصر، وأذيعت من صوت العرب بالقاهرة لتنتشر انتشار البرق في المجال المغربي، مما يدفع إلى استنتاج العديد من الأبعاد والدلالات الخاصة بهذه المسألة، لكن سياق قصة ظهور محمد الخامس في القمر جاءت بعد الأحداث التي وقعت في المغرب خصوصاً بعد إقدام سلطات الحماية على نفي السلطان وما نتج عنها من ردود الفعل التي قوبل بها الحدث، وخاصة من طرف طلبة المغرب في القاهرة، الذين عملوا على تنظيم مظاهرة منددة بما أقدمت عليه فرنسا وخاصة نفي السلطان الشرعي للمغرب والمطالبة بعودته وباستقلال المغرب، ومن بين الطلبة الذين نظموا هذه المظاهرات الأستاذ عبد الكريم الفيلاي الذي اعتقل في القاهرة، وأطلق سراحه بسبب إصرار الطلبة على مقاطعة الدروس لمدة 15 يوماً، لكن بعد إطلاق سراحه وتوجهه لعميد الكلية ليقدّم له الشكر على دور الطلبة في إطلاق سراحه، وكان عميد كلية دار العلوم التي كان يدرس بها آنذاك هو إبراهيم مصطفى الذي قال له: "يا ولدي ما عرف زعيم من الزعماء ما عرفه محمد الخامس باستثناء الزعيم الألماني بسمارك الذي شاهده شعبه في القمر"⁽²¹⁾، من هنا بدأت تتشكل لدى عبد الكريم الفيلاي مسألة رؤية محمد الخامس في القمر، خصوصاً وأنه كان يسهر على برنامج إذاعي بصوت العرب فاستغل ذلك لتمرير هذه المسألة وبثها لدى الرأي العام المغربي والعالمي فقال: "ويوم بدأ التضيق على محمد الخامس في كورسكا كتبنا ما أذيع بصوت العرب بعنوان - ملك يراه شعبه في القمر، وكان قولاً للدكتور (إبراهيم مصطفى) يوم 26/2/1951م، وبقي مخزوناً في الذاكرة إلى ما بعد يوم 20 غشت عام 1953م حيث اختطف العاهل العظيم، ونكاية في جنباء الفرنسيين حتى يتأكدوا أن محمد الخامس الذي حيرهم نقله داخل كورسكا ومنها إلى مدغشقر حتى قيل إنهم كانوا يفكرون في نقله إلى تاهيتي

20 - هاشمي الحسين بن محمد، من مواليد 1936م بتنغير، عضو المجلس الوطني للمقاومة توفي سنة 2018م، وأدلى بهذا التصريح بندوة علمية حول وثيقة 11 يناير بالرشيدية 2010م.

21 - عبد الكريم الفيلاي: جريدة المساء ليوم 21 - 08 - 2008م.

لم ولن ينساه شعبه الثائر، وأنه لم ولن يهدأ إلا بعودته"⁽²²⁾، لكن جريدة المساء الصادرة يوم 2008/08/21م أشارت إلى قول عبد الكريم الفيلاي: "فقد قلت على أمواج (صوت العرب) أن محمد الخامس هو أعلى من بسمارك الذي رآه شعبه في القمر، حينها راجت هذه الفكرة بقوة وأطلق بعض الوطنيين المتصوفين في الوطنية هذه الفكرة على محمد الخامس"⁽²³⁾، فمن خلال النصين يتبين أن الفكرة وليدة الطلبة الوطنيين المغاربة في القاهرة، وأن صوت العرب كان له الفضل الكبير في نشرها على نطاق واسع، خصوصا وسط المغاربة وخاصة المتصوفة منهم حسب ما أورده عبد الكريم الفيلاي، ولعل هذا ما يعطي لفرنسا صورة واضحة عن مكانة محمد الخامس عند المغاربة ذلك أن "رفع محمد الخامس في نظر شعبه، وبعد إبعاده ونفيه إلى رؤيته في القمر كما قيل قبل في ألمانيا عن بسمارك، وكان الشعب المغربي بذلك يغيظ الفرنسيين الاستعماريين ويقول لهم إننا بعد هذا لم نعد كما لم يعد المسلمون جميعا من عرب وعجم، كما شاركهم فيه أيضا أحرار الأرض من غير المسلمين، حتى أصبح الخيال وما انتشر من رؤيته في القمر حقيقة يقتل كل من حاول الشك، أو التشكيك فيها من المغاربة"⁽²⁴⁾، ولعل هذا ما يدفع إلى القول أن رؤية محمد الخامس في القمر أصبحت حقيقة لا غبار عليها في نظر المغاربة خلال هذه الفترة، بل يخون كل من يفكر في غير ذلك، هذا ما جعل المغاربة يلتفون حول الحركة الوطنية، والسلطان الشرعي للبلاد، رغم أن حقيقة الظهور كان الجانب النفسي يطغى عليها أكثر من الحقيقة المطلقة، لكن الملاحظة الأساسية هو أنهم أحسنوا استغلال هذه المسألة بشكل جيد، في ترسيخ الفكر المقاوم، والالتفاف حول عناصر وفكر الحركة الوطنية المغربية خلال هذه الفترة، وبذلك جسدت محطة مهمة في التاريخ المغربي، وتاريخ الحركة الوطنية.

- حقيقة رؤية محمد الخامس في القمر

إذا كان عدد كبير من المغاربة يعتقدون بصحة رؤية محمد الخامس في القمر بشكل جازم، بل عدد منهم يقسم بأغلظ الأيمان رؤية السلطان في القمر، بل يتهم كل من يشكك في ذلك بتهم متعددة تصل إلى حد الاتهام بالخيانة الوطنية، وقد مر أكثر من ستة عقود على هذه المسألة، ولا زالت راسخة في ذهن جل المغاربة، بل يلاحظ ترسيخها لدى الناشئة، دون فهم حقيقة مغزاها ودلالاتها وعبرها،

22 - عبد الكريم الفيلاي: التاريخ السياسي... م، س، 418/11.

23 - عبد الكريم الفيلاي: جريدة المساء، م، س.

24 - عبد الكريم الفيلاي: التاريخ السياسي... م، س، 424/11.

فكيف يمكن تفسير هذه المسألة من جهة، وأين تتجلى حقيقة ظهور السلطان في القمر، إن الجواب عن هذه الإشكالية يدفع إلى اعتماد علم النفس الاجتماعي ولذلك نجد أحد المتخصصين في هذا المجال يقدم عددا من التفسيرات لهذه الظاهرة حيث أكد مصطفى شكديالي "أن تفسير وفهم رواية رؤية محمد الخامس في القمر بشك علمي يقتضي أولا الإشارة إلى المفهوم السيكلوجي الذي يعرف "بالإسقاط"، والذي من خلاله يقوم الفرد أو الجماعة بإسقاط صورة أو رغبة نفسية داخلية ولا شعورية على شيء خارجي"⁽²⁵⁾، وبالتالي قد يفهم أن ما يتخيله الإنسان في ذهنه يقوم بإسقاطه على الواقع، ولعل ما يفهم كذلك من الشرح الذي قدمه نفس الباحث بالقول: "إن الصورة الداخلية تصبح مجسدة عن طريق ميكانيزم الإسقاط في الشيء الذي يكون موضوعا له، لذلك فالذي نسميه (تخيل) هو في العمق نتاج لهذه العملية"⁽²⁶⁾ وبذلك يمكن القول أنه لا يمكن تخيل شيء على حقيقته إلا إذا كان للذهن سابق معرفة به، ولعل قصة رؤية الأستاذ عبد الغني أبو العزم لمحمد الخامس في القمر خصوصا عندما شاع بالحلي الذي يسكنه خبر رؤية محمد الخامس في القمر، حيث صعد سطح البيت الذي يسكنه يبحث عن الصورة، لكنه لم يشاهد شيئا، رغم تأكيدات كل الموجودين معه على السطح رؤية السلطان، لكن عندما أطلق الجنود الفرنسيين عليهم الرصاص وتم اقتحام البيت وتفتيشه، وبعد انسحابهم منه استرق سمعه كلام أمه لأبيه، لطف الله في عدم رؤية الجنود الفرنسيين للعلم الوطني الموجود تحت المخدة، وصورة الملك الموجودة تحت آلة الخياطة لكانت الكارثة أكبر، ليسرع إلى رؤية الصورة وبإلحاح منه، ليشير أنه مساء اليوم التالي رأى فوق السطح صورة الملك واضحة في القمر وقال: "لاشك أن انطباع الصورة في مخيلتي هيا لي أني أراها حقيقة، وأنا أنظر إلى القمر"⁽²⁷⁾، ولعل هذه القصة توضح بجلاء ما أشار إليه الباحث مصطفى شكديالي الذي أكد أن ما يتخيله الذهن يمكن إسقاطه على الواقع، ذلك أن غياب رؤية الصورة لدى الأستاذ أبو العزم جلته لم يتمكن من رؤية محمد الخامس في القمر في الليلة الأولى، لكن عندما شاهد الصورة المخبأة تحت آلة الخياطة تمكن من رؤية محمد الخامس في القمر في الليلة الثانية بوضوح، مما يعني أن الصورة المشاهدة في الليلة الثانية ما هي إلا إسقاط لصورة محمد الخامس المخبأة تحت آلة الخياطة، وهي الصورة المنتشرة لدى كل المغاربة، لذلك كانت موحدة بالنسبة لهم حتى في القمر.

25 - محمد الراجي: مجلة هسبريس الإلكترونية ليوم 02 دجنبر 2013 م.

26 - نفسه.

27 - انظر تفاصيل القصة كاملة، بالشبكة العنكبوتية، مدونة اللغة العربية بالثانوي الإعدادي.

وفي نفس السياق أكد محمد الراجي "أنه بالإمكان رؤية صورة الملك الراحل في القمر، ليس على أساس أنها صورة حقيقية، ولكن كصورة إسقاطية، فعندما ينظر الإنسان إلى القمر سيرى بقع ضوء كثيرة قابلة لأن تحملها أي صورة يريد، أو بتعبير فلسفي مصادرة عن المطلوب"⁽²⁸⁾، وهذا الواقع الذي يعيشه المغاربة بعد نفي السلطان إلى مدغشقر جعله يتحول إلى صورة في مخيلتهم ترسخت بالذهن المغربي، مما أعطى قابلية رؤية السلطان في القمر، ذلك أن "نفي الملك محمد الخامس وغيابه جعله يتحول في نفسية المقاومين والشعب إلى صورة ومن تم رؤيتها عن طريق إسقاطها على القمر، كما أنها اتخذت ربما كأسلوب في الفداء والمقاومة عن طريق تداولها على نطاق واسع، خالقة تهيئا سيكولوجيا جماعيا"⁽²⁹⁾، وأضاف: "وعندما تصبح الرؤية، والتي هي في الأصل صورة إسقاطية متداولة بين الناس، فمن الطبيعي أن يتطلع الجميع للقمر لرؤيتها، بمعنى أن النظر للقمر في تلك الفترة كان مقرونا برؤية صورة الملك المنفي، أي أنه كان هناك تهية نفسي مسبق لدى الناس قبل النظر للقمر"⁽³⁰⁾، مما أعطى بعدا جماعيا لرؤية الملك في القمر، هذا البعد الذي كان له حسب شكديالي مصطفى دور كبير في ترسيخ تلك الرؤية "وهذا يعني بالإضافة إلى التهية النفسي، كان هناك تحفيز"⁽³¹⁾، وقد اتخذت رؤية محمد الخامس في القمر بعدا سياسيا أيضا حسب نفس الباحث "ذلك أن التقاء المغاربة في القمر عن طريق رؤية صورة الملك المنفي كان أسلوبا بارعا في تأجيج المقاومة والمطالبة بالاستقلال، حيث ساهمت رؤية محمد الخامس في القمر وإن كانت لا تعدو أن تكون صورة إسقاطية في رفع قضية عودة الملك والمطالبة بالاستقلال إلى درجة القدسية"⁽³²⁾.

وانطلاقا مما سبق يتبين أن رؤية محمد الخامس في القمر استعملت كأسلوب في المقاومة وسلاح فتاك ضد الاستعمار تم توظيفها خلال هذه المرحلة فحققت ما كان مرجوا منها، بالإضافة إلى تبيان عبقرية المقاومين المغاربة في ابتكار طرق وأساليب مواجهة، لها فعاليتها في تحقيق الأهداف المرجوة منها، في وقت أربكت الإدارة الاستعمارية بشكل كبير، وأصبحت القضية المغربية تشكل لها عقبة كبيرة، لم تخرج منها إلا بالتفاوض مع المغاربة لمنحهم الاستقلال التام.

28 - الراجي محمد: مجلة هسبريس الإلكترونية، ليوم 02 دجنبر 2013م.

29 - نفسه.

30 - نفسه.

31 - الراجي محمد: م، س.

32 - نفسه.

- بعض دلالات وأبعاد رؤية محمد الخامس في القمر

- البعد الديني لرؤية محمد الخامس في القمر والإشارة إلى القمر هي إشارة إلى السماء، إلى الحق، وهو المقدس لدى المسلمين جميعاً، لذلك فالمغاربة اعتبروا طلبهم بعودة السلطان إلى بلاده وعرشه حق مقدس بالنسبة لهم، والمقدس لا يمكن التنازل أو التخلي عنه، ولعلها إشارة من الحركة الوطنية للفرنسيين، أنهم لم ولن يتوانوا عن الدفاع عن حقهم المقدس حتى يتحقق.

- البعد الوحدوي الناتج عن إجماع المغاربة قاطبة على رؤية السلطان في القمر، بل حتى الذين لم يروه وأمام هذا الإجماع أكدوا رؤيته حتى لا يكونون خارج الإجماع، وهذا يبين بوضوح وحدة المغاربة وتوحدتهم حول قضيتهم العادلة في إرجاع الملك الشرعي إلى عرشه وتحرير واستقلال المغرب.

- اعتبار رؤية محمد الخامس في القمر سلاحاً فتاكاً لمواجهة الاحتلال، لكون هذه الرؤية جعلت المغاربة يتشبثون أكثر بقضيتهم، ويرسخون الفكر الوطني المقاوم في ذهن وعقلية مختلف الفئات الشعبية، مما جعل الكثير منهم يلتحق بصفوف الحركة الوطنية ويتبنى مبادئها.

- رؤية محمد الخامس جسدت إحدى مبادئ الوطنية الحقة، المتمثلة في تضحية الملك في سبيل الشعب، وثورة الشعب في سبيل الملك، مما أحدث التكامل الوطني في إطار ثورة عرفها المغرب جمعت الملك والشعب في نفس الإطار.

- البعد الإعلامي: كان لحدث رؤية محمد الخامس في القمر دور إعلامي مهم لعب فيه صوت العرب والصحافة دوراً كبيراً في إبداء نوع من التعاطف العربي الإسلامي، كانت نتيجته طرح مسألة المغرب في هيئة الأمم المتحدة إلى جانب الدعم القوي الذي تلقتة من طرف الوفد العربي خاصة.

خاتمة

جعلت الحركة الوطنية المغربية من رؤية محمد الخامس في القمر سلاحاً قوياً موجهاً للاستعمار الفرنسي، رغم أنها انطلقت في البداية كحدث متميز انعكس إيجابياً بالنسبة لتاريخ الحركة الوطنية، والتاريخ المغربي عامة، وزاد من قوة تشبث المغاربة بالحق الشرعي لسلطان البلاد محمد الخامس،

وأججت عمليات الحركة الوطنية، مما أربك القوات الاستعمارية بشكل كبير حيث خضعت لمطالب المغاربة، وبالتالي تحقيق جل المطالب وعلى رأسها إرجاع محمد الخامس إلى عرشه، والحصول على الاستقلال سنة 1956م بشكل كامل، ولعل هذا ما يؤكد أهمية البحث والدراسة العلمية في سياقات وانعكاسات الحدث في مرحلة كان المغرب يطمح إلى الحصول على الاستقلال السياسي التام، مع العمل على كشف التحولات التي عرفتھا الذھنية المغربية وتوظيفھا في خدمة الحركة الوطنية، والمقاومة المغربية بشكل عام.

ثورة الملك والشعب وانتقال العمل الوطني من المقاومة السياسية إلى المقاومة المسلحة

د. سعيد عبيدي

الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، فاس-

مكناس.

من اللافت للانتباه أن كثيرا من تيمات تاريخ المغرب المعاصر خلال فترة الحماية الفرنسية تشكل مادة غزيرة تحتاج إلى كثير من البحوث والدراسات المعمقة لكشف خباياها وإزالة القناع عن وقائعها وأحداثها التي رصعت السلسلة الذهبية المتشابكة الأطوار والحلقات المفقودة لحركة التحرير المغربي من هيمنة وسيطرة الاستعمارين الفرنسي والإسباني على مدار 44 سنة (1912-1956م).

وفي هذا السياق، تروم هذه الورقة البحثية إبراز دور ثورة الملك والشعب في انتقال العمل الوطني من المقاومة السياسية إلى المقاومة المسلحة السرية التي تعتبر من بين القضايا التاريخية التي مازالت تحتاج إلى كثير من الدراسة والتحليل لاستجلاء أمجادها وحركة الفداء التي كانت تصفية المتعاونين ورموز الاتفاق مع سلطات الحماية من المهام الأساسية التي وضعتها على عاتقها، لإخلاء الساحة منهم، والحصول على إمكانيات أكبر للتحرك والعمل، وللإعلان العملي في نفس الوقت عن رفض مخططات السلطات الاستعمارية وممارساتها وتحقيق الاستقلال.

وتتناول هذه المساهمة أربعة محاور، حيث تم تخصيص المحور الأول منها لتقديم ملاحظات أولية بشأن المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأجنبي خلال خمسينيات القرن العشرين، في حين يتناول المحور الثاني السياق التاريخي والواقعي لتحول العمل الوطني من المقاومة السياسية إلى المقاومة المسلحة السرية، بينما سيكون مدار الكلام في المحور الثالث للتوزيع الجغرافي لعمليات المقاومة المسلحة السرية في المنطقة السلطانية، وأما المحور الرابع والأخير فتم تخصيصه لأشكال المقاومة

المسلحة السرية عبر تتبع ورصد أصناف العمليات الفدائية التي نفذتها خلايا المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وضد العملاء المتعاونين معه.

أولا: ملاحظات أولية بشأن تاريخ المقاومة المسلحة السرية ما بين 1953 و1956م.

- مثلت ثورة الملك والشعب التي اندلعت يوم 20 غشت 1953م الذي يقترن بنفي السلطان الشرعي محمد بن يوسف وأسرته إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر (29 يناير 1954م) بإيعاز من المقيم العام الفرنسي الجنرال "كيوم" Augustin Guillaume (1951-1954م)¹، عاملا حاسما في تغيير مسار المقاومة المغربية وإنهاء النقاش داخل الأحزاب الوطنية بين دعاة العمل المسلح ومعارضيه، إذ أعطى هذا الحدث دفعا قويا لفعل ونشاط المقاومة المسلحة السرية إلى أن تحقق الاستقلال سنة 1956م².

- نشير إلى أنه إذا كان المقاوم يعرف في الأدبيات التاريخية المرتبطة بتاريخ الكفاح الوطني بأنه "المواطن الذي بحث عن السلاح وأوجده لغيره، والمواطن الذي قاوم بسلاح، والمواطنة التي أخفتها في بيتها إثر عمله، أو أخفت سلاحه بينها وبين طفلها المحمول في الظهر، والمواطن الذي ينقل هذا السلاح من مكان لآخر، وذلك الذي يسهل هذا العمل بقطع التيار الكهربائي، وذلك الذي يحمل أخبارا كاذبة لتبديد إمكانيات المستعمر، والمواطن الذي يعتقل بدون سبب، أو تخوفا وحيطة، والمواطن الذي تسلب أمواله وحرياته..."³، فإن المقصود بالمقاومة المسلحة السرية في خمسينيات القرن العشرين حركة الفداء المحكمة النظام التي جسدت رد فعل الشعب المغربي وتزعما كل مقاوم في منظمات وخلايا المقاومة المسلحة السرية بمختلف مناطق المغرب نهاية أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين لمواجهة الاحتلال الأجنبي.

- رغم التراكم الحاصل في الأبحاث التي تناولت حركات المقاومة المغربية وأرخت لوقائعها وأحداثها، فإنه يلاحظ بأن مجموعة من القضايا والموضوعات لم يسلط عليها الضوء بشكل شمولي

1 - المريني عبد الحق، محطات في تاريخ المغرب المعاصر، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2011م، ص. 132-133.

2 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات من القرن العشرين، ضمن ندوة المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005م، ص. 354.

3 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية I، عين الشق، الدار البيضاء، العدد السابع، 1990م، ص. 57.

أو لم تطرق بعد⁴، وذلك من قبيل الجوانب التنظيمية واللوجيستكية لحركة الفداء وجيش التحرير، والتركيبية الاجتماعية والمستوى التعليمي للقيادات المسيرة لمنظمات المقاومة المسلحة السرية وتفاصيل عملياتها العسكرية، فضلاً عن بعض الجوانب البيوغرافية لأعضاء خلايا المقاومة قصد التعرف على الجوانب التي صنعت فعل الشهادة في مقاومتهم.

- يلاحظ أن هناك اختلافاً في الكتابات بشأن مرجعيات المقاومة المسلحة السرية ودينامية عملها، بين طرح يرى أنها مقاومة انطلقت بشكل عفوي لتتم هيكلتها بعد ذلك من قبل أفراد أفرزهم العمل الميداني المباشر، وطرح يرى أنها حركة قومية صميمة ليس لها أي طابع حزبي، بل إن حركة الفداء مثلت حركة نضالية شعبية، في حين نجد طرحاً ثالثاً يرى أنه كان للعمل الحزبي دور مهم في التخطيط لانطلاق حركة المقاومة المسلحة السرية والإشراف عليها مستبشرين الطابع العفوي أو أي تمرد لأعضاء خلايا المقاومة على العمل السياسي. والواقع أن تنظيمات وشبكات المقاومة المسلحة قد جمعت بين النضال السياسي والعمل المسلح لتحقيق الاستقلال وطرده المستعمر، إذ لم تقتصر في كفاحها على السلاح والعنف كوسيلة للنضال، بل اعتمدت أيضاً على وسائل مكملية من بينها: المظاهرات وتوزيع المنشورات وخوض الإضرابات وبعث رسائل التهديد للعملاء⁵.

- إذا كان البعض يربط ظهور المقاومة المسلحة السرية ببداية خمسينيات القرن العشرين⁶، فإن الواقع التاريخي يوضح بجلاء أن حركة المقاومة المسلحة السرية ترجع بدايتها الأولى إلى سنة 1947م وسنة 1948م، كما يتجلى في خلية "القانون المحروق" التي أسسها محمد الزرقطوني سنة 1948م بالدار البيضاء إلى جانب سبعة أفراد آخرين، غير أن اندلاع ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1953م بعد نفي السلطان محمد بن يوسف وأسرته جسدت بداية تصعيد المقاومة المسلحة، وذلك من خلال تنوع أساليب المقاومة واتساع قاعدتها الجغرافية بالمدن والبوادي.

4 - الطاهري عبد العزيز، نحو مقاربة علمية لتاريخ المغرب خلال زمن الحماية، ضمن ندوة واقع المقاومات وحركة التحرير المغربية بين الذاكرة والتاريخ، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، 2019م، ص. 75.

5 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 58-59.

6 - مبارك ربيع، أحداث 7 و8 دجنبر 1952م، ضمن موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، منشورات عكاظ، الرباط، أكتوبر 2005م، ج. 1، ص. 270.

ثانيا: السياق التاريخي لظهور المقاومة المسلحة السرية

بداية تجدر الإشارة إلى أنه قد تحكمت في انطلاق حركة المقاومة المسلحة السرية خلال خمسينيات القرن العشرين ظروف دولية مناسبة لهذا الأسلوب من النضال⁷، وأخرى داخلية نابعة من المحيط المحلي للبلاد، وفي هذا الإطار فقد كان من بين النتائج التي أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية، انتشار الحديث عن قيم الديمقراطية، والشعور الوطني، حيث إنه في أعقاب هذه الحرب صدر الميثاق الأطلنتي سنة 1941م الذي ينص على حق الشعوب في تقرير مصيرها، مما أسهم بشكل كبير في تعميق الشعور بمقت الاستعمار داخل المستعمرات، كما احتضنت مدينة الدار البيضاء سنة 1943م مؤتمر أنفا الذي حضره إلى جانب كل من الرئيس الأمريكي (Roosevelt) ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل (Churchill) السلطان محمد بن يوسف وولي العهد آنذاك مولاي الحسن⁸، وقد شكل هذا الحدث التاريخي إعلانا للانتصار على الفاشية والنازية من لدن العالم الحر، فضلا عن تلقي المغرب لوعود دولية بدعم استقلاله من قبل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، زيادة عن كون هذا اللقاء أظهر مكانة السلطان محمد بن يوسف الذي "لأول مرة في تاريخ حكمه تحدث حديث الند للند وبدون رقابة فرنسية إلى سياسي أجنبي كبير، فاجتماعاته سابقا بالممثلين الأجانب إنما كانت قليلة، وكانت تجري تحت الرقابة الفرنسية"⁹.

وأما فيما يرتبط بالظروف والأحداث الخاصة، فغني عن البيان أن المغرب ساند بشكل رسمي خلال الحرب العالمية الثانية فرنسا والحلفاء في حروبهم ضد دول المحور، إذ لعب بشكل أو بآخر دورا مساعدا لفرنسا ماديا ومعنويا خاصة طيلة سنوات الحرب التي كابد فيها المغاربة معاناة وويلات على جميع المستويات¹⁰. وهو ما جعل الحركة الوطنية تتطلع بعد نهاية هذه الحرب لنيل مقابل عن تلك التضحيات الجسيمة التي قدمها المغاربة، وقد كانت هذه الآمال معززة بالشعارات التحررية التي كان يروج لها الحلفاء من قبيل شعار حق الشعوب في تقرير مصيرها، غير أن المستعمر

7 - بوعزيز المصطفى ومعروف الدفالي محمد، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في منطقة النفوذ الفرنسي، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية I، عين الشق، الدار البيضاء، العدد السابع، 1990م، ص. 95.

8 - علي الإدريسي، السياق التاريخي والسياسي لتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، ضمن موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، منشورات عكاظ، الرباط، أكتوبر 2005م، ج. 1، ص. ص. 230-231.

9 - روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، طبعة دار الكتاب، بيروت، 1963م، ص. 251.

10 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 55.

الفرنسي اقتصر على القيام بإصلاحات شكلية خيبت كل طموحات التحرر من نيره¹¹ وهو ما أسهم في تغيير استراتيجية المقاومة المغربية وتحولها من "حرب خطابية" إن صح القول طيلة ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين إلى "حرب مسلحة سرية" تمثلت في حركة الفداء خاصة بعد التأييد الشعبي لعريضتي 11 و13 يناير 1944م اللتين شكلتا إعلانا صريحا بالدعوة للاستقلال الوطني وهو ما واجهته السلطات الاستعمارية بحملات قمع واسعة شملت أغلب الموقعين عليها¹²، الأمر الذي جعل المقاومة المغربية تدرك بأنه لا بديل عن الكفاح المسلح.

ثالثا: التوزيع الجغرافي لعمليات المقاومة المسلحة السرية

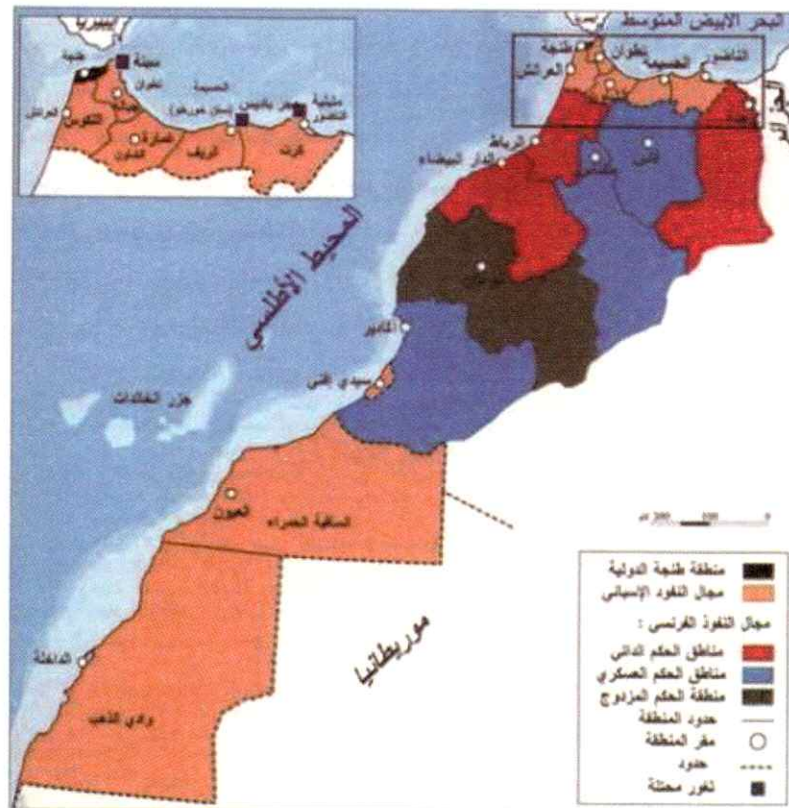
شملت عمليات المقاومة المسلحة السرية في خمسينيات القرن العشرين جميع المناطق المغربية سواء الخاضعة للحماية الفرنسية (المنطقة السلطانية) أو التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية (المنطقة الخليفية)، وذلك بحكم تجذر الوعي الوطني في صفوف الجماهير وظهور قيادات محلية وإطارات وسطى من أبناء الطبقات الشعبية¹³، غير أننا في هذا السياق سنركز على رصد التوزيع الجغرافي للمقاومة المسلحة السرية في المنطقة التي كانت تحت سيطرة المستعمر الفرنسي الذي قسم المجال الخاضع لسلطته إلى مناطق عسكرية تتألف من فاس، مكناس، أكادير، ومناطق مدنية تتكون من الدار البيضاء، الرباط، وجدة، بينما جعل مدينة مراكش وأحوازها منطقة مختلطة.

11 - المرجع نفسه، ص. 55.

12 - آيت يدر بنسعيد، صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي، المنشورات المواطنة، 2001م، ص. 17.

13 - الجابري محمد عابد، المغرب المعاصر، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1988م، ص. 113.

الخريطة 1: المناطق المدنية والعسكرية ضمن التقطيع الإداري للمغرب خلال فترة الحماية¹⁴



1- العمليات الفدائية بالمناطق المدنية

بلغت عمليات المقاومة في ناحية الدار البيضاء التي تشمل مدن الدار البيضاء، وأزمور، والمحمدية، والجديدة، وسطات. إضافة إلى المجال القروي آنذاك الذي يضم مناطق برشيد وخريبكة ووادي زم وبني ملال وأزيلال حوالي 2717 عملية فدائية من أصل 4520 عملية نفذت بالمغرب، ويعتبر شهر أكتوبر من سنة 1955م الشهر الذي سجلت به أكبر العمليات بناحية الدار البيضاء (217 عملية)¹⁵.

14 - محمد القبلي (إشراف وتقديم)، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م، ص. 548.

15 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. ص. 360-361.

الجدول 1: العمليات المسلحة في الدار البيضاء خلال خمسينيات القرن العشرين¹⁶

السنة	العمليات بالمسدسات	العمليات بالقنابل	إضرار النار	عمل موجه ضد الخونة		عمل موجه ضد الأجانب	
				الجرحي	القتلى	الجرحي	القتلى
1953م	47	25	39	30	36	14	15
1954م	124	95	93	41	112	55	38
1955م	393	353	217	203	225	86	73
1956م	54	18	38	33	54	31	19
المجموع	618	491	387	307	427	331	145

وفيما يخص ناحية الرباط التي يتألف مجالها الترابي من مدن الرباط والقنيطرة وسلا ومراكز الخميسات وتيفلت وسيدي قاسم وسيدي سليمان وسوق الأربعاء، فقد بلغ مجموع العمليات بها 560 عملية بلغت ذروتها خلال شهر يونيو من عام 1954م (53 عملية)¹⁷. وتعد محاولة اغتيال ابن عرفة التي نفذها الشهيد علال بن عبد الله يوم 11 شتنبر 1953م في ساحة التواركة بالرباط¹⁸ أبرز هذه العمليات، إضافة إلى تفجير قنبلتين بالقطار السريع الدار البيضاء-الجزائر¹⁹ عند قنطرة أبي رقرق يوم 7 نونبر 1953م، حيث خلفت هذه العملية سبعة قتلى وخمسة جرحى في صفوف المسافرين.

وأما ناحية وجدة التي افتتحت المعركة²⁰، فقد نظمت خلايا المقاومة المسلحة في خمسينيات القرن الماضي بمدينة وجدة ونواحيها 211 عملية²¹، وكان رد المستعمر عنيفا على كل عملية تعرفها مدينة وجدة بحكم موقعها الاستراتيجي بين الحدود الجزائرية شرقا ومنطقة الحماية الإسبانية غربا،

-
- 16 - الفلاح العلوي محمد، جوانب من المقاومة المسلحة في الدار البيضاء، ضمن دفاتر الشاوية، مؤسسة تامسنا، 1999م، ص. 60.
17 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 364.
18 - عبد الحفي حسن العمراني، أبطال الوطنية: أحمد ابن سودة، الشركة المغربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1991م، ص. 137.
19 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 69.
20 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب من نهاية الحرب الريفية إلى بناء الجدار السادس في الصحراء، مطبعة الرسالة، الرباط، 1987م، ج. 2، ص. 605.
21 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 368.

وذلك ما تمثل في حملة القمع الواسعة التي تعرضت لها نتيجة المظاهرات الدامية ليوم 16 غشت 1953م، حيث أصدرت السلطات الاستعمارية في حق كثير من المقاومين محليا أحكاما قاسية تراوحت ما بين الإعدام والسجن المؤبد، كما استمر اعتقال المواطنين بالمئات في شرق المغرب جميعه بتهمة المشاركة في حوادث وجدة²².

2- المناطق العسكرية

شهدت ناحية مكناس تنفيذ 379 عملية معظمها كان عبارة عن حرائق (237 عملية)، وذلك بحكم الانتشار الواسع لضييعات المعمرين بأحواز مكناس، حيث توجد أجود الأراضي الفلاحية²³. ومن أبرز هذه العمليات إحراق مزارع كل من كوستاف أوكوتوريي (Gustave Aucouturier) وإميل بانيو (Emile Pagnon) اللذين كانا يعتبران من أكبر المعمرين بمكناس، حيث سيطرا على أكبر الضييعات الفلاحية، وقد بلغ عدد العمليات الفدائية في شهر يونيو 1955م بأحواز مكناس حوالي 20 عملية فدائية، من أشهرها العملية التي تم فيها إحراق حوالي 160 هكتارا، وكذا إتلاف مئات الأمتار من الخطوط الهاتفية وتفجير العشرات من القنابل²⁴.

وأما في ناحية فاس، فقد بلغ مجموع العمليات التي شهدتها المدينة وأحوازها حوالي 223 عملية، تراوحت ما بين الاغتيالات والتفجيرات والحرائق والإتلافات، ومثل شهر دجنبر 1955م ذروة العمليات التي نفذتها المقاومة بهذه المنطقة، وغني عن البيان أن معظم العمليات تمحورت بمدينة فاس أساسا ومدينة تازة²⁵.

وفيما يخص ناحية أكادير فيلاحظ أن إسهامها في مسلسل العمل المسلح السري مقارنة بباقي المناطق كان محدودا، إذ لم يتجاوز عدد العمليات 33 عملية، وتفسر هذه المحدودية بكون معظم زعماء خلايا المقاومة المسلحة كانوا يهاجرون من هذه الناحية ويهندسون عملياتهم بناحية الدار البيضاء، إذ يتضح من خلال البحث في الأصول الجغرافية لكثير من قادة المقاومة المغربية بأنهم كانوا ينحدرون من منطقة سوس²⁶.

22 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مرجع سابق، ج. 2، ص. 607.

23 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 365.

24 - بوعسرية بوشتي، مظاهرات 25 يوليوز 1955م بمكناس، مجلة أمل، العدد 25-26، السنة التاسعة، 2002م، ص. 193-194.

25 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 367-368.

26 - المرجع نفسه، ص. 369-370.

وبلغ مجموع العمليات المسلحة المنجزة بالمنطقة المختلطة (ناحية مراكش)، التي تشمل مدن مراكش وآسفي والصويرة، فضلا عن القرى المجاورة الشاسعة المساحة، حوالي 264 عملية²⁷، وقد اتسمت العمليات الفدائية لناحية مراكش بتكبيدها للمستعمر ورموزه المتعاونين معه لخسائر جسيمة، وذلك ما يتضح في محاولة احمد بن علي أقلا (أيت ورير) من خلية الفطواكي اغتيال ابن عرفة بمسجد بريمة بمراكش يوم الجمعة 5 مارس 1954م، حيث ألقى قنبلة داخل المقصورة، فأرداه الباشا الكلاوي بعد مناقشة حادة بينهما قتيلا برشاشته²⁸، فضلا عن استغلال المقاومة لزيارة الجنرال كيوم لمدينة مراكش يوم 25 ماي 1954م لتفجر قنبلة بحدائق الباهية، حيث أسفر هذا الحادث عن قتيلين و50 جريحا، بالإضافة إلى إصابة الجنرال دوتفيل رئيس ناحية مراكش²⁹.

رابعا: أشكال المقاومة المسلحة السرية

اتخذ عمل المقاومة المسلحة السرية عدة أشكال للرد على حركة القمع الممنهج الذي اعتقدت السلطات الاستعمارية الفرنسية في مفعوله للضغط على المقاومة المغربية، وقد كانت العمليات الفدائية الموجهة ضد المعمرين والخنوة تتم بأسلحة عصرية أو تقليدية، كما أنها تميزت بتباين أشكالها وأحجامها من ناحية لأخرى وكذا من سنة لأخرى، حيث عرفت هذه العمليات تصاعدا واضحا بعد اندلاع ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1953م على إثر نفي السلطان وأسرته وتنصيب آخر غير شرعي مكانه.

وفي هذا المنحى، فقد احتلت الاغتيالات التي نفذت بأسلحة نارية كالمسدسات أو باستعمال أسلحة بيضاء مثل السكاكين المرتبة الأولى فيما يخص نوعية العمليات الفدائية التي نفذتها خلايا المقاومة السرية وتنظيماتها المسلحة³⁰، وبالرجوع للأرقام المتداولة بشأن الاغتيالات³¹، يظهر أن رجال المقاومة أعطوا أهمية لتصيفة العملاء، إذ بلغ عدد الضحايا ما بين شهر غشت من سنة 1953م ونونبر 1955م حوالي 762 قتيلا و1489 جريحا من بين المغاربة الذين ارتموا في أحضان المستعمر وباعوا أنفسهم، بينما لم يصل عدد القتلى من الأوربيين خلال نفس الفترة سوى 159 قتيلا و598 جريحا³².

27 - المرجع نفسه، ص. 366.

28 - المريني عبد الحق، محطات في تاريخ المغرب المعاصر، مرجع سابق، ص. 134.

29 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مرجع سابق، ج. 2، ص. 613.

30 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 356.

31 - ينظر: محمد العربي المساري، 20 غشت توقيته وأبعاده، مجلة المقاومة وجيش التحرير، 1984م.

32 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 62.

واعتمادا على شهادات ومذكرات بعض المقاومين يتضح أن قرار تصفية شخص معين من قبل تنظيمات المقاومة المسلحة السرية لا يتم إلا بعد إنجاز بحث دقيق للتأكد فعليا من صحة تعاونه مع المستعمر، حيث يوجه له إنذار للعدول عن أفعاله وتصرفاته، وإذا لم يتراجع عن مسلكياته وممارسته يتم تنفيذ الإعدام فيه³³.

كما اعتمدت حركة الفداء في عملها المسلح على إضرام النار في ضيعات المعمرين الأوروبيين والمغاربة المتعاونين مع المستعمر، وقد كانت تكلفة هذه الحرائق باهضة الثمن إذ قدرت الخسائر التي لحقت بناحية الخميسات خلال سنة 1954م بـ 600 مليون فرنك فرنسي³⁴. والجدير بالذكر أن إحراق ضيعات المعمرين كان ضربا من المقاومة الجماعية، وقد كان في الغالب الأعم عمال الضيعات المغاربة من يقومون بتنفيذ عملية الإحراق لأنهم كانوا على وعي بما يجري في المغرب وما يتحتم عليهم القيام به تجاه وطنهم³⁵. وفي نفس السياق، فقد أسفرت عمليات إضرام النار في ضيعات المعمرين عن انتشار الذعر اليومي في صفوفهم، لدرجة أنهم أصبحوا لا يبيتون في مزارعهم، ولا يتنقلون إلا مسلحين وبحذر شديد³⁶.

بالإضافة إلى الاغتيالات والحرائق اعتمدت خلايا المقاومة السرية على التفجيرات، حيث كان يتم تفجير عدة قنابل في مختلف الجهات لاصطياد الخونة والمتعاونين، وكذا الأجانب، ومن بين هذه العمليات إحداث انفجار في طائرة حربية فرنسية بالقاعدة الجوية بمراكش من لدن تنظيمات خلايا المقاومة بهذه الناحية، فضلا عن عملية "مارشي سونترال" بالدار البيضاء، حيث تم تفجير قبلة ليلة رأس السنة الميلادية لرمزيتها كرد فعل على نفي السلطان محمد بن يوسف، كما تلت هذه العملية عملية أخرى، تم فيها تفجير القطار الرابط بين الرباط والجزائر. والجدير بالإشارة أن جل هذه العمليات نفذت بواسطة قنابل محلية الصنع كانت محشوة ببقايا مواد معدنية من أورايش المحاجر أو من القواعد الأمريكية بالمغرب³⁷.

33 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 357.

34 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 68.

35 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مرجع سابق، ج. 2، ص. 616.

36 - ابن الراهب البكري محمد، الوطن والاستقلال والسياسة من ظروف الإنتاج إلى خطاب المقاومة وجيش التحرير، ضمن ندوة واقع المقاومات وحركة التحرير المغربية بين الذاكرة والتاريخ، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى، 2019م، ص. 192.

37 - زاد محمد، مقارنة إحصائية لأنشطة المقاومة المسلحة السرية في الخمسينيات، مرجع سابق، ص. 359.

وإلى جانب الاغتيالات والتصفيات والحرائق والتفجيرات، كانت عمليات الإتلاف والتخريب من أهم الوسائل التي لجأت إليها المقاومة المسلحة تعبيراً عن السخط على السياسة الفرنسية، وقد شملت عمليات الإتلاف أماكن ومؤسسات ومنشآت مختلفة، وأصبح إتلاف خطوط الكهرباء والهاتف في كل جهات المغرب، كما تمثلت عمليات التخريب في إخراج القطارات عن السكة الحديدية³⁸.

والجدير بالذكر أن المقاومة المسلحة السرية التي تزعمها الوطنيون المغاربة بالمدن والبوادي لمواجهة الهجمة الشرسة للمعمرين وأعوانهم، قد خلفت مجموعة من الشهداء الذين أعدموا عدما من قبيل: محمد الزرقطوني، أحمد أو موحا الحنصالي، علال بن عبد الله، أحمد بن علي أقلا، إبراهيم الروداني³⁹. وغيرهم من الشهداء الذين يعدون اليوم من أبرز رجالات المقاومة في المغرب، بل وأشهرهم، حيث لا مدينة في المغرب، إلا وبها مدرسة تحمل اسماً من أسمائهم إلا وبها شارع يخلد ذكرهم وإن كانت الحقيقة - بتعبير الشاعر حسن نجمي - أن زعماء حركة الفداء وجيش التحرير ليسوا مجرد أسماء لشوارع ومرافق عمومية، وإنما هم في واقع الأمر رموز شائعة في الغيرة الوطنية والالتزام والتضحية لينعم الوطن بالاستقلال ويعيش في كرامة.

خاتمة:

وفي المحصلة، فقد أسهمت حركة الفداء وجيش التحرير ما بين 1953م و1956م بعد نفي السلطان محمد بن يوسف وأسرته وبالتالي اندلاع ثورة الملك والشعب يوم 20 غشت 1953م إلى جانب المقاومة العسكرية ما بين 1912م و1934م والمقاومة السياسية ما بين 1930م و1953م في فعلة الزمن الاستعماري بأنظمتها الثلاثة الذي مزق وحدة البلاد على مدار 44 سنة، وهكذا أرغمت هذه المقاومة المستعمر الفرنسي على فتح مشاورات ومفاوضات مع السلطان محمد بن يوسف المنفي وزعماء الحركة الوطنية، مما أسفر في النهاية عن تمهيد السبيل لعودة السلطان من المنفى وتشكيل حكومة البكاي الأولى، ثم اعتراف السلطات الاستعمارية باستقلال المغرب بتاريخ 2 مارس 1956م.

38 - معروف الدفالي محمد وبوعزيز المصطفى، المقاومة المسلحة تاريخ ووقائع...، مرجع سابق، ص. 67-68.

39 - المريني عبد الحق، محطات في تاريخ المغرب المعاصر، مرجع سابق، ص. 134.

ثورة الملك والشعب بين الدفاع عن الهوية وتحقيق الاستقلال

د. عمر الحنافي

مركز التوثيق والأنشطة الثقافية مكناس.

إن الغرض من هذه الورقة ليس هو استعراض أحداث ثورة الملك والشعب، بقدر ما هو استقراء الذاكرة الوطنية واستلهاهم ما تزرخ به من قيم سامية، ودلالات عميقة، وتضحيات جسام، دفاعاً عن مقومات الهوية الوطنية وثوابتها الراسخة، وذلك من خلال أشكال وصور بطولات قام بها مقاومون استرخصوا حياتهم فداء للوطن، وبناء الدولة الوطنية.

ثورة الملك والشعب، حدث تاريخي، له أكثر من معنى، ويوحى بأكبر من مغزى، تجاوزت فيه المشاعر، وتخابرت فيه الضمائر، جسد التلاحم الحاصل بين الشعب المغربي النبيل، والعرش العلوي المجيد، يوم امتدت فيه الأيدي الآثمة، بدون خجل ولا حياء، إلى جلالة المغفور له محمد الخامس وأسرته الكريمة، وولي عهده جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، فكان أكبر حافز لاندلاع ثورة الملك والشعب، التي توجت بالنصر والتمكين، في كل مراحل الكفاح المير الذي تلاحقت أطواره، وتعددت صوره وأشكاله، في مواجهة الحماية الفرنسية، التي دخلت أرض المغرب مستترة وراء مطامع استعمارية يوم 31 مارس 1912م، حيث فرض الاستعمار الفرنسي والإسباني وجوده داخل التراب الوطني.

لقد عاشت الأمة المغربية، تجربة امتحان عسير، مع استعمار شرس ومشاغب، أنكر شرعية وجودها على أرضها، مجتمعة أو متفرقة، ودخلت معه في حرب ضارية ونهائية، لإحباط نوايا المستعمر، وإفشال مشروعه الرامي إلى خلخلة شخصيتها، وتفكيك قواعد هويتها، من خلال حرب مدمرة، شنّها ضدها على ثلاث واجهات رئيسية ومتشابكة: الواجهة الدينية، الواجهة العرقية، الواجهة الثقافية واللغوية.

سنحاول مقارنة الموضوع، وملامسة عناصر الإجابة عن سؤال الهوية، التي أراد المستعمر طمسها، وأعتبرها أولوية استراتيجية للاحتلال، ثم كيف استطاعت المقاومة الوطنية دحض أطروحة الاستعمار من خلال المداخل المذكورة؟ وكيف نشأت الحركة الوطنية؟ وما هو برنامجها ووسائل عملها؟ وكيف تحولت مطالبها من الإصلاح إلى الاستقلال؟

الواجهة الدينية.

الهوية الدينية بين التغير والتأصيل.

إن الهجمة الشرسة التي شنّها الاستعمار الفرنسي والإسباني على المغرب، لم يكن مخططها يهدف إلى غزو الأرض والاستيلاء على البلاد فحسب، ولكن كان يهدف بالأساس، إلى غزو العقيدة واللغة والمقومات الروحية للشعب المغربي، وتفريغها من محتوياتها الإيجابية، ليسهل عليه بعد ذلك استئصالها من نفوس القوم وعقولهم، إلا أن المغاربة لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الهجمة الصليبية الجديدة على بلادهم، بل بادروا إلى صدها ومقاومتها، ومن أشكال ذلك، ما قامت به الحركة الوطنية مع مطلع ثلاثينيات القرن الماضي، من نضال سياسي ركزت فيه بالأساس، على الدفاع عن الهوية الدينية والوطنية المغربية، فعملت المقاومة على نشر الوعي الوطني في صفوف الشباب وداخل أوساط المجتمع المغربي بمختلف طبقاته¹.

وقد كان رد فعل المغاربة على الاستعمار، تلقائياً، عميقاً، وسريعاً، تغذيه في الأفراد غريزة حب البقاء، وتذكیه في الجماهير، مشروعية الدفاع عن النفس، فقد كانت الجماهير تتعرف إلى صوتها، في صوت الحركة الوطنية، فتمنح للوطنيين المشروعية، بالدعم الشعبي البطولي لهزم الاستعمار.

الحركة السلفية:

تزعمها كل من أبي شعيب الدكالي، ومحمد بلعربي العلوي، كان هدفها نشر الشريعة الإسلامية والتوعية الدينية، خوفاً من تسرب سموم الاستعمار إلى الدين الإسلامي الحنيف² في وقت ظن فيه الفرنسيون أن غلبة المغاربة، لن تكون إلا من مدخل إبعادهم عن دينهم، لكن من ذا الذي يستطيع أن يواجه المسلمين بالدعوة للخروج عن دينهم؟

1 - كتاب الحركة الوطنية والظهير البربري، لحسن بوعباد، ص: 27.

2 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، الدكتور أحمد مالكي، ص: 29.

لقد وجد الشباب المغربي في دائرة الحركة السلفية، ميدانا لبذل نشاطه، وتعويد نفسه على العمل لخدمة الأمة، والتضحية في سبيلها، وهكذا تكونت منه مجموعات صغيرة (بفاس، الرباط، تطوان، مراكش، طنجة) لم تلبث أن أخذت تتناول الشؤون العامة بأسلوب مغاير، فقد كانت تقاوم المغاربة الذين استفادوا من نظام الحماية الفرنسية وعملوا لبقائه³. وعملت على تنوير الرأي العام بأخطار الحماية الفرنسية وبأضرارها على الحضارة والهوية المغربية.

فحاولت السلطات الاستعمارية خلق حركات تتبنى عدة مبادئ خارجة عن نطاق الدين الإسلامي، لطعن المسلمين في صميم عقيدتهم، وفصل غالبية المغاربة المسلمين من البرابر عن دينهم، فقسموا المغرب إلى قسمين⁴:

قسم أول، يخضع للتشريع الإسلامي وقانون الفقه المالكي المعمول به بالمغرب، في المدن وبعض القبائل التي تتكلم اللغة العربية.

وقسم ثاني، استحدثوا له قوانين مستمدة من بعض الأعراف الجاهلية، ومطعمة بالقانون الفرنسي، (كعدم توريث الفتاة، واقتصار عقد قرانها على الفاتحة فقط، وتربية أبناء البرابرة تربية مسيحية، وإدخالهم الكنائس لدراسة تعاليم الديانة المسيحية) ويشمل سكان جبال الأطلس والبلاد التي تتكلم اللغة البربرية، أي معظم الشعب المغربي⁵.

وكانوا يهدفون من وراء ذلك، إلى إذكاء النعرة البربرية والتفرقة العنصرية بين سكان المغرب، حتى إذا ما تم لهم عزل القسم الثاني، عن الأول، أو عزوا إليه بطلب الانفصال عن حكومة السلطان، وتأسيس حكومة خاضعة للنفوذ الفرنسي، يقاومون بها الحكومة الشرعية للبلاد وما تمثله من مبادئ وقيم، وفي طليعتها الإسلام والعروبة⁶.

ولم يكن ذلك ليتأتى لهم بطبيعة الحال، إلا بجملة وسائل من أبرزها القضاء على الدين والشريعة الإسلامية، وسط القبائل البربرية عن طريق العدلية والتعليم، وإقامة كنائس ومؤسسات تبشيرية وتدعيمها بجيش من المبشرين والمبشرات⁷.

3 - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لعلال الفاسي، ص: 159.

4 - المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي، لحسن الوراكي، ص: 20.

5 - المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي، لحسن الوراكي، ص: 19.

6 - انظر أحاديث في الأدب المغربي الحديث، ص: 77-78.

7 - المضمون الإسلامي في شعر علال الفاسي، لحسن الوراكي، ص: 20.

فاشتعلت بذلك نار الثورة وخرجت المظاهرات في الشوارع، استنكاراً لتهج السلطات الفرنسية، سياسة "فرق تسد"، وكانت المساجد تملأ بالمواطنين المرددين للطيف: "اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، ولا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر".⁸

واحتجاجاً على المؤامرة، وفي سياق حركة النهوض الوطني في عموم المغرب، ونتيجة لما راكمته المقاومة من تجربة ستفشل السياسة البربرية للاحتلال، وستكون أكبر نكسة لها، تكمن في انخراط البرابرة في المعركة ضدها.⁹

إنها بهذا المعنى، شكلت أول هجوم على عروبة المغرب من مدخل إسلامي، للفصل بين مسلمين عرب، ومسلمين غير عرب، وهو هجوم إذا كان قد استنفر عروبة المغاربة، فهو لم يكن ليخوض المعركة إلا من داخل الإسلام لردم الهوة بين مكونه العرقيين.¹⁰

وعموماً فقد أخفقت السياسة الاستعمارية، وتجاوزت المغاربة امتحان الانتماء الديني والقومي، إذ أدت هذه السياسة الاستعمارية في هذا المجال إلى نتائج عكسية تماماً.

الواجهة العرقية:

الحركة البربرية:

اهتدى إليها الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات الشخصية المغربية، وإدماجها في حظيرة العائلة الفرنسية.

لقد ظل الفرنسيون منذ احتلال الجزائر سنة 1830م، يبحثون عن الوسيلة التي تهيب لهم الامتلاك الدائم للشمال الإفريقي وتعميره بمسيحيين من العنصر اللاتيني، لكن السكان الأصليين المتمسكين بإسلامهم وبوحدتهم وعروبتهم وقفوا في سبيلهم.¹¹ ورغم ذلك عمدت السلطات الاستعمارية، إلى تقوية العنصر البربري على حساب العربي، مع أن الأمر لم تستدعه الحاجة، إلا فائدة تحطيم الترابط المتين بين الإثنيات المغربية.

8 - من أول المساجد التي رفع فيها اللطيف مسجد القرويين بفاس، ثم امتداداً من مساجد سلا والرباط ومراكش وغيرها من المدن.

9 - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، لعلال الفاسي، ص: 142.

10 - يقظة الوعي العروبي في المغرب: مساهمة في نقد السوسيولوجيا الاستعمارية، محمد عابد الجابري، ص: 38.

11 - الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، الطبعة الأولى، بيروت، 1992م، ص: 30.

هذه الحركة التي أنشأها المستعمر، بغرض التفرقة بين البربر والعرب، حتى في الأمور التشريعية والمدنية، بحيث لا ينطبق عليها النظام الشرعي الإسلامي، المطبق في عموم البلاد، ما اعتبرته الحركة الوطنية دليلاً على وجود مشروع استعماري لتنصير البرابرة المغاربة، لاسيما أن المحاكم الفرنسية منحت لنفسها سلطة البث في المخالفات ذات الطبيعة الجنائية، والتي تقع في المناطق البربرية، الأمر الذي يعني استهداف وحدة البلاد.¹²

كل هذا وذاك، لم يؤد إلى النتيجة المرجوة، ما دفع السلطات الفرنسية إلى إصدار ما سمي بالظهير البربري يوم 16 ماي 1930م قصد التفريق بين أبناء الشعب المغربي، وتفكيك وحدتهم، وطمس هويتهم الدينية والوطنية، بشكل قانوني، لكن هذا المخطط ولد ميتاً، ذلك أن رجال الحركة الوطنية، أبانوا للكيان الاستعماري، تشبث المغاربة قاطبة بهويتهم ووحدتهم وتعلقهم بالعرش العلوي المجيد.

وما كان رد السلطات الفرنسية، إلا أن تخلت عن بعض نصوص هذا الظهير، بعد القبض على كثير من المغاربة وسجنهم وتعذيبهم، وكان هذا منبعا لظهور الحركة الوطنية، التي كانت تسمى كتلة العمل الوطني، التي قامت بعرض مجموعة من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، على الملك المغفور له محمد الخامس، ليقدمها للسلطات الفرنسية، الأمر الذي أثار غضب المقيم العام لوسيان سان، فهدد بذلك الجالس على العرش، إلا أن المغفور له محمد الخامس، لم يعبأ بهذه التهديدات، واستمر في مساندته لكل مبادرات المقاومة في سبيل التحرر والاستقلال.¹³

وعليه فمجممل المنطلقات التي شكلت مصادر أساسية في إيديولوجية الاحتلال، وصاغ مضامينها ليوطي في السياسة البربرية، هي نفس مقاييس الخلفية التي حكمت استراتيجية الاحتلال وحددت توجهاته، ضداً على الالتزامات التي تضمنتها المعاهدات المبرمة بين المغرب وفرنسا.

12 - مغرب الغد، لجوب مارتى، ص: 241.

13 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور محمد مالكي، ص: 194.

الواجهة الثقافية واللغوية

التعليم:

الواقع أن الثقافة المغربية التي تألفت في القرون الوسطى، أصابها الوهن والضعف منذ القرن الخامس عشر، وقد تعرض التعليم للانحطاط، ولم يتم تطبيق أنظمة الفكر والبحث التي مكنت الشعوب الأوربية من تحقيق تقدم حاسم خلال القرن التاسع عشر، في ميدان العلوم البحتة.

غير أن هذا الانحطاط لم يكن شاملا، فقد درج الملاحظون على الاعتراف بوجود مدارس قرآنية، تقوم الجماعة بتوظيف وتعهد الفقهاء والقائمين عليها، وكان الطفل في هذه المدارس يتعلم بعض سور القرآن الكريم، وقليلًا من القراءة والكتابة والحساب، بل وبعض مبادئ العربية الفصحى فقط، وقد تعرض أشهرها للتشتيت والإغلاق، من طرف السلطات الفرنسية، لما كانت تمثله من خطر عليها.

ورغم ذلك لم يفت ليوطي أن صرح في خطاب له بالدار البيضاء يوم 17 أبريل 1921م قائلا: "علينا ألا ننسى.. فنحن في بلد ابن خلدون الذي جاء إلى فاس في سن العشرين، وبلد ابن رشد، ولا يقل خلفهما قيمة عنهما".¹⁴

لم تخف السلطات الفرنسية مقاصدها تجاه المغاربة من التعليم والذي قسمته إلى ثلاثة أنواع من التعليم: التعليم الأوربي، التعليم الإسرائيلي، التعليم الإسلامي (المغربي).

ومعنى هذا أن المدرسة المغربية كان بالإمكان لها أن تتقدم وتتطور، لو أن التعليم فيها، تعصرن بتنقيح متواصل. وقدم للشعب المغربي في لغته الوطنية، غير أن ذلك لم يكن من أهداف الحماية.

وبقي التعليم القديم السائد في المدارس القرآنية على ما كان عليه، أما التعليم العصري للمسلمين فقد نظم بين 1912م و1924م على أساس المبادئ التي صاغها ليوطي وطورها بعده بول هاردي، وكان يهتم بتعليم أبناء الأعيان في المدارس التي أحدثتها سلطات الحماية لهم، حيث يقول:

14 - المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، ص: 364.

"فبواسطة المدارس يمكننا تكوين نخبة قادرة على مشاركتنا وإعداد موظفي الحماية¹⁵ يعتبر أن، على السكان المغاربة الذين يتكلمون باللهجات البربرية، أن يتلقوا تعليما متميزا، تعليما فرنسيا صرفا وقد تم إنشاء مدارس فرنسية - بربرية لفائدتهم.¹⁶

فالتعليم في هذه الفترة مشئت ومعقد، يهدف إلى تقسيم المغاربة بدعوى احترام الخصوصيات الدينية أو اللهجية أو التمايزات الاجتماعية، فضلا عن ذلك جعلوه تعليما دونيا آفاقه محدودة عمدا، بناء على برامجه وقيمه، ويلقن بلغة واحدة هي اللغة الفرنسية.

اللغة العربية:

المغاربة أمة ملتحمة لغتها وأنظمتها واحدة، فالعربية هي اللغة الدينية والإدارية والتعليمية، الأمر الذي حير المستعمر، وعمل على أن تقوم اللغة الفرنسية مقام العربية كلغة مشتركة ولغة للمدينة.

يقول جوب مارتى: "كل تعليم عربي، وكل تدخل من قبل (الفقيه) وكل ظاهرة إسلامية، يجب منعها بصرامة تامة"¹⁷.

وجاء في أطروحة جودفروى - دمو نيين عن التعليم: "فيما يخص المعلمين فيجب عليهم ألا يستعملوا في أي حال من الأحوال اللغة العربية ولو في أوائل الدراسة، كما يجب عليهم ألا يسمحوا للتلاميذ..."¹⁸.

وكتب موريس جلاي¹⁹ أحد موظفي الإقامة العامة مقالا بعنوان: "المدرسة الفرنسية لدى البربر"، ومما جاء فيه: "يجب أن نحذف تعليم الديانة الإسلامية واللغة العربية في مدارس البربر، وأن تكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية"، وختم مقاله: "يجب أن نعلم البربر كل شيء ماعدا الإسلام"²⁰.

15 - La politique du protectorat : 18 novembre 1920

16 - المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، ص: 365.

17 - مغرب الغد، لجوب مارتى، ص: 241.

18 - عمل فرنسا بالمغرب فيما يخص التعليم، لجود فروى - دمو نيين، ص: 121.

19 - Mauric Le Glay

20 - نشرة المعارف المغربية الصادرة في غشت 1921م.

يتبن من هذا كله، أن السياسية الاستعمارية ترمي لفرنسة المغرب لغويا، دينيا، تعليميا، وقضائيا، كوسيلة للتفرقة بين مكونين كبيرين في البلاد، ومحاولة لطمس الثقافة العربية الإسلامية من خلالها، بإفقال المساجد والكتاتيب القرآنية في وجههم، ومنع الفقهاء من تعليمهم أحكام دينهم.

التجنيس:

إننا ونحن بصدد تحليل موضوع المساس بالهوية في ممارسة الاستعمار الفرنسي، تستوقفنا ظاهرة مثلت واحدة من أكثر الظواهر تجاوزا لشعور الشعب الفرنسي، ونعني بذلك مشكلة التجنيس الفردي والجماعي، التي لم تكن أكثر من أداة لاستمالة الطوائف المتعايشة بالمغرب لصالح السياسة الفرنسية، وأيضا مدخلا عمليا للمساس بهوية المغاربة ومعنوياتهم. فاستصدرت له عدة مراسيم تقنن وتنظم باسمه مادة التجنيس، ففي قانون إميل مورينو الخاص باكتساب الجنسية الفرنسية، تقف على الاعتبار التي قدرتها الإقامة العامة الفرنسية، كدوافع كفيلة بالتشجيع على التجنيس والتنصير معا²¹.

يقول إميل مورينو: "لقد أبانت التجربة-نص ديباجة القانون- على أننا إذا أردنا أن نكون مجموعة مهمة من الفرنسيين ذوي الأصل الأوروبي، ينبغي أن نيسر ونسهل بالقدر الممكن، اكتساب الجنسية الفرنسية بأقاليم الحماية..."²².

فرغم تقدير السلطات الفرنسية، أن الحل الذي يمكن أن يدمج المغاربة في المجتمع الاستعماري هو قضية التجنيس، ليتبين لها فيما بعد، أن المغاربة يرفضون الاندماج في غيرهم، وهم أعظم كبرياء من أن يقبلوا جنسية قوم يعتبرونهم نصارى مسيحيين.

نشأة الحركة الوطنية: البرنامج والوسائل.

انحسرت السياسات الفرنسية وأهدافها في الاختراق المادي والروحي للإنسان المغربي، وإدماجه في منظومتها، وكان رده هو أن يكابد ويقاوم، ليس لنفي وإلغاء دولة الاحتلال ولكن للحفاظ على هويته، ومكونات شخصيته، وفي أقصى الحالات المطالبة بالإصلاحات، فما بين 1912م و1934م واجه المستعمر مقاومة مغربية عسكرية عنيفة (في الصحراء بزعامة الشيخ ماء العينين، وفي

21 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور محمد مالكي، ص: 194.

22 - E mile morinaud النائب الفرنسي بقسنطينة خلال العشرينيات.

الأطلس وقبائل زيان مع موحا أوحمو الزياني وعسو أوبسلام. أما في الريف فمع محمد ابن عبد الكريم الخطابي...). وقد ارتبط ظهور الحركة الوطنية بعوامل خارجية وداخلية منها:

*توقف المقاومة المسلحة واشتداد الاستغلال الاستعماري وانعكاساته على المغرب.

*تأثر الطبقة المثقفة بالحركات التحررية العالمية، لاسيما المشرق العربي.

*إصدار الظهير البربري يوم 16 ماي 1930م للتفريق بين العرب والأمازيغ²³.

وما أن اقترب المستعمر من القضاء على المقاومة المغربية العسكرية، حتى ظهرت الحركة الوطنية في احتجاجات شعبية بسبب إصدار فرنسا للظهير البربري في 16 ماي 1930م.

وسائل عمل الحركة الوطنية

عملت الحركة الوطنية في نضالها السلمي بعدة وسائل لنشر الوعي والنضال الوطني، منها: إصدار جرائد ومجلات ومنشورات لفصح المستعمر، وإنشاء المؤسسات الحزبية (كتلة العمل الوطني، بالمنطقة السلطانية، وحزب الإصلاح الوطني، والوحدة المغربية، بالمنطقة الخليفية)، وتكوين عدة فرق موسيقية ومسرحية، والاحتفال بعيد العرش، ودعم المظاهرات، وتبني أسلوب المقاطعة التجارية.²⁴

وهنا نتساءل عما إذا واكب هذا الانتقال في ترتيب أولويات الحركة الوطنية، وعيا متجدداً على مستوى الآليات النازمة لأشكالها النضالية؟

المطالب الإصلاحية للحركة الوطنية

انتقلت المقاومة ما بين 1930م سنة و1939م من المطالبة بالدفاع عن الهوية إلى المطالبة بالإصلاحات وقد تمت على مستوى منطقتين أساسيتين:

المنطقة السلطانية:

حيث طالبت في سنة 1933م بقيادة حزب كتلة العمل الوطني، بإصلاحات إدارية (احترام المعاهدات وعدم المس بالحدود المغربية، إيقاف الاستعمار الرسمي للبلاد)، وإصلاحات اجتماعية

23 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور احمد مالكي، ص: 329.

24 - نفس المرجع، ص: 328.

(إنشاء مستشفيات ومدارس حرة، وتدرّيس العربية)، وإصلاحات اقتصادية (حق المغرب في استغلال مناجمه، ووقف الاستعمار الفلاحي الرسمي، والمساواة في الضرائب بين المعمرين والمغاربة).

المنطقة الخليفية:

وفي الشمال طالبت الحركة الوطنية، بزعامة حزب الإصلاح الوطني (عبد الخالق الطريس) وحزب الوحدة المغربية، بزعامة (محمد مكي الناصري) بالإصلاحات التالية: التثبيت بالسلطان، إنشاء مجالس بلدية ومدارس وتدرّيس العربية والإصلاح الفلاحي.²⁵

نستطيع الجزم بأن بداية الأربعينيات، شكلت بكل المقاييس حدا فاصلا بين لحظتين في تطور العمل الوطني، وأولويات مطالبه ومضامين نضاله، فأصبحت الأسبقية للاستقلال بدل الإصلاح، وهي مرحلة حاسمة غيرت مجرى التاريخ.

الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال

ما بين 1939م و1952م وفي إطار نضالها السلمي انتقلت الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاح إلى المطالبة بالاستقلال مستغلة الظروف العامة والعوامل الآتية:

- * رفض فرنسا للمطالب الإصلاحية، وتزايد حدة استغلالها الاستعماري للمغرب.
- * نفى زعماء الحركة الوطنية (علال الفاسي، محمد بلحسن الوزاني، أحمد بلافريج)،
- * وإصدار الميثاق الأطلسي سنة 1941م الذي ينص على حق الشعوب في تقرير المصير.
- * انعقاد لقاء أنفا سنة 1943م الذي تلقى خلاله السلطان محمد بن يوسف دعما من الرئيس الأمريكي روزفلت.

* الحرب العالمية الثانية.

* تراجع قوة فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية.²⁶

25 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور محمد مالكي، ص: 329.

26 - نفس المرجع، ص: 329.

ونتيجة لذلك وفي 11 يناير 1944م أصدر حزب الاستقلال وثيقة المطالبة بالاستقلال مطالبا فيها باستقلال ووحدة المغرب بقيادة الملك محمد الخامس.

وما بين 1953م و1956م اعتمدت الحركة الوطنية الكفاح المسلح بسبب العوامل التالية: دعم الدول المستقلة من طرف الأمم المتحدة، والجامعة العربية لاستقلال المستعمرات، وتعاون محمد الخامس مع الحركة الوطنية.

فخلال زيارته لطنجة 1947م وخطاب العرش 1952م طالب باستقلال المغرب، وفي 1952م انتفض المغرب بعد اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد.²⁷

ظروف حصول المغرب على استقلاله

أدى توتر العلاقة بين الملك المغفور له محمد الخامس والإقامة العامة، بعد تعاونه مع الحركة الوطنية وتصريحاته المعادية للمستعمر (خطاب طنجة) إلى نفيه لجزيرة كورسيكا يوم 20 غشت 1953م ومنها إلى جزيرة مدغشقر، وتنصيب محمد بن عرفة عوضا عنه، بتواطؤ مع بعض الباشاوات والقواد الكبار.²⁸

ترتب عن ذلك ثورة الملك والشعب، حيث تصاعدت المظاهرات المندية بإرجاعه، واندلاع العمليات الفدائية ضد الفرنسيين، فقرر المستعمر الفرنسي إرجاع الملك محمد بن يوسف إلى عرشه وشعبه، بعد مفاوضات "إيكس ليان" و"سان كلود"، والتي انتهت بالموافقة على عودة محمد الخامس في 16 نونبر 1955م وبعد عودته ألقى المغفور له محمد الخامس خطاب الاستقلال في 18 نونبر 1955م، وتم توقيع معاهدة الاستقلال في يوم 2 مارس 1956م، بعدها دخل المغرب مرحلة استكمال الوحدة الترابية، حيث تم استرجاع الشمال في أبريل 1956م، وطنجة في 1957م وطرفاية في 1958م وسيدي إفني في 1969م، وبعد تنظيمه المسيرة الخضراء المظفرة، استرجع الساقية الحمراء في 1975م وفي 1979م تم استرجاع منطقة وادي الذهب.²⁹

من خلال ذكرى ثورة الملك والشعب، نخلص إلى أن الاستقلال جاء نتيجة التلاحم المتين، بين الملك العظيم والشعب الوفي من عرب وأمازيغ، وقد تعددت ألوانه واختلفت مظاهره، بين ما

27 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور احمد مالكي، ص: 328.

28 - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، علال الفاسي، ص: 398.

29 - الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، للدكتور احمد مالكي، ص: 329.

هو روعي معنوي وما هو مادي محسوس، وأن الشعب المغربي لم يقبل أبدا الاحتلال الأجنبي كما لم يقبل التفرقة، ثم إن الحركات المغربية وإن تعددت أسماؤها، كان هدفها واحد وهو الحفاظ على الهوية الوطنية وتحقيق الحرية والاستقلال، وأن القوات القاهرة، والأساليب السياسية الماكرة، التي يملكها المستعمر، لم تستطع أن تقنع المغاربة بالحقيقة المرة التي هي حكم الفرنسيين والإسبانيين للمغرب.

استنتاجات

من خلال هذه الورقة المتواضعة حول موضوع ذكرى ثورة الملك والشعب، يمكن استنتاج ما يلي:

* أن المغرب لم يقبل قط الحكم الفرنسي ولا الإسباني ولا الدولي، فمنذ اتصال المستعمرين بهذه البلاد وهم يلاقون فيها من ضروب المقاومة وأصناف الدفاع، ما لم يلاقوه في بلد آخر غير المغرب، وكيف تطورت معها أساليب الكفاح في سبيل استرداد الحق المغصوب.

* أن الشعب المغربي جسد أروع صور التضامن، في مسيرة الكفاح الوطني الذي خاضه الشعب المغربي بقيادة العرش العلوي المجيد، في سبيل حرية الوطن وتحقيق استقلاله ووحدته، والاحتفال بها يوم 20 غشت من كل سنة ترحما ووفاء لأرواح الشهداء، واستلهاما للعضات والعبر من مسار العطاء الذي جسده جيل التحرير والاستقلال.

* أن هذه المناسبة تعتبر انتصارا لقضايا الوطن ومصالحه العليا، وطموحاته الرامية إلى انتزاع حقوقه المشروعة في الحرية والاستقلال والوحدة الوطنية، كما أن الدلالات التاريخية والأبعاد الرمزية التي يتضمنها هذا الحدث الوطني الكبير، تعزز ما يزرع به تاريخ المغرب من أمجاد وبطولات وروائع للكفاح الوطني صنعها عرش مجاهد وشعب أبي.

* أن ثورة الملك والشعب اعتبرت محطة تاريخية بارزة في مسيرة النضال الذي خاضه المغاربة عبر عقود وأجيال لدحر قوات الاحتلال، فقدموا نماذج رائعة وفريدة في تاريخ تحرير الشعوب من براثن الاستعمار، وأعطوا المثال على قوة الترابط بين مكونات الشعب المغربي وتوحده قمة وقاعدة، واسترخاصهم لكل غال ونفيس دفاعا عن مقدساتهم الدينية وثوابتهم الوطنية وهويتهم المغربية.

* أنها وحدت إرادة قائد بأمتة وشعبه، وصنعت المعجزات، وتواصلت باستكمال استقلال أجزاء من التراب الوطني وتحقيق الوحدة الترابية، بقيادة مبدع المسيرة الخضراء وباني المغرب الحديث، جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراه.

* أنها ملحمة لها في قلب كل مغربي، مكانة سامية، لما ترمز إليه من قيم حب الوطن وانتصار إرادة العرش والشعب، وهي مناسبة كذلك لإبراز مظاهر التعبئة الشاملة، والتجند التام والدائم تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، الذي يحمل مشعل صيانة الوحدة الترابية للمملكة، وإعلاء صروح مغرب الحداثة والديمقراطية والتنمية، وبناء الدولة الحديثة.

التربية والتعليم في المغرب من الاستقلال إلى المرحلة الراهنة

د. محمد الحجوي - سلا.

مجال التربية والتعليم ميدان يشغل بال كل الأمم والشعوب برغم وجود قضايا أخرى قد يراها الباحث ذات أهمية مثل الاقتصاد والتجارة؛ لأن منظومة التربية والتعليم تعد عمودا فقريا لكل تنمية في الحاضر والمستقبل، فالمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي تظل تقوم بدورها في جميع الظروف والأحوال لا توقفها حروب ولا أزمات سياسية أو اقتصادية، لأن الأمة لا يكون لها وجود إلا بعقول وسواعد أبنائها الذين أخذوا نصيبا من المعرفة والتكوين والتأهيل يجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية، فالحروب والكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية قد لا تتوقف في كثير من البلدان - كما رأينا - لكن المدارس والجامعات لا تتوقف لأنها الدم الذي يجري في عروق الأمة والهواء الذي تتنفس به رثتها والشمس التي تشرق عليها كل صباح.

والمغرب بلد استقبل الثقافة العربية والإسلامية منذ الفتح الإسلامي وطورها عبر قرون عديدة لتصبح جزءا من تاريخه الفكري والحضاري، ولهذا أعطى للتعليم أهمية كبيرة طيلة هذه القرون حيث كانت المساجد والزوايا والكتاتيب تؤدي هذا الدور في المدن والقرى حتى أصبح في عصر المرابطين والموحدين والمرينيين قبلة للعلماء والفقهاء والمفكرين والمؤرخين، يأتون إليه من المشرق والأندلس المسلمة ليلتقوا بعلماء المغرب في قصور الملوك ونواصي الأمراء ومجالس الأعيان، وفي جامعة القرويين بفاس وابن يوسف بمراكش، وفي مساجده الكبرى، فازدهرت عبر كل العصور الحركة الفكرية والعلمية وأصبحت عواصمه ذات شهرة كبيرة في المشرق والأندلس مثل فاس ومراكش والرباط وسبتة وسلا.

هذا التوجه العلمي والفكري ظل مشرقا في المغرب حتى العصر الحديث برغم فرض الحماية عليه من المستعمر الفرنسي والإسباني في مطلع القرن العشرين؛ ففي هذه المرحلة أي مرحلة الحجر

والحماية ظل الملك محمد الخامس، رحمه الله، والمصلحون يجهرون في جميع المناسبات بوجوب العناية بالتعليم الديني والأدبي والعلمي، وتأسيس المدارس والمعاهد للقيام بهذا الدور، والدعوة لتعليم الفتاة بجانب الفتى، لأن الاستعمار مهما طال أمده فهو إلى زوال وأن أمور البلاد ستصبح بيد أبناءه المتعلمين الذين يحسنون التصرف فيما يدبرون من أعمال وفيما يتحملون من مسؤوليات.

ولعلنا لو استعرضنا الأقوال والتوجيهات التي كانت تنادي بوجوب العناية بالتعليم في تلك المرحلة تتبين لنا الرغبة الملحة في إصلاح التعليم وجعله يسير التطور الذي عرفه الغرب في تلك المرحلة. من هذه التوجيهات قول محمد الخامس، رحمه الله: "فوجهننا عنايتنا لجامعة القرويين التي كان لها الحظ الأوفر في المحافظة على كيان الحضارة الإسلامية، وإمداد البلاد بعلماء أعلام كانوا مفخرة في تاريخ الإسلام، فما تركنا وسيلة ترد لها مجدها وتعيد إليها سمعتها إلا اتخذناها".

فالرغبة هنا انصرفت لإصلاح التعليم في أعرق جامعة في المغرب بل في العالم لأنها كانت حصنا لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، وقلعة عتيقة لتكوين الأطر العليا في مختلف الميادين، وعرينا يمد البلد بالمصلحين والمربين والمجاهدين والدعاة. لقد كان اهتمام هذا الملك المجاهد بالتعليم عامة شغله الشاغل برغم المعاناة التي كان يعاني منها مع الاستعمار لعرقلة كل جهوده الإصلاحية، ولذلك تراه في كل مناسبة يذكر الشعب بأن التعليم والمعرفة وتنوير العقول هو السبيل الذي ينقذ البلاد من كل المشاكل التي يتخبط فيها، وهو السبيل لتحرير البلاد من الاستعمار، فقال رحمه الله: "ولما علمنا أن لا حياة لهذه الأمة إلا بما تقدم به سلفها الكريم أخذنا على عاتقنا نشر العلم سواء منه الجديد والقديم، هذا لنتوق به إلى تحلية النفوس بأنوار اليقين ومكارم الأخلاق، وذلك لاكتساب وسائل السعي إلى الأمام في كل سبيل الرقي والارتزاق"¹.

فمثل هذه التوجيهات كانت تنبه المغاربة بما ينبغي أن يجعلوه مقدما في كل مخطط يضعونه للحفاظ على أصالتهم وتاريخهم ومجدهم، وللسعي إلى الأمام لتحديث البلاد في جميع الميادين التي أصبحت ضرورية؛ فالمعركة كانت من أجل التحرير، وهي مقدمة، ولكن كانت معارك أخرى تشغل بال الملك المجاهد وهي القضاء على الجهل والتخلف والفقر ليكون المغرب مع الدول التي حققت تقدما في العلم والاقتصاد والتجارة والصناعة. ولذلك نجده، رحمه الله، بمجرد أن حصل

1 - هذه الفقرة جزء من الخطاب الذي ألقاه، رحمه الله، في زيارته لمدينة طنجة سنة 1947م لتوجيه نداء لكل المغاربة وللعالم بأن المغرب يطالب بكل إلحاح باستقلاله وحرية.

المغرب على استقلاله يكون لجنة وطنية من الخبراء والتقنيين والمربين لوضع تصور شامل لإصلاح التعليم وتحديد آفاقه في المستقبل فعمل، رحمه الله، على تأسيس المدارس والمعاهد في جميع ربوع المغرب، كما تأسست جامعة "محمد الخامس" لتكوين الأطر العليا وتطوير البحث العلمي في المعارف النظرية والتطبيقية.

هذه النداءات والتوجيهات التي كان ينادي بها محمد الخامس، رحمه الله، كانت بجانبها نداءات أخرى قوية من رجال وطنيين ينبهون المغاربة لدور التعليم لأن مستقبل الوطن لا يتم إلا على يد أبنائه المثقفين والمتعلمين أحسن تعليم في اللغة والآداب والعلوم الحديثة، ولعل الإشارة إلى نداءات المصلح محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي تبرز جانبا قويا من هذه الرغبة التي كانت تشغل بال المصلحين، فهذا الرجل شغل مناصب كثيرة تعليمية وإدارية وسياسية، فعرف المشاكل المتعددة التي كانت تعيق تقدم المغرب، ولا تساعده على الإقلاع والخروج من التخلف الذي كان يعاني منه، فكانت كتاباته ومحاضراته تنبه المغاربة إلى وجوب العناية بالتعليم الذي يستطيعون بواسطته تحقيق كل الغايات التي يطمحون إليها. فمن أقواله في ذلك: "إذ لا سبيل لأن نصير أمة معدودة من الأمم الحية إلا بتعميم القراءة والكتابة بين الحواضر والبادي، وتعميم التعليم الابتدائي حتى يصير جل أفرادها رجالا ونساء يقرأون ويكتبون باللسان العربي الفصيح"².

فالدعوة إلى إجبارية التعليم في هذه المرحلة كانت تعد خطوة رائدة عند هذا المصلح الذي تقلب في مناصب عديدة ذات صلة بالتربية والتعليم بجميع أسلاكه، فعرف أسباب الخلل ومكامن العلاج مما كان يعاني منه المغرب من تخلف وجهل في تلك المرحلة، فبحث بفكر المصلح والمربي والسياسي عن سبل علاج تلك المشاكل. وتجد هذا المصلح في موضع آخر يدعو إلى الإسراع لتكوين الأطر العليا في التخصصات الدقيقة التي تقدم فيها الغرب مثل الطب والهندسة والصناعة الميكانيكية، وذلك في قوله: "وليهيئوا من ظهرت أهليته على تحصيل العلوم العالية عربية وأوربية من طب وهندسة وطبيعات وحقوق وميكانيكيات وغير ذلك"³.

2 - الفكر السامي، 396/2.

3 - المصدر نفسه، 390/2.

تطور التعليم بعد الاستقلال.

كانت أول المشاكل التي واجهت المغرب بعد الاستقلال هي: مشكلة الأطر التعليمية، وثانيا: البنيات المدرسية التي تستوعب الأعداد الهائلة من التلاميذ الذين أقبلوا على التعليم من المدن والقرى. وذلك أن الخطة التي اعتمدت في التدريس في هذه المرحلة هي استقبال كل التلاميذ دون مراعاة السن في غالب الأحيان، ولم يكن الاستعمار في مرحلة الحماية قد وضع خطة لمواجهة هذين المشكلين. ومن هنا كان تحدي المغرب كبيرا من أجل توفير البنيات في حواضره وبواديها والأطر التعليمية لتستقبل هذه الأعداد التي أقبلت بكثرة؛ ولم يكن الأمر سهلا ولكن بفضل تكاثف الجهود وفتح مدارس تكوين المعلمين والمعلمات في جل الأقاليم والمدرسة العليا والاستعانة بأطر تعليمية مشرقية وأجنبية وتطوع الكثير من مدرسي التعليم الابتدائي للتدريس في التعليم الإعدادي استطاع المغرب التغلب على الكثير من المشاكل في ظرف وجيز.

ولم يكن مشكل الأطر التعليمية الوحيد الذي يعاني منه المغرب في هذه المرحلة وإنما كان يعاني نقصا كبيرا في الأطر الإدارية والصحية بل في جميع الميادين الضرورية في مرافق الدولة، ومن هنا فإن نضال المغاربة بعد الاستقلال اتخذ منحى شموليا للقضاء على مخلفات الاستعمار في جميع الميادين، ولذلك سَمَّى محمد الخامس، رحمه الله، مرحلة ما قبل الاستقلال بالجهاد الأصغر، ومرحلة ما بعد الاستقلال بالجهاد الأكبر، إنه بحق جهاد كبير من أجل القضاء على الفقر والتخلف والأمية وبناء المغرب الحديث في مجال الصناعة والتجارة والفلاحة والبحث العلمي والمواصلات والعمران وتحديث الإدارة.

وأما في التعليم وتطوير البحث العلمي - وهو مجال بحثنا - فقد رأينا - كما ذكرنا سابقا - كيف كَوَّن محمد الخامس، رحمه الله، لجنة من العلماء والخبراء لتشرف على وضع تصور شامل لتعليم يحافظ على التراث والأصالة ويسعى لإدخال المعارف الجديدة في مناهجه وبخاصة التي تقدم فيها الغرب على العالم الإسلامي؛ فكانت الانطلاقة واعدة بآفاق جديدة ومبشرة بمستقبل مشرق بحيث تأسس في ظرف وجيز عدد كبير من المدارس والمعاهد في الحواضر والبوادي، وتأسست أول جامعة عصرية تعنى بتدريس الآداب والعلوم الإنسانية واللغات الأجنبية والقانون والعلوم التجريبية والطب والهندسة بمناهج حديثة، ألا وهي "جامعة محمد الخامس" التي أصبحت من أرقى الجامعات وقد ضُمَّت أطرا تعليمية وفكرية من خيرة علماء المغرب والمشرق والغرب. ثم كثرت

الجامعات في مختلف مناطق المغرب لتستقبل الأعداد المتزايدة من الطلبة، كما وضع المغرب خطة لتكوين الأساتذة الجامعيين في مختلف التخصصات حتى أصبحت أطر التدريس فيها تغطي كل التخصصات.

كيف تمّ علاج مشاكل التربية والتعليم؟

انطلاقاً من الرؤية السابقة التي اتخذها المغرب منهجاً استراتيجياً في الإصلاح الشامل كان مشكل التربية والتعليم من أهم ما شغل الحكومات المتعاقبة منذ فجر الاستقلال وإلى المرحلة الراهنة برغم بعض العثرات والهفوات التي وقعت في هذا الإصلاح وقد تمثلت في التسرع في وضع المناهج وفي الرؤية المستقبلية للإصلاح وفي لغة تدريس المواد العلمية. وكانت التوجيهات الملكية في خطب المناسبات الوطنية دافعا قويا للسير في طريق الإصلاح المأمول وتحديد الأهداف التي كان يراهن عليها مغرب ما بعد الاستقلال. وكان محمد الخامس، رحمه الله، من الذين اعتبروا إصلاح التعليم من الأولويات الضرورية بجانب التخطيط للتنمية الشاملة والقضاء على الفقر والمظاهر الاجتماعية التي خلفها الاستعمار. فقبل الاستقلال نجده يتنبه لما آلت إليه "جامعة القرويين" من تراجع على جميع المستويات الإدارية والتربوية والعلمية، وهي الجامعة التي كان لها دور كبير في تكوين الأطر العليا وتخريج العلماء في العلوم اللغوية والشرعية، ولذلك سارع إلى إصلاحها بطريقة شمولية، وكون هذه الغاية مجلسا علميا أعلى يضم خيرة رجال العلم لأنهم القادرون على علاج هذا الداء لقرب اختصاصهم ودرايتهم بمكانة القرويين حاضرا ومستقبلا.

تلك الرؤى ستزداد وضوحا في منهجها بعزم وإصرار على تحقيقها وجعلها واقعا مجسدا في عهد الحسن الثاني، رحمه الله، إذ لم تغب عن ذهنه رؤية الإصلاح في جميع خطبه وفي كل مناسبة حينما كان يلتقي بالعلماء والمربين والطلبة، فقد كان يلح على إصلاح التعليم وجعله يسير التطور الذي عرفه العصر الحديث دون التخلي عن الثقافة الإسلامية والعربية التي هي رمز أصالتنا وجذور تاريخنا، فنجد، رحمه الله، بعد فترة وجيزة من اعتلائه العرش يؤسس "دار الحديث الحسنية" التي ستسير على نهج القرويين وابن يوسف، لكن في تعميق الدراسة في الأحاديث الشريفة بتوثيق الرواية واستنباط المعاني الأخلاقية والتربوية التي تضمنتها تلك الأحاديث، فقال بمناسبة افتتاحها مشيرا إلى الدور الريادي الذي قامت به القرويين، ولا ريب أن الغاية من هذه الإشارة هو أن تكون دار الحديث في المستوى العلمي لتلك الجامعة العتيقة: "ونحن موقنون بأن الدروس العلمية التي عرفتها

حلقات الدراسة في أول جامعة عالمية هي جامعة القرويين التي حج إليها الرواد من جميع أنحاء المعمور وحتى من أوروبا كانت في بعض عصورنا الذهبية عصارة ما انتهى إليه الفكر البشري الذي تلاقح بمختلف إنتاج الحضارات"⁴.

إن الحسن الثاني سيجعل قضية التربية والتعليم في مقدمة القضايا التي ينبغي أن يعكف عليها المغرب بجد وحزم وعزم، مراعيًا في ذلك إحضار كل ما يمكن أن يسهم في الارتقاء بالمنظومة التربوية والتعليمية على جميع المستويات من حيث مراجعة المناهج ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي والتقني الذي حقق لأمم أخرى ازدهارا صناعيا واقتصاديا وتجاريا. وقد وجدناه في كل خطبه يحث الحكومات على استحضار هذه الرؤية في برامجها ومخططاتها في آجال مدروسة ومحددة للبلوغ للغايات المنشودة، فقال في خطاب العرش لسنة 1996م منبها الحكومة لما ينبغي أن تجعله من الأولويات في إصلاح التعليم: "ولن يتأتى لنا إنجاز ما نصبو إليه من إصلاحات إلا إذا سائر تعليمنا متطلبات التحول الذي يعرفه العصر، فالغاية من التعليم لم تعد التثقيف وحده، بل بالأخص الإعداد والتكوين للإسهام في الإنتاج، وهذا يفرض علينا أن نؤهل من الآن أجيالنا لما قد يظهر من حاجيات بعد عقد أو عقدين"⁵.

إنها رؤية مستقبلية تعتمد على الدراسة المتأنية للحاجيات والإمكانات، ولا يتحقق ذلك إلا باعتماد الحكومة في برامجها على الخبراء وذوي الكفاءات وإيجاد الوسائل المبلغة لتلك الغايات.

وهذه الرؤية شغلت بال الحسن الثاني رحمه الله ليس في خطاب واحد بل كررها في مناسبات عديدة، ولعل الإشارة إليها في خطاب العرش لسنة 1997م يؤكد هذه الرغبة حيث قال: "لن تكون هذه الإصلاحات كافية لتحريك مسار التنمية بالسرعة التي نسعى إليها إذا لم يؤخذ كذلك بعين الاعتبار أهمية تكوين الطاقات البشرية والدور الحيوي الذي تلعبه التجهيزات والمواصلات.

ففيما يخص إعداد الطاقات البشرية فإنك تعلم مدى انشغالنا بالحالة التي يوجد عليها نظام تعليمنا الذي إذا لم يتم تكييفه مع ما يتلاءم ومتطلبات العصر فإنه قد يصبح أكبر عائق أمام اقتصادنا في معركة التنافس الدولي".

4 - دعوة الحق، عدد 376، سنة 2004م.

5 - المرجع السابق، عدد 318، سنة 1999م.

فالتعليم الهادف هو الذي يتلاءم مع متطلبات العصر الذي عرف تطورا سريعا في كل الميادين المرتبطة بالاقتصاد والتجارة والصناعة والبحث العلمي، ولن يكون المغرب في مستوى المنافسة الدولية في تلك المجالات بدون إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية من الابتدائي إلى العالي مع إحداث مراكز البحث العلمي التي تتابع كل ما يجد عند الأمم المتقدمة.

ولكون المغرب مثل باقي دول العالم قد عرف نهضة صناعية وتقنية، وإن كانت في خطواتها الأولى، فإن رؤية إصلاح التعليم بصفة شمولية اقتضت أن يعطى للتعليم التقني والمهني الاهتمام لتكوين الشباب في هذا المجال من أجل ولوج سوق الشغل والتخفيف من البطالة وتكوين الخبرات المطلوبة، لقد كان الحسن الثاني، رحمه الله، يحث الحكومات المتعاقبة على جعل التعليم التقني والمهني مقدما في كل تخطيط وفي الرؤية لمستقبل الشباب الذي هو عمدة البلاد وركيزتها الأساسية قال، رحمه الله، في خطاب ثورة الملك والشعب سنة 1998م: "فالتعليم والتشغيل هما الأساسان اللذان يجب علينا أن نضع عليهما قاطرة المغرب، وبدونها لا يمكننا نهائيا أن نخوض أي معركة وبالأحرى أي ملحمة".

ولكي تتحقق الفكرة في أتم كمالها أي إصلاح التعليم النظري والتطبيقي الذي يواكب سوق الشغل نجده، رحمه الله، يُكوّن لجنة وطنية تضم كفاءات عالية في التعليم وفي مجالات اقتصادية واجتماعية لوضع رؤية شاملة لميثاق وطني للتربية والتعليم، تحدد فيه تلك اللجنة الأهداف والغايات في آجال معينة برؤية موضوعية تراعى فيها خصوصيات المغرب وتاريخه وأصالته وإمكاناته وحاجياته وما يطرأ في العالم من تطور وتقدم تربوي وعلمي وتقني يجعل المغرب مواكبا له ليسير في الطريق الذي يحلم به أبنائه.

لقد وضعت اللجنة بعد تتبع ومعاينة لما حققت دول أخرى متقدمة التصور والأهداف من العملية التربوية والتعليمية⁶، لكن تشاء الأقدار أن يرحل الحسن الثاني إلى جوار ربه قبل أن يطلع على نتائج هذه اللجنة، ومن هنا أخذ جلالته الملك محمد السادس نصره الله على عاتقه تحقيق ما جاء

6 - مشروع ميثاق التربية والتكوين وضعته لجنة من خبراء التربية والتعليم لإصلاح التعليم في المناهج والمقررات والأهداف التي ينبغي تحقيقها في زمن معين - عشر سنوات -، وكان الحسن الثاني، رحمه الله، هو الذي كلف هذه اللجنة بوضع هذا المشروع بعد الاطلاع على نماذج متعددة من تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال. وقد قسّم الميثاق الوطني الأهداف إلى قسمين كبيرين، الأول: تضمن المبادئ الأساسية لنظام التربية والتكوين التي ينبغي أن تكون ملائمة لمبادئ العقيدة ومراعاة الروافد الثابتة لثرائنا وثقافتنا. والثاني: احتوى على مجالات التجديد ونشر التعليم وربطه بالمحيط الاقتصادي، والرفع من جودة التربية والتكوين.

من توصيات اللجنة، وقد أشار جلالته إلى ذلك في قوله: "وقد شاءت الأقدار أن تنهي هذه اللجنة أشغالها دون أن يطلع والدنا المشمول برحمة الله على نتائجها، ونغتنم هذه الفرصة لننوّه بعملها وبجهود كل أعضائها، وقد اطلعنا على نتائجها ووجدناها تعبر عمّا نبتغي من تعليم مندمج مع محيطه، منفتح على العصر دون تنكر لمقدساتنا الدينية ومقوماتنا الحضارية وهويتنا المغربية بشتى روافدها".

ولهذا فإننا نجد التصورات التي وضعت لإصلاح التعليم ارتكزت على مبادئ الميثاق الوطني، يقول جلاله الملك محمد السادس حفظه الله في خطاب العرش لسنة 2003م: "واستشعارا للأهمية القصوى للتعليم النافع في تحرير العقول وترسيخ روح المواطنة لدى ناشئتنا، وتأهيلها لخوض تحديات التنمية والعولمة، ومجتمع المعرفة والاتصال، كانت مصادقتنا على الميثاق الوطني للتربية والتكوين أول القرارات الاستراتيجية التي اتخذناها، مبوئين تفعيله مكانة الأسبقية الثانية لهذه العشرية، بعد القضية المقدسة لوحدتنا الترابية.

وعلى الرغم من الخطوات الموفقة التي قطعناها في هذا الورش الحيوي الصعب، بعد مضي ثلاث سنوات على الشروع فيه، فإن غلبة الجانب الكمي فيها، وعدم الإقبال على ما يتطلبه الإصلاح العميق من قرارات جريئة وشجاعة تمس جوهر نظام التربية والتكوين يجعلنا نقول باسم الأمة: كفى من نظام تعليمي ينتج البطالة والانغلاق"⁷.

فالرؤية واضحة والغايات مرسومة والعزيمة قوية من أجل إصلاح التعليم ليكون نافعا من جميع الجوانب المطلوبة وهي التكوين العميق واكتساب المهارات والخبرات والتثقيف العالي ومواكبة المستجدات في عالم المعرفة المتطورة مع ربطه بسوق الشغل وحاجيات البلد حاضرا ومستقبلا. وهذا النهج أي ربط العملية التربوية والتعليمية بسوق الشغل سبق أن دعا إليه الحسن الثاني، رحمه الله، في خطاب عديدة، منبها الحكومات المتوالية للنظر في هذا الجانب بطريقة موضوعية تعتمد على الدراسة المتأنية والتخطيط الواضح والاستفادة من تجارب الأمم التي سبقتنا في ذلك، قال في خطاب عيد الشباب لسنة 1998م: "وفي السنة الماضية لفتنا نظر الحكومة آنذاك إلى أنه يجب علينا أن ننظر ماذا يفعل في الخارج؟ وماذا يجري به العمل خارج المغرب؟ وأعطيناها أمرا لتتكب على مشكلة الشباب العاطل الذي يتوفر على شهادات إما ثانوية أو عليا أو ما فوق العليا"⁸.

7 - انظر: دعوة الحق، عدد 375.

8 - دعوة الحق، عدد 337، غشت 1998م.

هذه التوجيهات والنداءات المتكررة لم تحقق كل الغايات المطلوبة، فالشباب الحامل للشهادات العليا في مختلف التخصصات ما زال يعاني عدد كبير منه البطالة، وما زال التعليم غير مواكب لسوق الشغل والحاجيات المطلوبة، فهل برامج التعليم والتكوين لم تساير التطورات المستجدة في مرحلة العولمة؟ أم أن الرؤية الشمولية نفسها في حاجة إلى المراجعة لكي تتلاءم مع ما يعرفه عصر التقدم الهائل في العلم والمعرفة والتكنولوجيا والمواصلات حيث أصبح كل شيء يتطور في هذا العالم بسرعة هائلة لم تكن تخطر على بال أحد؟

هذه المعضلة أي مشكلة الشباب المثقف الذي لا يجد عملا في مجال تخصصه أو قريب منه ليست مقصورة على المغرب وحده وإنما هي مشكلة عامة في جميع الدول حتى المتقدمة منها. لكن هذا لا يعني أن تقف الحكومات المتعاقبة موقف المتفرج دون البحث عن الحلول والبدائل للقضاء على هذه المشكلة أو التخفيف منها تدريجيا، ولهذا جاءت عبارة الحسن الثاني، رحمه الله: "علينا أن ننظر ماذا يفعل في الخارج؟" عميقة الدلالة في الاقتداء بتجارب أمم أخرى كانت إلى سنوات قليلة تعد من الدول التي هي في طريق النمو، فأصبحت اليوم تنافس بلدانا متقدمة في تطور تعليمها وتنوع صناعاتها وازدهار تجارتها وتقدم بحوثها العلمية، وقد كان لكل ذلك أثر إيجابي في فتح مجال الشغل لأبنائها وتحسين دخل الأفراد وتوفير الخدمات الضرورية التي تخفف من الأزمات الاجتماعية.

إن المغرب يعاني من مشكلة بطالة المثقفين وغير المثقفين، كما يعاني من هجرة الكفاءات التي هو في حاجة إليها مثل الأطباء والمهندسين والتقنيين وأصحاب الخبرات الدقيقة في الاقتصاد والتجارة والمواصلات والتكنولوجيا، فنجد الكثير منهم يهاجرون للعمل خارج المغرب لتستفيد منهم دول أخرى بينما بلدهم في أمس الحاجة إليهم. إن معالجة هذه الظاهرة أصبحت ملحة وضرورية لأنها تضر بالنهضة التي يتوخاها المغرب في حاضره ومستقبله. فالتوجيهات الملكية لم تتوقف لوضع الحلول لمشكل بطالة الشباب عامة والمثقفين خاصة وأصحاب الخبرات في الميادين العلمية لأنهم عماد التنمية ورهان المستقبل في عصر العولمة. إن ربط التعليم بحاجيات الشغل وإعداد الشباب فكريا وعلميا وتقنيا يُعدُّ ضرورة ملحة في هذا العصر الذي ارتبط فيه المغرب بمعاهدات دولية كثيرة في مجال التبادل التجاري والصناعي والبحث العلمي.

وهنا ينبغي أن نشير في المنظومة الإصلاحية للتربية والتعليم إلى قضية اللغة ودورها في هذا الإصلاح، فالتعليم منذ استقلال المغرب وإلى المرحلة الراهنة كانت مسألة تدريسها المواد العلمية وبخاصة الرياضيات والعلوم التجريبية والفيزياء والكيمياء تثير جدلا كبيرا في لغة تدريسها أباللغة العربية أو باللغة الفرنسية وبخاصة في التعليم الثانوي والعالي. وهذا المشكل ما زال قائما إلى حد الآن، والسبب يعود لعدم وضع الحكومات المتعاقبة خطة للحسم في هذه المسألة بحجة عدم وجود الأطر التي تكون قادرة على تدريس تلك المواد باللغة العربية، وكذا انعدام المصادر والمراجع المؤلفة باللغة العربية في تلك المواد؛ وفريق آخر يدعي بأن اللغة العربية عاجزة عن القيام بهذا الدور مثل ما تقوم به اللغات الأجنبية التي قطعت شوطا كبيرا في هذا الميدان.

وكل هذه الأقاويل هي مجرد تعليقات للعجز الذي وقعت فيه الحكومات المتعاقبة، فلو وضعت خطة مدروسة في آجال محددة لتكوين لجان لتعريب المواد العلمية وإيجاد المصادر والمراجع الكافية لكان الأمر هينا ولم تقع هذه الضجة المفتعلة، فهناك بلدان عربية كثيرة عربت تلك المواد وأصبحت تدرّس باللغة العربية في التعليم الثانوي والعالي؛ وتدرس هذه المواد باللغة العربية لا يعني الجمود والعزلة عن الثقافة العالمية، فتكوين الطلبة في اللغات الأجنبية المتعددة وبخاصة التي قطع أصحابها شوطا كبيرا في البحث العلمي لا يجادل فيه أحد، فهذه العملية ضرورية يجب فرضها في جميع أسلاك التعليم مثل الحرص على تعلم اللغة العربية، وهذا ما تفعله جُلُّ دول العالم إذ تعتبر لغتها قضية وطنية في التواصل والتدريس والإدارة لكنها تعلم أبناءها اللغات الأجنبية لمواكبة البحوث العلمية المتجددة التي تتفوق فيها دول أخرى، وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه المغرب فهو دولة منفتحة على كل تجديد في العلوم. وقد أشار إلى ذلك الملك محمد السادس في إحدى خطبه حيث قال: "ولقد رسم هذا الميثاق الإطار العام لسياسة لغوية واضحة تقوم على جعل اللغة العربية - باعتبارها اللغة الرسمية لبلادنا ولغة القرآن الكريم - اللغة الأساس للتدريس في جميع الأسلاك التعليمية"⁹.

هذا النداء فيه تعبير صريح وواضح لوضع المغرب الحضاري والتاريخي والفكري الذي ينبغي أن يحافظ على ثوابته المشرقة، ويتطلع في نفس الآن إلى التجديد والتطور في ميدان المعرفة دون إهمال

9 - من خطاب عيد العرش لسنة 2001م. دعوة الحق، عدد 361.

لغته ومقوماته الضاربة في جذور التاريخ. إن تعلم اللغات الأجنبية بشكل جيد هو السبيل للاطلاع على ما يجد في عالم المعرفة، ولذلك نجد الإشارة إلى ذلك في نفس الخطاب مع الاعتناء باللغة الأمازيغية: "وعلى الرفع من القدرة على التحكم الجيد في استعمال اللغات الأجنبية وعلى إدراج الأمازيغية لأول مرة بالنسبة لتاريخ بلادنا في المنظومة التربوية الوطنية".

هذا هو الفكر الصائب والنظر السليم والرؤية المستقبلية الواعدة لإصلاح المنظومة التربوية والتعليمية في شموليتها بمنهج لا يخطئ فيه كل من سار عليه بثبات ويقين وتبصر، وهي نظرة تعبر عن وجود حضاري ضارب في جذور التاريخ، وعن أصالة متفردة، وعن وطنية صادقة، وعن تطلع واع بأن المغرب في حاجة للتجديد والتطوير والتقدم الذي يجعله مساهما وفاعلا في الحضارة الحديثة.

إن المشاكل التي يعاني منها المغرب في ميدان التعليم عديدة ولا يمكن التغلب عليها إلا بإرادة قوية في الإصلاح، يشترك فيه الجميع حكومة ومثقفين وجمعيات مدنية، الكل ينبغي أن يتحمل مسؤوليته فيه بالتوجيه والإرشاد والعمل الميداني والتطوع؛ فتفسير المنظومة التربوية والتعليمية وتحقيق النتائج المطلوبة منهما ما زالت متعثرة في البوادي حيث الانقطاع عن الدراسة يبدأ في مرحلة مبكرة نتيجة ظروف البيئة التي تنعدم فيها المرافق الضرورية ونتيجة الفقر والجهل اللذين تعاني منهما الكثير من الأسر. كما أن الأمية ما زالت متفشية في البوادي والحوضر معا، ومن العار أن نجد هذه الظاهرة في صفوف الشباب الذي هو عمدة التنمية في البلاد.

وظاهرة أخطر من ذلك هي التراجع المهول في المستوى التعليمي الذي مس جميع الأسلاك، فهل ذلك راجع للبرامج والمقررات أم للهيئة التربوية والتعليمية أم للأسر؟ أسئلة ينبغي أن يفكر فيها الجميع للبحث عن الحلول الناجعة والتغلب على الصعوبات المادية والمعنوية وكل المعوقات التي تقف في وجه الإصلاح بروح فيها نقد واعتراف بمكامن الخطأ ليكون الإصلاح جذريا وصائبا ومحققا للأهداف. فليس عيبا أن يعاد النظر في المقررات وفي التكوين المستمر للهيئة التدريسية وفي مراجعة الكتب المقررة وفي تدقيق المعلومات الموجودة فيها.

إن الأمم التي نرى تعليمها متطورا ومسائرا لكل ما يجد في العلوم تعيد النظر باستمرار في منظومتها التعليمية والتربوية وتجعلها من الأولويات في التنمية، وبذلك تتدارك المشاكل قبل اتساعها، فالتعليم يعتبر قضية وطنية مثل سيادة البلاد واستقراره والحفاظ على وحدته وحدوده لأنه الوجه المكمل لكل تلك العناصر.

البعد المقاصدي في الفكر الحسني

ذ. عبد الرحمن بوعلي
المركز الجهوي للتربية والتكوين -
العيون.

ما أحوج الأمة اليوم إلى الاستنارة بفكر قادتها السياسيين والعلماء المجتهدين المجددين في شتى مجالات وشؤون الحياة، تتعاضم هذه الحاجة بتعاضم متطلبات العيش وضعف عزائم الناس في التثبيت بالقيم الدينية والوطنية وتمثلها عبر مسارات الحياة.

هدي من هذا الموضوع إثارة، بل كشف اللثام عن جانب نير من ثقافة ملكنا الراحل - الحسن الثاني طيب الله ثراه - إنه البعد المقاصدي التجديدي المغمور من ثقافته رحمه الله.

ولا أستهدف هنا حياته ونشأته والتعريف به¹ مما يعد أشهر من نار على علم، وممن كتب فيه وحوله رجال رافقوه رحمه الله عن قرب، تجلّى ذلك في كتاباتهم الجامعة المانعة، من قبيل: الأستاذ المؤرخ عبد الوهاب بن منصور في كتابه: "الحسن الثاني: حياته وجهاده ومنجزاته"، والمستشار الملكي الأستاذ محمد عواد². كما كتب عن حياته الدكتور عبد الحق المريني مؤلفا سماه: "الإنسان والملك".

وإنما أستهدف تعريفه عالما مقاصديا طالما انتظر هذا الجانب النير من شخصية جلالته أقلاما تكشفه على حقيقته، ولذا اخترت الحديث عنه من نافذة عطائه وفكره المقاصدي وبذلك يعرفه للأمة علمه المقاصدي بعد أن عرّفته قيادته سياسيا، بل حجبت هذه الأخيرة جانبا عظيما من شخصيته العلمية...

1 - الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة، كتابه: الحسن الثاني، حياته وجهاده، ومنجزاته، ص: 65، إصدار المطبعة الملكية بالرباط، سنة 1969م.

2 - الدكتور: عبد الحق المريني، كتاب: الإنسان والملك، ص: 29 منشورات وزارة الإعلام 1985م.

كما أستهدف تتبع البعد الإسلامي في تفكيره وممارسته للحكم من منطلق فهمه العميق لمقاصد الشريعة، وإدراكه الثاقب لمتطلبات التجديد في الدين والحياة، نظريا ومفاهيميا ثم ميدانيا.

"تجديد يرقى بالمسلم إلى استيعاب الحداثة ومناهجها في الحكم والتنظيم الاجتماعي والتنمية الإنسانية، والتفاعل مع عالم لامناص فيه من التحرك مع دواليبه الاقتصادية ومنظوماته السياسية وآلياته التكنولوجية"³.

هذا الطموح وزيادة هو ما يراود الفكر الحسني منذ مراحل متقدمة من حياته الفكرية والسياسية، بل والقيادية، كيف لا وقد تمكن من التفقه في سياسة الأمة، كما ألم بقضاياها المصيرية، فتكون لديه رحمه الله فكر نقدي ثاقب تجاه كل ما يجري ويقع في جسم الأمة ظاهرا منها وباطنا.

كل هذا وذاك كان يغذي في ثقافة الملك الراحل فكره الداعي إلى التجديد في أمر الدين وشؤون الحياة، تجديد ينطلق من مقاصد الشريعة وإليها إذ لا يمكن لنصوص الشريعة- الممثلة لدستور الأمة والمتناهية تاريخا ومكانا-، أن تواكب التقدم والتطور العالميين... إلا بإحياء مقاصد الشريعة، وإتاحة المجال للفكر المقاصدي الذي من خلاله تقول الشريعة كلمتها في كل ما جد واستجد.

لقد كان الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله يؤمن بأن الإسلام لا يمكن أن يكون حاجزا بين المسلمين وبين الانفتاح على العصر، كما لا يجوز للتقدم والمعاصرة أن يذهبا بهم إلى حد انسلاخهم عن هويتهم، لأن الإسلام والتقدم توأمان في كل زمان ومكان.

يقول رحمه الله في ندوة صحفية: "يمكن القول بأنني رجل متشبع بالثقافة الإسلامية، وأسعى إلى السير ببلدي نحو الحداثة، تلك الحداثة التي لا تجعلنا نفقد هويتنا، ولكنها تتيح لنا أن نتقدم بالسرعة نفسها التي تسير بها البلدان الأخرى"⁴.

القيادة الحكيمة المعتصمة بثوابت العقيدة والشريعة:

مما سبق يتبادر إلى أذهان الكثيرين ممن يجهلون الكثير عن عبقرية الملك الراحل سؤال: كيف تأتى لملك البلاد ولقائد سياسي في ظروف مثل التي واكبت حياة المغفور له أن يجعل من الدين والعقيدة فakra فاعلا في توجيه السياسة وعقيدة متحركة في ممارسة الحكم؟

3 - شخصية الحسن الثاني في أبعادها ومناقبها، ص: 105 للدكتور: محمد الكتاني/ عضو أكاديمية المملكة المغربية، طبعة: دار الثقافة/ الطبعة الأولى 1421هـ/ 2000م.

4 - شخصية الحسن الثاني في أبعادها ومناقبها، ص: 106/ وقد اقتبس هذه الفقرة من كتاب: انبعث أمة، 41/ 199.

لقد اعتاد الكثيرون أن يعتبروا السياسة شأنًا لا صلة له بالدين، كما أنه لا صلة للدين به، وهنا يبدو العلماني والمتطرف في الدين على نفس المسافة معا من البعد عن فهم الدين والسياسة في الإسلام.

فالعلماني يقصي الدين من الحياة المدنية والسياسية، والمتطرف لا يتصور الحكم السياسي إلا خارج دائرة الممارسة الاجتماعية المسؤولة أمام الأمة، معتقدا أن الحكم تفويض إلهي لطائفة من البشر لها وحدها حق الفهم للدين، والحكم باسم الله والعصمة من الأخطاء.

أما التصور العلماني فلا يأخذ بالاعتبار حقيقة الإسلام من حيث كونه منهجا شاملا للحياة لا يمكن الفصل فيه بين العقيدة والشريعة، ولا بين المعتقدات وتوجيهها في الحياة السياسية والمدنية فضلا عن الاقتصادية والثقافية.

كما أن التصور المتطرف لا يعتبر كون النظام السياسي في الإسلام، كما يفهم من نصوصه ويستخلص من سيرة الخلفاء الراشدين، يجعل من الأمة رقبيا على الحكم باعتبارها مصدرا للسلطة، وبذلك تلتقي الشريعة الإسلامية مع كل الآليات والتنظيمات السياسية، الديمقراطية، والاجتهاد في ذلك أمر طبيعي.

"ولا يحتاج المرء إلى تكلف البحث والتنقيب عن مبررات اقتران الإسلام والسياسة في حياة الملك الراحل، فهو أولا أمير المؤمنين، وبهذا الاعتبار كان يتحمل مسؤولية دينية واضحة"⁵.

يقول رحمه الله: "إن مسؤولية أمير المؤمنين تتلخص في التزامه بحماية الشريعة والسهر على إقامتها طبقا لنصوصها فيما يتعلق بالشعائر، ووفاء لمبادئها فيما يخص أمور الدنيا...". وقال رحمه الله: "يجب على أمير المؤمنين أن يسهر على حسن سير المؤسسات ويعمل على جعلها خاضعة للتنظيم العقلي، وأن يبعدها عن روح المذهبية والطائفية... وبانتهاج هذا السلوك حققنا تقدما نحسد عليه، طبعنا بطابع الأصالة والانفتاح"⁶.

5 - شخصية الحسن الثاني في أبعادها ومناقبها: ص 107-108.

6 - حوار صحفي نشر في جريدة الشرق الأوسط لسنة 2000م بعنوان "أسئلة الإسلام".

تجليات فكره المقاصدي في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة:

حرص المغفور له الحسن الثاني على أن يظهر قدرة الإسلام ومرونة شريعته تجاه مقتضيات كل عصر، منطلقاً من منظوره الشمولي والثابت للإسلام باعتباره رسالة لهداية الإنسان في كل زمان ومكان، لكن شريعته قد تبدو للكثيرين حاجزاً دون تحقيق هذه الغاية.

بيد أنه يؤمن بأن هنالك آليات منهجية كفيلة بتطوير الشريعة وتحقيق التوازن في التجديد والثبات، آليات يرى جلالته زمامها في التعلق بمقاصد الشريعة التي تؤهل المتمعن فيها ليقول كلمته في جميع القضايا التي اشتغل بها المفكرون المسلمون في عصرنا.

فللمرحوم رأيه وموقفه من:

- علاقة الإسلام بالحضارة.

- كما له رأيه فيما يقدمه الإسلام لبناء دولة الحق والقانون.

- ورأيه حول علاقة الإسلام بالتطور... وفي كل هذا ينطلق مستثيراً بمقاصد الشريعة من قبل ومن بعد رحمه الله.

يقول في أجمل تعبير مقاصدي: "والحقيقة أنه من أجل تخلص أعمال البشر من سلطان الهوى المستبد، ومن النزوات والأنانية الفجة، يجب على كل قانون جدير بهذا الاسم أن يعتبر ما تراه الجماعة مناسبة لها، فتنبهه بكل عفوية من مصادر الشرع الفرعية، وكذا ما ثبت وضعياً أنه مفيد وعملي، ومستحسن وجدير بالاعتماد منطقياً كل ما سبق أن ثبت في إطار العرف وفقه القانون".⁷

يضيف رحمه الله: "وهذا ما يحدث عندما تأخذ بعين الاعتبار مبادئ الإجماع، ومناهج الاستدلال، دون إقصاء لمبادئ أخرى موازية كالاستحسان والاستصلاح مما يقتضي استلهاماً لمقاصد الشريعة وفهماً لروحها، وهنا لا أستشهد - يقول جلالته - بمونتسكيو بل بالإمام الشاطبي الذي يقول بصريح العبارة: (الغايات روح الأعمال)".⁸

وكان جلالته هنا يشير إلى الحملة الشنيعة والشرسة التي شنّها ذوو الفكر التربوي من بني جلدتنا على المنتج الفكري التربوي للغرب أخضره ويابسه، وذلك بترجمته وتلقينه الحرفي أبناء

7 - شخصية الحسن الثاني في أبعادها ومناقبها، ص: 123.

8 - شخصية الحسن الثاني في أبعادها ومناقبها، ص: 125.

منظومتنا التربوية، دون وقبل النظر إلى ما تزرع به المكتبة الإسلامية من ذخائر في الفكر التربوي وحولة معرفية بيداغوجية ما تزال ترزح تحت وطأة غبار الزمن، وكأننا لسنا ممن نهلوا من مدرسة النبوة ومن سيرة المعلم الأول صلى الله عليه وسلم.

قوله في آليات التنزيل المقاصدي:

وعن الآليات التي وضعها علم أصول الفقه لتطوير التشريع طبقا لمقاصده يقول رحمه الله: النصان المقدسان اللذان يشكلان منبع الشريعة في الإسلام، وغير القابلين للجدال هما القرآن والسنة، ويحتويان على كل ما يخص الإسلام، وقد نقل إلينا هذان النصان نقلا صحيحا أجمعت عليه الأمة، وهذا ما يؤدي بنا إلى مصدر ثالث من مصادر القانون الإسلامي وهو الإجماع.

هكذا تحدث عن المصادر التي توظف فيها الآليات الاجتهادية وحولها، ليصلها مباشرة بماهية الآليات التي منها الإجماع والاجتهاد... فيقول رحمه الله: "والإجماع كما انتهى تحديده عند العلماء يتمثل في الاتفاق الصريح أو الضمني حول نص أو ممارسة أو مبدأ معين. كما تم تعريفه بـ: اتفاق الصحابة على أمر ما. ثم من جاء بعدهم من العلماء الذين تتوفر فيهم القدرة على الاجتهاد".

ويضيف رؤيته المتفائلة تجاه وسائل الاتصال الحديثة ليبدد مخاوف ذوي الحل والعقد تجاه الموجة الإعلامية الحديثة، إذ يقول: "وأعتقد أن وسائل الاتصال الحديثة يمكن أن تخفف من جو التشاؤم السائد حول إمكانية تحقيق الإجماع بين العلماء في هذا العصر، شريطة أن تتوفر العزيمة السياسية اللازمة، وبذلك تتجلى لنا الإمكانيات الضخمة التي تتيحها لنا وسائل الاتصال الحديثة".

وهذا لا يعني أن الإجماع تنبثق عنه قوانين جديدة، وإنما تفضل نصوص الشريعة - قرآنا وسنة - بين يدي الإجماع والمجمعين. يقول رحمه الله: "لا يمكن القول إن الإجماع يضع القوانين استنادا إلى أحكامه الخاصة، فالنص القرآني والسنة يظلمان الأساس الذي يقوم عليه الإجماع ذاته، لكن الاجتهاد من أجل التطبيق السليم يسمح بإعادة قراءة المصدرين على ضوء قضايا العصر، ولذلك فالإجماع كان ويجب أن يبقى منهجا لإدماج المستجدات وإعادة بناء الوحدة الإسلامية، في إطار التفتح الذي ينعش العلاقات الاقتصادية والاجتماعية".

فالإجماع في نظر جلالته هو رهان من رهانات الفكر الاجتهادي وآلية ناجعة من آليات التجديد والتطوير التشريعيين والتي في نظره رحمه الله تحقق التنزيل المقاصدي المواكب للحياة الفردية والجماعية بامتياز. يقول رحمه الله في سياق البيان لدور وأهمية الإجماع: "فهو يحمل في ثناياه قدرة الإسلام المستديمة على تكيف مبادئه القانونية وإغنائها"¹⁰.

وجلالته ما يزال يتحدث عن الآليات التي بين يدي علماء الشريعة عموما والمقاصد خصوصا لتكييف مقاصد الشريعة المنزلة مع متطلبات التطور التاريخي والاجتماعي، فيرى تلك الآليات متمثلة بعد الإجماع في "قواعد شرعية لقياس الحالات المستجدة على الحالات التي تضمنتها النصوص"¹¹. وهو يعني هنا منهج القياس، وهو الذي يلجأ لتوسيع مجال تطبيق القاعدة لكن دون مساس بالأصول.

وقد جرى فعلا استعمال القياس الفقهي باعتماد الاستنباط والاستدلال الذي يقوم على افتراض "أن العلة الشرعية تدعو إلى تطبيق قاعدة على حالة خاصة وتسمح بتطبيقها على حالة مماثلة"¹².

فالقياص آلية استنباط يدعو إليها القرآن، قال تعالى: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»¹³.

كما يرى جلالته رحمه الله في مذهب الإمام مالك جملة آليات أخرى تمثل رافدا تشريعا مجيبا على إشكاليات ضاربة في أعماق المجتمع المدني وذات طابع حديث، يقول رحمه الله: "إن ما لا يمكن إدماجه في إطار النصوص المقدسة ليس بالضرورة مما يتناقض معها، فللقانون ما يكفي من سعة الأفق وبعد النظر ليكون قابلا لإدماج ما لا يعارضه صراحة".

هكذا يشخص رحمه الله جانبا من التشريع متفائلا في علاقته بالقانون، واعتبارا لموسوعية المعرفة المذهبية يقول جلالته عن المذهب ومؤسسه: "لقد اهتم مؤسس المذهب المالكي، وهو مذهب يمثل مدرسة قانونية بالأمور المتعلقة بالشأن العام، والتي هي موضوع الإجماع، والحقيقة أنه من

10 - شخصية الحسن الثاني، ص: 123.

11 - شخصية الحسن الثاني، ص: 124.

12 - شخصية الحسن الثاني، ص: 124.

13 - من سورة النساء، الآية 82.

أجل تخلص أعمال البشر من سلطان الهوى المستبد ومن النزوات والأنانية الفجة، يجب على كل قانون جدير بهذا الاسم أن يعتبر ما تراه الجماعة مناسبا لها، فتتبناه بكل عفوية من مصادر الشرع الفرعية. وكذلك ما ثبت وضعيا أنه مفيد وعملي ومستحسن وجدير بالاعتماد منطقيا¹⁴.

تلك معالم قراءة قيادية لمستجدات الحياة في أحضان شريعة الإسلام وقانونها السماوي المتزين بحلى المقاصد من شريعتنا، يمسك جلالته بنواصيها مقبلا غير مدبر، في أبعاد النظر الثاقب لمحدثات الأمور، يقول رحمه الله: "وهذا ما يحدث عندما تأخذ بعين الاعتبار مبادئ الإجماع ومناهج الاستدلال دون إقصاء لمبادئ أخرى موازية كالاستحسان والاستصلاح، مما يقتضي استلهامهما لمقاصد الشريعة وفهما لروحها"¹⁵.

وفي نظرته تجاه الفكر الاستعماري، يسجل له المقربون منه، ممن ذكرتهم سابقا إشارات تحليلية نقدية مبكرة وواعدة، يقول رحمه الله: "ولما كنت في الرابعة عشرة من عمري لم أتصور كيف فتحت عيني وأرهفت سمعي وأنا في محضر هؤلاء الرجال المرموقين"¹⁶.

يحكي رحمه الله شطرا من الحوار بين الأطراف المؤتمرة، أسوق منه قول روزفيلت - وهو يتجاوز الفكر الاستعماري - "إننا لم نعد الآن في سنة 1830، ولا في سنة 1912... بعد الحرب ستصبح إعادة التنظيم السياسي والاقتصادي للمجتمعات الإنسانية ضرورة ملحة"¹⁷.

تلك موضوعات مصيرية، ناقشها رؤساء الدول العظمى بحضور ملكنا الراحل وهو آنذاك ابن الرابعة عشرة من العمر.

ويزداد القارئ إعجابا بهذه الطاقة الفكرية المبكرة لجلالته حين يقرأ تعليق جلالته على مجريات اللقاء ومخرجات الحوار آنذاك إذ يقول رحمه الله: "لاريب في أن هذا الموقف الحميم المقترن بوعود الرئيس روزفيلت كان يحمل أملا مشرقا لوطننا، وقاعدة عقائدية متينة ينطلق منها الملك"¹⁸.

14 - شخصية الحسن الثاني، ص: 125.

15 - المصدر نفسه، ص: 125.

16 - يقصد رحمه الله: كلا من روزفيلت وتشيرشيل، الأول رئيس الولايات المتحدة والثاني رئيس الحكومة البريطانية اللذين حضرا مؤتمر أنفا التاريخي بالبيضاء مع محمد الخامس طيب الله ثراه.

17 - شخصية الحسن الثاني، ص: 25.

18 - كتاب: التحدي، الحسن الثاني ملك المغرب، ص: 50 / 51، المطبعة الملكية بالرباط، 1983م.

ختاما لا أجد نفسي مبالغا إذا قلت إن شخصية الحسن الثاني العلمية عامة والمقاصدية خاصة شخصية فذة لم تكتشف بعد في حمولتها الفكرية وإشراقاتها الواعدة والمشبعة بأنوار الشريعة الغراء، والتي تسعد الأمة بتنزيل أبعادها المقاصدية لتعانق مجالات الحياة الفردية والجماعية لهذه الأمة، في وقتنا الذي انتاب الفكر الفقهي ما يشبه العجز عن مواكبة الواقع والمتغيرات الحياتية.

مفالات لاعمة

الأمن المائي في العهد العلوي الزاهر من سياسة السدود إلى النموذج التنموي الجديد مكتسبات ورهانات مغرب الغد

ذة. ناجية أفجوج

جامعة سيدي محمد بن عبد الله
بفاس.

يرتبط مفهوم الأمن المائي بمجموعة من الأهداف والغايات الإنسانية الأسمى: من قبيل تحقيق الأمن الغذائي وحماية حقوق الأفراد والجماعات، وضمان الاستفادة من الموارد المائية، والتطلع إلى التنمية المستدامة؛ ذلكم لأن الماء هو محور العملية التنموية، وعصب الساق للإقلاع الاقتصادي، وهو أساس العمران والحضارة والمدينة، والحياة كلها؛ مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (سورة الأنبياء الآية: 30).

وإن تحقيق الأمن المائي وتجاوز أزمات المياه وإشكالات الندرة، لا يتحقق إلا في ظل توفر اكتفاء ذاتي من المياه حالا، وتدبير أمر توافرها مآلا، وهذا يظل رهينا بإعمال جملة من الإجراءات الأساسية، واتخاذ عدد من التدابير اللازمة، والتي تتمثل أساسا في الآتي:

- توفير الموارد المائية،
- تعبئة المنشآت المائية،
- حماية النظام المائي،
- إدارة الموارد المائية بكيفية معقلنة،
- تشريع قوانين منظمة،
- وضع خطط استراتيجية بعيدة المدى لضمان توفير المياه.

وفي هذا الإطار عمل المغرب منذ ستينيات القرن الماضي، على تطوير السياسة المائية وذلك بتطبيق خطة مقدامة في ميدان استغلال المياه، وتأمين المخزون المائي.

فكيف استطاع المغرب تحقيق الأمن المائي؟ وما هي مكتسباته في هذا المجال؟ وما هي المخططات والاستراتيجيات المقترحة خلال السنوات القابلة؟ هذا ما سنحاول استحضاره من خلال المحاور الآتية:

◀ أولا: سياسة السدود: خطوة رائدة نحو ضمان الأمن المائي،

◀ ثانيا: المجلس الأعلى للماء والمناخ: بعد ديني وأهداف استراتيجية،

◀ ثالثا: الماء والإطار القانوني: تشريع وتثمين،

◀ رابعا: الماء في دستور 2011م: حق من حقوق الإنسان،

◀ خامسا: شرطة المياه والملك العام المائي: مراقبة محافظة،

◀ سادسا: الأمن المائي في سياق النموذج التنموي الجديد: رهانات وتحديات.

⌘ أولا: سياسة السدود: خطوة رائدة نحو ضمان الأمن المائي.

تعد سياسة المغرب في بناء السدود سياسة حكيمة تروم استراتيجيا تحقيق أهداف عامة تتمثل على وجه الخصوص في توفير مياه الشرب وإنتاج الكهرباء، وسقي الأراضي الفلاحية...

وقد حقق المغرب في ظل العهد العلوي الزاهر الريادة في بناء السدود، يجلي ذلك العناية والاهتمام بهذا المجال من جهة، ومن جهة أخرى رصيد الدولة من السدود الذي بلغ 145 سدا إلى حدود عام 2021م حسب أحدث الإحصائيات.

كما أن المتبع لتطور نسبة ملء السدود عبر تطبيق: "مغرب السدود"¹، الذي أطلقته وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك، يقف بجلاء على أن المغرب يتوفر على نسبة مهمة من المخزون المائي، الأمر الذي جعله في منأى عن أخطار وإشكالات ندرة المياه، رغم السنوات العجاف، وقلة التساقطات...

نموذج: آخر تحيين 21 يونيو 2021م

* بيان نسبة ملء السدود حسب الأحواض:

1 - <http://mordam.water.gov.ma/>

حالة بتاريخ : 21-06-2020

مغرب

البنك المغربي
البنك المغربي للتجارة الخارجية
البنك المغربي للتجارة الخارجية



حالة بتاريخ : 21-06-2020

مغرب

البنك المغربي
البنك المغربي للتجارة الخارجية
البنك المغربي للتجارة الخارجية

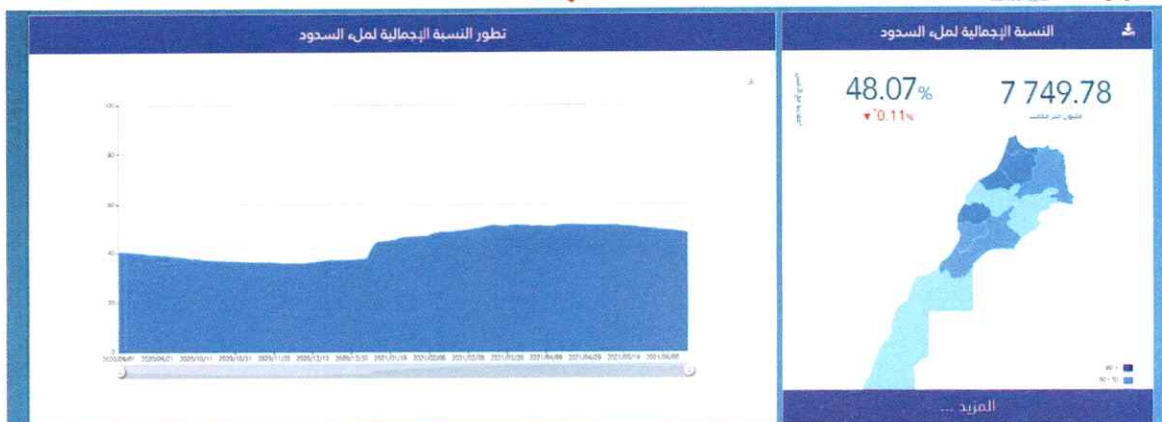


* بيان تطور النسبة الإجمالية لماء السدود:

حالة بتاريخ : 21-06-2021

مغرب

البنك المغربي
البنك المغربي للتجارة الخارجية
البنك المغربي للتجارة الخارجية



أ- سياسة السدود: نهج مولوي:

لقد حرص جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني منذ توليه عرش أسلافه الميامين على نهج سياسة والده المغفور له محمد الخامس في مجال سياسة الإصلاح الزراعي التي يعد بناء السدود مظهرا من أبرز مظاهرها، وقد قال رحمه الله تعالى في كلمة سامية لجلالته ألقاها بمناسبة إلغاء ضريبة الترتيب: "... وإنما بإلغاء ضريبة الترتيب لنحقق خطوة جديدة في مد ظل العدالة الاجتماعية على رعايانا، كما نتابع سياسة الإصلاح الزراعي التي خطها جلالته الملك محمد الخامس رضي الله عنه، والتي من أكبر مظاهرها: توزيع الأراضي على صغار الفلاحين وتجهيز البادية وعملية الحرث وعملية التشجير وبناء السدود واستصلاح الأراضي وإعدادها للزراعة.."².

وعلى نفس النهج سار جلالته الملك محمد السادس أعزه الله حيث عمل على متابعة سنة أسلافه المنعمين في العناية بمجال بناء السدود، تدبيرا لمشكلة الندرة وتأمينا للمخزون المائي، وحفاظا على الثروة المائية، وهو ما أشار إليه غير ما مرة في خطبه ورسائله السامية، حيث أكد على أهمية ونجاعة السياسة الحكيمة لوالده المنعم المغفور له الحسن الثاني في بناء السدود، وحث على ضرورة إيلائها مزيدا من العناية والاهتمام، ومن ذلك ما جاء في النطق الكريم لجلالته حفظه الله تعالى: "... بيد أن إشكالية ندرة الموارد المائية تظل أولوية الأولويات في ميدان التنمية القروية والفلاحية. وإنما إذ نستحضر بكل إجلال وإكبار الرؤية الثاقبة والعمل الجبار الذي ميز عهد والدنا المنعم رضوان الله عليه حيث أولى عناية خاصة لبناء السدود ولسقي مليون هكتار مما جعل بلدنا يمتص آثار الجفاف فإننا عازمون على مواصلة سياسته الرشيدة في هذا المجال برؤية متجددة تعتمد التدبير العقلاني للموارد المائية وإعادة النظر في نوع الزراعات المستهلكة للماء أو المتضررة من الجفاف وتشجيع التقنيات والزراعات المقتصدة للماء وتوسيع المساحات المسقية وتكثيف برامج الري حتى تشمل الأراضي الفلاحية الممكن ريهها..."³.

ب- شعار "سنة السدود والمياه": إيمان وتحمدي.

لقد أعلن جلالته المغفور له الحسن الثاني العام 1966م سنة للسدود والمياه؛ إيمانا منه رحمه الله تعالى بالدور المحوري للماء في الحياة، وأثر المخزون المائي في تأمين الموارد من جهة، ومن جهة أخرى

2 - مقتطف من كلمة ملكية سامية ألقاها جلالته المغفور له الحسن الثاني يبشر فيها الشعب بإلغاء ضريبة الترتيب، الرباط: الاثنين 05 محرم 1381هـ، 19 يونيو 1961م.

3 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش، الرباط: الأحد 30 يوليوز 2000م.

لاستنهاض الهمم من أجل الرفع من عدد المنشآت المائية، وتحدي كل الصعوبات والعراقيل... حيث قال رحمه الله تعالى في خطاب له بعين أسردون: "... وغير خاف عليكم أننا أردنا أن نطلق على هذه السنة شعار السدود والمياه، أردنا في هذه السنة بحول الله وقوته، وبإعانة من شعبها الوفي المتبصر، أردنا الشروع في بناء ثلاثة سدود مهمة جدا؛ الأول: في وادي زيز كما في علمكم، والثاني: في ورزازات زاوية مورداز، والثالث: ما بينكم وبين مراكش.

ولنا اليقين بأننا سنجد في التجربة السقوية، وفي تجربة استثمار الأراضي، وحسن استغلالها سنجد فيهم مدرسة للعمل ستعيننا وتيسر علينا العمل في المناطق التي نبدأ فيها بحول الله في هذه السنة زيادة على ما تنوي الدولة القيام به في داخل هذه السنة من وضع المواد الحقيقية للإصلاح الزراعي، وذلك أولا بتوزيع الأراضي، وثانيا بوضع التزام بيننا وبين الفلاح، فهي تعينه والفلاح من جهته يلتزم بأن يعطي أكثر مما يمكن من نتائج...⁴.

ت- تطوير سياسة السدود: رؤية متجددة لتأمين موارد مغرب الغد.

تفعيلا لسياسة بناء السدود وسيرا على نهج أسلافه المنعمين حرص جلالة الملك محمد السادس حفظه الله على العناية بالماء عناية فائقة، وتثمين المنجزات والمنشآت المائية، وفي ظل ما يشهده المغرب من تطورات، وما يعرفه العالم من تغيرات مناخية، دعا جلالته أعزه الله لوضع تصور متطور لبناء السدود، حيث قال في خطاب العرش الذي ألقاه في الذكرى الأولى لاعتلاء عرش أسلافه الميامين: "... وإننا إذ نستحضر بكل إجلال وإكبار الرؤية الثاقبة والعمل الجبار الذي ميز عهد والدنا المنعم رضوان الله عليه حيث أولى عناية خاصة لبناء السدود ولسقي مليون هكتار مما جعل بلدنا يمتص آثار الجفاف. فإننا عازمون على مواصلة سياسته الرشيدة في هذا المجال برؤية متجددة تعتمد التدبير العقلاني للموارد المائية وإعادة النظر في نوع الزراعات المستهلكة للماء أو المتضررة من الجفاف وتشجيع التقنيات والزراعات المقتصدة للماء وتوسيع المساحات المسقية وتكثيف برامج الري حتى تشمل الأراضي الفلاحية الممكن ريها.

كما يتعين وضع تصور متطور لسياسة السدود وتعبئة موارد جديدة في هذا المجال والتطبيق الصارم لمقتضيات القانون الخاص بالماء وترسيخ أسس ثقافية مائية جديدة لدى كل رعايانا الأوفياء

4 - مقتطف من خطاب صاحب الجلالة المغفور له الحسن الثاني أمام جماهير الشعب بمناسبة زيارة جلالته لإقليم بني ملال، ارتجل بعين أسردون في: الثلاثاء 26 محرم 1386هـ، 17 مايو 1966م.

قوامها التعامل مع الماء كمادة حيوية نادرة سواء جاد علينا الله سبحانه بغيثه ومائه الذي علينا خزنه كما أوصانا به جل وعلا في الذكر الحكيم أو اقتضت إرادته مرورنا لا قدر الله بسنة عجفاء⁵.

وما فتئ حفظه الله يدعو لمواصلة بناء السدود من أجل توفير موارد مهمة من شأنها الإسهام في تحقيق التنمية، وتأمين الموارد المائية خلال السنوات القادمة، ولتعزيز المخططات الوطنية الطموحة في هذا الباب؛ وعلى رأسها:

- النموذج الوطني للتزويد بالماء الصالح للشرب ومياه السقي؛ والذي يهدف إلى تدبير الطلب والتوعية حول عقلنة استعمال الموارد المائية.

- المخطط الوطني للماء 2020-2050م؛ والذي يهدف إلى تحسين العرض من المياه، مع التأكيد على ضرورة الحفاظ على هذا المورد...

- استراتيجية "الجيل الأخضر 2020-2030م"؛ والتي تروم تعزيز مكتسبات مخطط المغرب الأخضر.

وهذا ما تجليه دعوة جلالة الملك أعزه الله في غير ما مرة؛ ومنها ما ورد في النطق الكريم في خطاب العرش الذي ألقاه جلالته بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لاعتلاء عرش أسلافه الميامين حيث قال: "... إن حرصنا على النهوض بالأوضاع الاجتماعية، ورفع التحديات الاقتصادية، لا يعادله إلا عملنا على الحفاظ على الموارد الاستراتيجية لبلادنا وتأمينها؛ وفي مقدمتها الماء، اعتبارا لدوره الرئيسي في التنمية والاستقرار. قال تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾. صدق الله العظيم.

فالمخطط الوطني للماء، يجب أن يعالج مختلف الإشكالات المرتبطة بالموارد المائية خلال الثلاثين سنة القادمة.

كما أن الحكومة والمؤسسات المختصة، مطالبة باتخاذ تدابير استعجالية، وتعبئة كل الوسائل لمعالجة الحالات الطارئة، المتعلقة بالنقص في تزويد السكان بالماء الصالح للشرب، وتوفير مياه سقي المواشي، خاصة في فصل الصيف.

5 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش، الرباط: الأحد 30 يوليوز 2000م.

ولهذه الغاية، ما فتئنا نؤكد على ضرورة مواصلة سياسة بناء السدود، التي يعد المغرب رائدا فيها. وقد حرصت على السير على هذا النهج، حيث تم بناء ثلاثين سدا من مختلف الأحجام، خلال الثمانية عشر سنة الماضية.⁶

ثانيا: المجلس الأعلى للماء والمناخ: بعد ديني وأهداف استراتيجية.

أحدث المجلس الأعلى للماء والمناخ بتعليمات ملكية سامية من المغفور له الحسن الثاني، وهو منتدى لمناقشة اختيارات وتوجهات المملكة في ميدان الماء، وقد كان في بداية الأمر منبرا يتدارس أشغال الماء خاصة، وبعد سنوات من إحداثه ارتأى جلالته رحمه الله -بحنكته وتبصره- ضم المناخ إلى أشغال المجلس، وذلك للارتباط الوثيق بين هذين العنصرين، ليصبح مجلسا أعلى للماء والمناخ، وهو ما أعلن عنه رحمه الله في الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين في أشغال الدورة السابعة للمجلس الأعلى للماء والمناخ قائلا: "... ونظرا للارتباط الوثيق بين أشغالكم والمناخ، ارتأينا أن نوسع عمل مجلسكم من الآن فصاعدا ونسميه: (المجلس الأعلى للماء والمناخ) حتى يتسنى لكم إمعان النظر في هذا العلم والتمكن من تقنياته"⁷. كما أبرز في مناسبة ثانية رحمه الله تعالى سبب إدماج المناخ ضمن اهتمامات المجلس الأعلى للماء والمناخ معللا بقوله: "... لقد حبا الله المغرب بموقع متميز، ومناخ معتدل وتساقطات مطرية هامة توفر موارد مائية مهمة، وللحفاظ على الخصال الحميدة لمملكتنا السعيدة وجب علينا أن نولي اهتماما أكبر لدراسة المناخ والتعرف على مميزاته، والاستفادة من المعطيات والتنبؤات المختلفة وتخزينها لاستغلالها في مواصلة البحوث قصد جعل المعرفة الدقيقة للمناخ إدارة للتنمية الاقتصادية.

ولهذا قررنا إدماج المناخ ضمن اهتمامات المجلس الأعلى للماء والمناخ يقينا منا بنجاعة تعميق المعرفة في تغيراته، وضرورة المزيد من البحث الدقيق للمعطيات المناخية، والانتفاع بمزاياها، واستعمالها لضمان التخطيط الأفضل"⁸.

6 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه جلالة الملك محمد السادس نصره الله بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لتربع جلالته على عرش أسلافه الميامين، الأحد 29 يوليوز 2018م.

7 - مقتطف من الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين في أشغال الدورة السابعة للمجلس الأعلى للماء والمناخ، 22 شوال 1413هـ، 14 أبريل 1993م.

8 - مقتطف من الرسالة الملكية السامية الموجهة إلى المشاركين في الندوة الثامنة للمجلس الأعلى للماء والمناخ، 18 شعبان 1414هـ، 31 يناير 1994م.

1- المجلس الأعلى للماء والبعد الديني:

لقد حث القرآن الكريم على حسن استعمال الموارد الطبيعية، ونهى عن الإسراف والتبذير، وأشارت السنة النبوية الشريفة في مواضع عدة إلى ضرورة حفظ الموارد المائية من الإفساد والاستنزاف... كما دعت إلى ضرورة استثمار هذه الموارد في ما يحقق الأمن للإنسان على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والبيئية...

وغير خاف مدى استحضار البعد الديني في الدعوة إلى ترشيد استهلاك الثروة المائية وفي تخزين المياه، وهو ما تجليه الخطب والرسائل السامية الموجهة إلى المجلس الأعلى للماء والمناخ.

أ- ترشيد استهلاك الثروة المائية:

دعا جلالة المغفور له الحسن الثاني إلى عدم تبذير الماء مستحضرا في ذلك النصوص الشرعية، ومقتديا بسنة النبي عليه الصلاة والسلام؛ حيث قال رحمه الله في كلمة سامية وجهها إلى المشاركين في أشغال المجلس الأعلى للماء: "... وبكل صراحة لا يمكن لفكر بشري نظرا لاختلاف أنواع تدخلاتكم أن يتدخل بكيفية خاصة ومدققة في كل الجوانب التي تدارستموها، ولكن بقيت نقطتان: النقطة الأولى: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾. (سورة الإسراء، الآية: 27).

أعتقد شخصا أنه يتعين علينا قبل أن نفكر في استعمال الماء وفي استعماله وفق أحسن الطرق وأقومها أن نضع لأنفسنا حواجز حتى لا نكون من المبذرين ومن إخوان الشياطين..."⁹.

وفي كلمة أخرى استحضرت جلالته رحمه الله سنة النبي عليه الصلاة والسلام في ترشيد الماء، ومما جاء فيها: "... وإن ظروف الجفاف التي تعرفها المملكة المغربية تقوي عزمنا وتحثنا على تعبئة كل الطاقات ومتابعة السياسة المائية التي سطرنا معالمها منذ أن قلدنا الله سبحانه وتعالى أمور هذا الشعب الأبي، كما تتطلب منا ترشيد استعمال ثرواتنا المائية والحفاظ عليها وحسن تديرها اقتداء بسنة جدي عليه أفضل الصلاة والسلام الذي أوصى صحابته وأتباعه بالاقتصاد في الماء. فقد ورد في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد»، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله

9 - مقتطف من الكلمة الملكية السامية التي ألقها المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة تروؤس جلالته أعمال المجلس الأعلى للماء، الأربعاء 19 جمادى الثانية 1407هـ، 18 فبراير 1987م.

عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف، فقال: أ في الوضوء إسراف؟ قال: نعم وإن كنت على نهر جار»...¹⁰.

ب- تخزين المياه انطلاقاً من تدبر قول الله تعالى: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ (سورة الحجر، الآية: 22).

ت- إن سياسة تخزين المياه هي سياسة حكيمة في مجال الأمن المائي، استمدتها جلالته الملك المغفور له الحسن الثاني من قول الله تعالى في سورة الحجر: ﴿وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾. (سورة الحجر، الآية: 22).

وكان في كل مرة يذكر بضرورة تدبر قول الله تعالى؛ كما جاء مثلاً الخطاب التاريخي الذي ألقاه المغفور له الحسن الثاني أمام المجلس الأعلى للماء حيث استهل كلمته السامية رحمه الله تعالى بقوله: "... أننا تتبعنا أعمالكم أثناء المجلس الأعلى للماء، كما أننا تتبعناكم في جميع أشواط المناقشة والمذاكرة، وقبل أن نقول فيكم الكلمة التي نريد أن نختم بها هذه الأعمال، أرى أنه من المستحسن أن نبدأ بآية وجدتها في سورة الحجر، وأنا أتصفح الكتاب الكريم تقول هذه الآية: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾.

وبما أنني متفائل ومؤمن برحمة الله، وبأخذه بيد عبده، فالنفي في: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ ليس من باب الاستحالة، بل هو من باب المؤاخذة، نعطيكم الماء ونسقيكم بالماء ولا تخزنوه، فما أنتم له بخازنين، فليس من باب الاستحالة على بني آدم ولا من باب الاستحالة على سلطان العلم الذي وهبه الله إياه، وليس بمستحيل على الإنسان أن يخزن الماء؛ ولكن وهذه ملاحظة من الباري عز وجل: ﴿وما أنتم له بخازنين﴾.

وإذا كان كتاب الله سبحانه وتعالى كتاباً يصلح لجميع الأزمان، وفي جميع الأماكن ولجميع البشر، فأظن أنه يجب علينا نحن الذين نعيش في أواخر هذا القرن في جميع القارات أن نتدبر الآية التدبر الكامل¹¹.

10 - مقتطف من الرسالة الملكية السامية التي وجهها جلالته المغفور له الحسن الثاني إلى المشاركين في أشغال الدورة السابعة للمجلس الأعلى للماء والمناخ، 22 شوال 1413هـ، 14 أبريل 1993م.

11 - مقتطف من الكلمة الملكية السامية التي ألقاها المغفور له جلالته الملك الحسن الثاني بمناسبة تروؤس جلالته أعمال المجلس الأعلى للماء، الأربعاء 19 جمادى الثانية 1407هـ، 18 فبراير 1987م.

2- المجلس الأعلى للماء واستراتيجية تأمين المياه

لقد جعل جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني بنظره السديد من المجلس الأعلى للماء والمناخ منتدى للتناظر والتدارس، ومنبرا للتوجيه والتخطيط ومجالا للتطبيق العملي، حيث كان في كل مرة يكشف عن مخططات جديدة لتدبير المياه؛ ليصبح أبناء هذا الوطن: "في مأمن من الجوع والفاقة"¹²...

ومن بين ما يمكن أن نستحضره في هذا الباب الآتي:

أ- خطة تقسيم المياه:

حيث نبه جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني من خلال هذه الخطة إلى أمرين أساسيين في مجال ترشيد المياه:

- الأمر الأول: توجيه المياه الجوفية للشرب والاستعمالات الأخرى،

- الأمر الثاني: توجيه المياه المخزونة في السدود للري.

ب- خطة توفير وتدبير المياه

وذلك من خلال الإجراءات والتدابير الآتية:

- سياسة البحيرات التلية أو الربوية

- سياسة التضامن المائي والتوزيع العادل للماء؛ عن طريق نقل المياه من المناطق التي بها وفرة

الماء إلى المناطق التي تفتقر إليه.

- إعادة استعمال المياه لأغراض فلاحية،

- تقنين استعمال الماء،

- تدبير المدخرات - غير السماوية - من المياه.

- غرس الأشجار لضمان المحافظة على السدود وعلى البحيرات التلية وعلى المياه.¹³

12- مقتطف من خطاب جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني في افتتاح الأيام الدراسية التي ينظمها المجلس الأعلى للماء، الرباط: الخميس 10 شوال 1408هـ، 26 مايو 1988م.

13- من خلال قراءة في مضامين الخطب والرسائل الملكية السامية الموجهة إلى المجلس الأعلى للماء والمناخ، وخاصة خطاب جلالة الملك المغفور له الحسن الثاني في افتتاح الأيام الدراسية التي ينظمها المجلس الأعلى للماء، الرباط: الخميس 10 شوال 1408هـ، 26 مايو 1988م.

وعلى نفس النهج سار جلالة الملك محمد السادس حفظه الله الذي أكد على مواصلة الجهود من أجل تعبئة كافة الموارد المائية القابلة لذلك والسير قدما في سبيل إنجاز منشآت التخزين وتحويل المياه من الأحواض ذات الفائض نحو الأحواض المعوزة سعيا لتحقيق التضامن بين الجهات، كما جاء في النطق الكريم لجلالته أعزه الله: "... لقد أئبنا إلا أن نرأس افتتاح أشغال المجلس الأعلى للماء والمناخ إيمانا منا بالأهمية القصوى للماء الذي نعتبره من مقومات السيادة الوطنية واقتناعا منا بفضيلة الحوار البناء داخل الهيئات المختصة حول كل القضايا الوطنية الكبرى.

وإذا كانت بلادنا والله الحمد قد حباها الله بخيرات طبيعية وفيرة، فإن إرادته تعالى تمتحننا بفترات جفاف كان من الممكن أن تكون انعكاساتها السلبية أكثر خطورة على النمو الاقتصادي والتوازن البيئي لبلادنا لولا السياسة المائية الرشيدة لوالدنا طيب الله ثراه التي جعلت المجلس العالمي للماء يطلق اسم الحسن الثاني على أكبر جائزة دولية لتكريم أفضل عمل عالمي في مجال الماء.

وإذا كان المغرب قد نجح لحد الآن في مساندة ارتفاع الطلب على المياه بتقوية العرض عن طريق تعبئة متنامية للموارد ضامنا بذلك تزويد المدن وسقي المليون هكتار فإن هذا التوازن أصبح هشاً بفعل تضافر إكراهات متعددة.

ولهذا فقد آن الأوان لتغيير جذريا نظرتنا وسلوكنا تجاه الماء من خلال تدبير الطلب عليه وعقلنة استهلاكه مع مواصلة الجهود من أجل تعبئة كافة الموارد المائية القابلة لذلك والسير قدما في سبيل إنجاز منشآت التخزين وتحويل المياه من الأحواض ذات الفائض نحو الأحواض المعوزة سعيا لتحقيق التضامن بين الجهات...¹⁴.

ت- مأسسة المجلس الأعلى للماء والمناخ

لقد خول القانون 10.95 المتعلق بالماء للمجلس الأعلى للماء والمناخ إطاراً قانونياً، حيث نصت المادة 13 منه على أنه: "يحدث مجلس تحت اسم المجلس الأعلى للماء والمناخ يكلف بصياغة التوجيهات العامة للسياسة الوطنية في مجال الماء والمناخ.

علاوة على الاختصاصات التي يمكن للسلطة الحكومية أن تخولها له، يقوم المجلس الأعلى للماء والمناخ بدراسة وإبداء رأيه حول ما يلي:

14 - مقتطف من الكلمة الملكية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في افتتاح أشغال المجلس الأعلى للماء والمناخ. أكادير: الخميس 21 يونيو 2001م.

- الاستراتيجية الوطنية لتحسين المعرفة بالمناخ والتحكم في آثاره على نمو موارد المياه،
- المخطط الوطني للماء،

- مخططات التنمية المندمجة لموارد المياه بالأحواض المائية ولاسيما توزيع الماء بين مختلف
القطاعات المستعملة وبين مختلف جهات البلاد أو نفس الحوض، وكذا مقتضيات استثمار وحماية
موارد المياه والمحافظة عليها¹⁵.

كما نص القانون الجديد 36.15 المتعلق بالماء، على هذه الاختصاصات حسب المادة 78 منه،
وخاصة الاستراتيجية الوطنية لتحسين المناخ، والمخطط الوطني للماء. وعمل من جهة أخرى على
توسيع تركيبة المجلس لتضم حسب المادة 79 من القانون المشار إليه¹⁶:

1. بالنسبة للنصف الأول من أعضائه من:

- ممثلي الإدارة؛

- مديري وكالات الأحواض المائية؛

- مدير المكتب الوطني للكهرباء والماء الصالح للشرب؛

- مديري المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي؛

2. بالنسبة للنصف الثاني من أعضائه:

- رؤساء مجالس الجهات أو من يمثلهم؛

- رؤساء مجالس الأحواض المائية أو من يمثلهم؛

- ممثلي مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي العاملة في ميدان الماء والمناخ؛

- رؤساء الجمعيات المهنية لمستعملي المياه على صعيد الأحواض المائية أو من يمثلهم؛

- ممثلي الجمعيات العاملة في ميدان الماء والمناخ والبيئة الأعضاء في مجالس الأحواض المائية

يكون ربع هؤلاء على الأقل من النساء؛

15 - ينظر العدد 4325 من الجريدة الرسمية، بتاريخ 24 ربيع الآخر 1416هـ، 20 سبتمبر 1995م، ص: 2528-2529.

16 - ينظر العدد 6494 من الجريدة الرسمية، 21 ذو القعدة 1437هـ/ 25 أغسطس 2016م، ص: 6319.

- أربع خبراء مغاربة مشهود لهم بالكفاءة العلمية والتجربة المهنية مختصين في مجال الماء والبيئة والمناخ؛

يمكن لرئيس المجلس أن يستدعي للمشاركة في دوراته كل شخص مؤهل أو مختص في ميدان الماء والمناخ بصفة استشارية".

ⵎ ثالثا: الماء والإطار القانوني: تشريع وتثمين

لا شك أن تحقيق الأمن المائي مرتبط بتشريع القوانين المنظمة لاستعماله وتوفيره وتديره، وقد كان من الطبيعي أن تتوج هذه المبادرات بترسانة من القوانين، حيث كانت الدعوة أولا إلى تقنين استعمال الماء، ثم تعديل القوانين القائمة بقوانين أخرى تساير السياسة المائية. وقد كانت دعوة جلاله الملك المغفور له الحسن الثاني صريحة في هذا الباب حيث قال رحمه الله: "... أعتقد شخصا أنه يتعين علينا قبل أن نفكر في استعمال الماء وفي استعماله وفق أحسن الطرق وأقومها أن نضع لأنفسنا حواجز حتى لا نكون من المبذرين ومن إخوان الشياطين. وهنا يدخل قبل كل شيء دور تقنين الماء، ولو أدى ذلك إلى أن نضع قانونا صارما لاستعمال الماء ولحسن استعماله، ولهذا أعطي أسبقية الأسبقيات إلى وثيقتين، الأولى هي وثيقة الماء وفلسفته وأهميته، والثانية القانون الذي ستمكن به من استعمال الماء ومن حسن استعماله.

وأمل أن يتم هذا في أقرب وقت حتى يمكننا أن نضعه أمام جهازنا التشريعي، فكما تعلمون الدورة الربيعية للبرلمان تبدأ في أبريل وتنتهي قبل حلول فصل الصيف ونحن الآن في شهر يبرابر، فأظن أنه يمكن أن نضع قوانين الماء بكيفية تدريجية، وإذا كان هذا القانون في آخر المطاف يتكون من 100 فصل، وأنا قانوني أعتبر من الناحية القانونية أنه يمكننا أن نكتفي أمام البرلمان بعشرين فصلا التي تضع الحواجز في وجه التبذير، وسنقدم هذه الفصول للبرلمان في الدورة المقبلة، ونزيد في إتقان القانون خلال فصل الصيف، ونضيف إليه بنودا أخرى في الدورة التالية للبرلمان على الأقل، حتى إذا جاءت الأمطار في أكتوبر من السنة المقبلة تجدنا مجهزين بالبنود الوقائية وبعدها بالبنود التكميلية، فهناك بنود وقائية من ضياع الماء، وهذه على الأقل يمكن لها من خلال هذين الشهرين أن يوجد لها إطار وفلسفة ودوافع المشرع، علما منا أن القانون ليس وحيا يوحى، وإنه يمكن أن يدخل الناسخ

بحيث يجب علينا أن نقن استعمال المياه، ونجنبها الضياع لما يطرأ عليها من تبذير، وإذ ذاك سيمكننا أن نكون مطمئنين على ما اكتشفناه من خيرات أو ما تسببنا له بعون الله من خيرات"¹⁷.

فجاء إثر ذلك القانون 10.95 المتعلق بالماء، والذي سيتم تعديله فيما بعد بالقانون 36.15. كما تم تشريع قانون متعلق بسلامة السدود، وهو القانون 30.15.

1- القانون رقم 10.95 المتعلق بالماء: مراجعة وتوحيد

صدر القانون 10.95 بمقتضى ظهير شريف رقم 1.95.145 بتاريخ 18 ربيع الأول 1416هـ، 16 أغسطس 1995م وهو القاضي بمراجعة وتوحيد ما كان قبله من القوانين سيما قانون 1914 م، وذلك نتيجة جملة من الأسباب كما هو مبين في ديباجة القانون المنظم منها:

"... أن الماء يعتبر موردا طبيعيا أساسيا للحياة ومادة ضرورية يركز عليها الجزء الأكبر من الأنشطة الاقتصادية للإنسان، كما أنه مورد نادر يتميز توفره بعدم الانتظام في الزمان والمكان، وهو أخيرا شديد التأثير بالانعكاسات السلبية للأنشطة البشرية.

أن ضروريات التنمية الاقتصادية والاجتماعية تفرض اللجوء إلى تهيئة الماء لتلبية حاجيات السكان التي تعرف تزايدا مستمرا، وغالبا ما تكون هذه الحاجيات متنافسة، بل وحتى متناقضة، الأمر الذي يجعل عملية تدبير الماء جد معقدة وتنفيذها صعبا، ولمواجهة هذه الوضعية كان من الضروري التوفر على أدوات قانونية ناجعة قصد تنظيم توزيع الموارد المائية ومراقبة استعمالها وكذا ضمان حمايتها والحفاظ عليها.

أن النصوص الأساسية المتعلقة بالماء تعود في مجموعها إلى العقود الأولى من هذا القرن ولقد أعدت تبعا للحاجيات والظروف إلى درجة أن التشريع المغربي الحالي المتعلق بالماء يحتوي على مجموعة من النصوص المبعثرة التي تم تجميعها في مراحل وتواريخ مختلفة... ولما كان هذا التشريع لم يعد ملائما للتنظيم العصري ولا يستجيب لضروريات التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، على اعتبار أن شروط استعمال الماء لم تعد هي تلك التي كانت سائدة في بداية القرن حيث لم تكن الموارد

17 - مقتطف من الكلمة الملكية السامية التي ألقاها المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة ترؤس جلالته أعمال المجلس الأعلى للماء، الأربعاء 19 جمادى الثانية 1407هـ، 18 فبراير 1987م.

المائية مطلوبة بنفس الإلحاح الذي يميز الوقت الراهن وذلك بسبب قلة الطلب على الماء وضعف مردودية تقنيات التعبئة.

... لهذه الأسباب جميعها أصبحت مراجعة تشريع المياه وتوحيده في قانون واحد ضرورية. وفي إطار هذه المراجعة، لا يقتصر قانون الماء على إعادة صياغة التشريع الجاري به العمل فقط، بل اهتمت أساسا بتتبعه بإضافة أحكام تتعلق بميادين لم يتعرض لها من قبل من جهة، ومن جهة أخرى بتصفية النظام القانوني الخاص بموارد المياه...¹⁸.

وبطبيعة الحال فإن هذا التشريع من جهة أخرى قد جاء لتحقيق جملة من الأهداف العامة والأهداف الإجرائية:

فأما الأهداف العامة فتتجلى أساسا في: "إقرار سياسة وطنية مائية مبنية على نظرة مستقبلية تأخذ بعين الاعتبار تطور الموارد المائية من جهة، والحاجيات الوطنية من جهة ثانية، متضمنا تدابير قانونية ترمي إلى ترشيد استعمال الماء، وتعميم الاستفادة منه، وتضامن الجهات، وتدارك الفوارق بين المدن والبوادي في إطار برامج تهدف إلى تحقيق الأمن المائي على مستوى مجموع تراب المملكة"¹⁹.

وأما الأهداف الإجرائية فهي كما هو وارد في ديباجة القانون الأساسي لسياسة الماء:

- 1 - تدارك الفوارق بين المدن والبوادي في إيصال الماء الصالح للشرب.
- 2 - لتخطيط منسجم ومرن لاستعمال الموارد المائية سواء على مستوى الحوض المائي أو على المستوى الوطني.
- 3 - لتعبئة قصوى ولتسيير معقلن لكل الموارد المائية والآخذ بعين الاعتبار أنظمة الأسبقية المحددة في المخطط الوطني للماء.

4 - تدبير الموارد المائية في إطار وحدة جغرافية هي الحوض المائي، الشيء الذي يعتبر ابتكارا مهما من شأنه خلق وتطبيق تصور حول تدبير لا مركزي للماء. وفعلا، يشكل الحوض المائي المجال

18 - من ديباجة القانون المتعلق بالمياه 10.95، ينظر الجريدة الرسمية، عدد 4325 بتاريخ 24 ربيع الآخر 1416هـ، 20 سبتمبر 1995م، ص: 2520

19 - من ديباجة القانون المتعلق بالمياه 10.95، ينظر الجريدة الرسمية، عدد 4325 بتاريخ 24 ربيع الآخر 1416هـ، 20 سبتمبر 1995م، ص: 2521

الجغرافي الطبيعي الأمثل لضبط وحل المشاكل المتعلقة بتدبير موارد المياه، وكذا لتحقيق تضامن جهوي فعلي بين مستعملي مورد مائي مشترك.

5 - حماية كمية ونوعية للأملاك العامة المائية في مجموعها والحفاظ عليها.

6 - إدارة ملائمة للماء تمكن من التوصل إلى تصور واستعمال ومراقبة العمليات المذكورة وذلك بإشراك السلطات العمومية والمستعملين في اتخاذ كل قرار متعلق بالماء.

7 - الرفع من قيمة الموارد المائية ومن مردودية الاستثمارات الخاصة بالماء مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح الاقتصادية والاجتماعية للسكان من خلال الحفاظ على الحقوق المكتسبة.²⁰

2 - القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء: تعديل وتحيين.

في ظل الاستراتيجية الوطنية للماء، ومراعاة للظرفية، وفي سياق رهانات التنمية، كان من الضروري إحداث تعديل على القانون السالف الذكر، وتشريع قانون جديد يواكب البرامج والمشاريع الوطنية الطموحة.

وبناء عليه تم تعديل وتحيين القانون رقم 10.95 حيث صدر بمقتضى ظهير شريف 1.16.133 بتاريخ: 06 من ذي القعدة 1437هـ، 10 أغسطس 2016م، القانون رقم 36.15 المتعلق بالماء.

ويرتكز هذا القانون الجديد على مجموعة من المبادئ الأساسية كالملكية العامة للماء، وحق جميع المواطنين والمواطنات في الولوج إلى الماء والعيش في بيئة سليمة، وتدبير الماء طبق ممارسات الحكامة الجيدة التي تشمل المشاركة والتشاور مع مختلف الفاعلين، والتدبير المندمج واللامركزي لموارد المياه مع ترسيخ التضامن المجالي، وحماية الوسط الطبيعي وتطوير التدبير المستدام مع اعتماد مقاربة النوع فيما يخص تنمية وتدبير الموارد المائية...²¹

3 - القانون رقم 30.15 المتعلق بسلامة السدود: تثمين وتأمين

صدر القانون رقم 30.15 المتعلق بسلامة السدود بمقتضى ظهير شريف رقم 1.16.57 في 19 رجب 1437هـ 27 أبريل 2016م²²، وهو القانون الذي جاء لتثمين جهود المملكة في حماية الثروة المائية،

20 - من ديباجة القانون المتعلق بالمياه 10.95، ينظر الجريدة الرسمية، عدد 4325 بتاريخ 24 ربيع الآخر 1416هـ، 20 سبتمبر 1995م، ص: 2521-2522

21 - ينظر العدد 6494 من الجريدة الرسمية، 21 ذو القعدة 1437هـ/25 أغسطس 2016م، ص: 6305.

22 - ينظر العدد 6466 من الجريدة الرسمية بتاريخ 12 شعبان 1437هـ/16 ماي 2016م، ص: 3872.

والحفاظ على المنشآت المائية؛ حيث تركز مضامينه على عدة محاور أساسية تشمل الإجراءات الوظيفية والعملية المتعلقة بمشروع السد من دراسات التصميم وأشغال البناء والاستغلال أو إعادة الهيكلة أو الهدم، وتحديد المسؤوليات سواء تعلق الأمر بالقطاع العام أو القطاع الخاص، ورصد سلامة السدود من قبل القائمين على استغلالها، وإلزامية تصنيف السدود وضبط قواعد سلامتها بنصوص تنظيمية، كما أخضع القانون المنظم مستغل السد لإعداد مخطط لتدبير مياه الحقينة يؤمن سلامة هذه المنشأة...²³.

رابعاً: الماء في دستور 2011م : حق من حقوق الإنسان

غير خاف أن حق الإنسان في الماء هو حق أساسي لا يمكن الاستغناء عنه للعيش عيشة كريمة، وهو حق مشروع يستمد مشروعيته من نصوص الوحي، فكما هو معلوم شرعاً وفقها أن الماء غير المملوك هو للناس جميعاً وهم فيه شركاء، وقد دل على هذا حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء، والكلاء، والنار، وثمرته حرام »، قال أبو سعيد: « يعني الماء الجاري »²⁴.

ولا شك أن لكل فرد من أفراد المجتمع الحق في الحصول على كمية من الماء كافية ومأمونة؛ "لأن الله تعالى لم يخلق الماء لبشر دون بشر، ولا لجنس دون جنس، ولا للون دون لون، ولا لقارة دون قارة، ولا لدين دون دين، بل خلقه الله سبحانه وتعالى لعباده البشر"²⁵.

ومن هنا جاء التأكيد في دستور المملكة المغربية الشريفة لعام 2011م على أن الحصول على مورد الماء حق من حقوق الإنسان، كما جاء في الفصل 31 منه والذي نص على أن: "تعمل الدولة والمؤسسات العمومية والجماعات الترابية، على تعبئة كل الوسائل المتاحة، لتيسير أسباب استفادة المواطنين والمواطنات، على قدم المساواة، من الحق في: ... الحصول على الماء والعيش في بيئة سليمة..²⁶".

23 - ينظر العدد 6466 من الجريدة الرسمية بتاريخ 12 شعبان 1437هـ/ 16 ماي 2016م، ص: 3872.

24 - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الرهون، باب: المسلمون شركاء في ثلاث، رقم: 2472. واللفظ له، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب: البيوع، باب: في منع الماء، رقم: 3477.

25 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي لجلالة الملك المغفور له الحسن الثاني في افتتاح الأيام الدراسية التي نظمها المجلس الأعلى للماء، الرباط: الخميس 10 شوال 1408هـ، 26 مايو 1988م.

26 - ينظر العدد 5964 مكرر، من الجريدة الرسمية، بتاريخ، 28 شعبان 1432هـ، 30 يوليو 2011م ص: 3601، (الفصل 31: ص: 3606-3607) /ظهير شريف رقم 1.11.91 بتاريخ 27 شعبان 1432هـ، 29 يوليوز 2011م بتنفيذ نص الدستور.

رابعاً: شرطة المياه والملك العام المائي: مراقبة ومحافظة

كما لا يخفى أن الأصل في المياه الطهارة والتطهير؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾²⁷، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾²⁸.

وقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام على طهارة الماء، وأمر بالحفاظ عليه من التلوث؛ فتوجيهاته عليه الصلاة والسلام في هذا الباب بليغة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء»²⁹.

وعن معاذ بن جبل قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق »³⁰. وهو حديث في بيان الحفاظ على الماء الراكد والجاري.

ولما كان الأصل في مياه الأرض كلها: العيون والآبار، والأنهار، أن تكون طاهرة وتجب المحافظة عليها من التلوث وصيانتها من الأقدار، فإننا نجد العمل على هذا جارٍ وقائماً فقها وقانوناً وواقعاً.

ولا شك أن التنصيص على "شرطة المياه" ضمن القانون الجديد المتعلق بالماء، هو استمداد من نصوص الشريعة الإسلامية الداعية إلى الحفاظ على الثروة المائية وترشيد استعمال الماء، وهو كذلك امتداد لعمل المحتسب في التراث الإسلامي، والذي كان له الأثر الجوهري في العناية بالموارد المائية وفي الحفاظ على الثروة المائية من التلوث.

ويعهد لأعوان شرطة المياه، -بمقتضى قانون 36.15 المتعلق بالماء- بتدبير ومراقبة الملك العام المائي، وتحصين الثروة المائية الوطنية من كل استعمال أو استغلال غير مرشّد، حيث تنص المادة 131 منه على أنه: "يعهد بمعاينة المخالفات لمقتضيات هذا القانون ونصوصه التطبيقية وتحرير المحاضر في

27 - سورة الفرقان، جزء من الآية 48.

28 - سورة الأنفال، جزء من الآية 11.

29 - أخرجه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء السراج والنار عند النوم، وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم: 2014.

30 - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب: النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، رقم 328.

شأنها، علاوة على ضباط الشرطة القضائية المشار إليهم في القانون المتعلق بالمسطرة الجنائية، إلى أعوان شرطة المياه المعنيين لهذا الغرض من طرف الإدارة ووكالات الأحواض المائية والمؤسسات العمومية الأخرى المعنية، والمحلّفين طبقاً للتشريع المتعلق بأداء القسم من طرف الأعوان المكلفين بتحرير المحاضر.

تحدد شروط وكيفيات تعيين هؤلاء الأعوان ومزاوالتهم لمهامهم بنص تنظيمي³¹.

٤٥ خامساً: الأمن المائي في سياق النموذج التنموي الجديد: رهانات وتحديات.

أ- سياق النموذج التنموي الجديد

لقد جاء النموذج التنموي الجديد إثر وقفة تأمل ومراجعة للسياسة التنموية، فبعد الوقوف على الصعوبات التي تواجه النموذج التنموي في سياق الوضع الحالي، ورصد الاختلالات الكائنة دعا جلالة الملك محمد السادس نصره الله الحكومة والبرلمان ومختلف المؤسسات المعنية لإعادة النظر في هذا النموذج، حيث قال في الخطاب السامي: "... إذا كان المغرب قد حقق تقدماً ملموساً، يشهد به العالم، إلا أن النموذج التنموي الوطني أصبح اليوم، غير قادر على الاستجابة للمطالب الملحة، والحاجيات المتزايدة للمواطنين، وغير قادر على الحد من الفوارق بين الفئات ومن التفاوتات المجالية، وعلى تحقيق العدالة الاجتماعية.

وفي هذا الصدد، ندعو الحكومة والبرلمان، ومختلف المؤسسات والهيئات المعنية، كل في مجال اختصاصه، لإعادة النظر في نموذجنا التنموي لمواكبة التطورات التي تعرفها البلاد.

إننا نتطلع لبلورة رؤية مندمجة لهذا النموذج، كفيلة بإعطائه نفساً جديداً، وتجاوز العراقيل التي تعيق تطوره، ومعالجة نقط الضعف والاختلالات، التي أبانت عنها التجربة³².

هذه الأسباب إذن أعطى جلالته أعزه الله تعليماته السامية لمراجعة النموذج التنموي وبلورة نموذج تنموي جديد ناجع وفعال، يستجيب لحاجيات المغاربة، ويحقق العدالة الاجتماعية والمجالية المنشودة، ويواكب التطورات والمستجدات التي يعرفها المغرب والعالم: "... لقد وقفنا في خطابنا

31 - ينظر العدد 6494 من الجريدة الرسمية، 21 ذو القعدة 1437هـ/ 25 أغسطس 2016م، ص: 6305.

32 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي الذي وجهه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، بمناسبة ترؤس جلالته لافتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثانية من الولاية التشريعية العاشرة، الرباط: الجمعة 13 أكتوبر 2017م.

الأخير أمام البرلمان، على معيقات نموذجنا التنموي، ودعونا إلى القيام بمراجعة جماعية تعيد النظر فيه.

فقد تبين أن هذا النموذج، الذي ساهم في تحقيق العديد من المكاسب والمنجزات الاقتصادية والاجتماعية الملموسة، لم يعد قادرا على الاستجابة للمطالب والحاجيات المتزايدة للمواطنين، ولا على الحد من الفوارق الاجتماعية والتفاوتات المجالية، وبالتالي على تحقيق العدالة الاجتماعية.

إننا نتوخى من الدعوة لمراجعة هذا النموذج، أكثر من مجرد إصلاحات قطاعية معزولة، إعادة ترتيب بعض الأوراش الاقتصادية والبرامج الاجتماعية.

وإنما نتطلع لبلورة رؤية مندجة للنموذج السياسي والاقتصادي والاجتماعي ببلادنا، ولمنظومة الحكامة المركزية والترابية، في كل أبعادها، بما في ذلك المنظومة القانونية التي تؤطره؛ رؤية كفيلة بإعطائه دفعة قوية، وتجاوز العراقيل التي تعيق تطوره، ومعالجة نقط الضعف والاختلالات، التي أبانت عنها التجربة³³.

وإثر ذلك كلف حفظه الله تعالى لجنة تنكب على إعداد مشروع تنموي: "لذا قررنا تكليف لجنة خاصة، مهمتها تجميع المساهمات، وترتيبها وهيكلتها، وبلورة خلاصاتها، في إطار منظور استراتيجي شامل ومندمج؛ على أن ترفع إلى نظرنا السامي، مشروع النموذج التنموي الجديد، مع تحديد الأهداف المرسومة له، وروافد التغيير المقترحة، وكذا سبل تنزيله"³⁴.

وبعد دراسة جدوى مستفيضة قدم رئيس اللجنة المكلفة بإعداد المشروع تقريرا أمام جلالة الملك نصره الله بالقصر الملكي بفاس، يوم الثلاثاء 25 ماي 2021م، وأكد التقرير العام للنموذج التنموي الجديد على "أن المغرب يعاني نقصا حادا في الموارد المائية ما فتئ يتزايد، وتشكل ندرة المياه تهديدا مباشرا للتوازنات الاقتصادية والبيئية والاجتماعية لبلادنا، خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة، وكذا في المناطق التي يعتمد دخل ساكنتها بشكل كبير على الموارد المائية. ومن هذا المنطلق، يعتبر مشكل المياه من بين المسائل المستعجلة التي يتعين معالجتها، وذلك من خلال اعتماد مقاربة

33 - مقتطف من الرسالة الملكية السامية التي وجهها جلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى المشاركين في المنتدى البرلماني الدولي الثالث للعدالة الاجتماعية، الاثنين 19 فبراير 2018م.

34 - مقتطف من الخطاب الملكي السامي الذي ألقاه صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، أمام أعضاء مجلسي البرلمان بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الثالثة من الولاية التشريعية العاشرة، الرباط: الجمعة 12 أكتوبر 2018م.

تراعي ندرة الماء بشكل ممنهج وتجعل مسألة الحفاظ عليه - على المدى الطويل لفائدة الأجيال الحالية والقادمة - من بين الأولويات"³⁵.

ب- الأمن المائي ضمن أهداف النموذج التنموي الجديد

لقد شكل "مشروع الماء" جزءا من استراتيجية النموذج التنموي الجديد، وحدد هدفه في :
"تحسين الأمن المائي للبلاد وإرسائه على أسس متينة ومستدامة"³⁶.

ويستند هذا المشروع إلى مبادئ دستور المملكة الذي اعتبر، في فصله الواحد والثلاثين، الحصول على الماء حقا من الحقوق الأساسية للمواطنين والمواطنات.

كما ينسجم المشروع المتعلق بإصلاح قطاع الماء مع طموح النموذج التنموي الجديد الذي يؤكد على الاستعمال العقلاني للموارد المائية، أخذا بعين الاعتبار ندرتها وضرورة تأمينها والحفاظ عليها للأجيال القادمة.³⁷

ت- خيار استراتيجي ومداخل عملية:

لقد أوردت لجنة النموذج التنموي الجديد مسألة الحفاظ على الموارد المائية ضمن الخيار الاستراتيجي الخامس، وذلك من خلال تامين أفضل لها، وتدبير أكثر صرامة لندرتها لفائدة الأجيال الحالية والأجيال المقبلة.

وقد اعتمدت لتحقيق ذلك جملة من المداخل الأساسية لتعزيز سياسة فعالة لتعبئة الموارد المائية، وهي:

- إحداث وكالة وطنية لتدبير الماء،
- إدماج البنيات التحتية لتعبئة المياه ضمن تكلفة هذا المورد،
- استقلالية قطاع الماء،
- اعتماد تسعيرة منسجمة تعكس القيمة الحقيقية للماء وتحث على عقلنة الاستعمالات،
- تعبئة الموارد غير التقليدية، والحفاظ على المياه الجوفية...

35 - ص: 127 من التقرير العام للنموذج التنموي الجديد، الذي قدم أمام جلالة الملك محمد السادس نصره الله، فاس، 25 ماي 2021م.

36 - ينظر: مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد، (مشروع الماء) ص: 217.

37 - ينظر: مجموع المذكرات الموضوعاتية والرهانات والمشاريع المقترحة في إطار النموذج التنموي الجديد، (مشروع الماء) ص: 217.

ختاما

هذه إذن بعض الإشارات التي تجلي العناية والاهتمام بمورد الماء باعتباره محور الحياة وأساس العمران، وتبرز نجاعة السياسة المائية الوطنية، وأثرها في تأمين المخزون المائي سواء للاستعمال اليومي، أو الاستخدام في مجال السياسة الهيدروفلحية والطاقة الهيدروليكية...

وإن الرهان اليوم - في ظل ندرة المياه وإشكالاتها في عالم يعرف تغيرات مناخية غير مسبقة - هو رهان اقتصادي ورهان اجتماعي...؛ لأن تحقيق الأمن المائي هو مدخل للأمن الغذائي، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، والأمن البيئي، والأمن السياسي... وسبيل الاستقرار والاستمرار.

حيوان العمد

مِنْ وَحْيِ ثَوْرَةِ الْمَلِكِ وَالشَّعْبِ وَعِيدِ الشَّبَابِ الْمَجِيدِ

شعر: ذ. محمد البلغمي - فاس.

لَا وَلَا أَبْغِيهِ قَوْلًا مَعَادَا
وَشُعُورًا يَحْتَلُّ مِنِّي الْفُؤَادَا
جَاءَ فِي الشَّعْرِ طَائِعًا مُنْقَادَا
لِلْمَعَالِي وَلِلْفَخَارِ مَهَادَا
عَاشَ دَوْمًا إِلَى الْعُلَى مُرْتَادَا
عَلَّمَ النَّاسَ ثَوْرَةَ وَجْهَادَا
تَنَشَّرَ الْبُؤْسَ بَيْنَهَا وَالْفَسَادَا
لَيْسَ تُؤْوِي حُصُونُهَا الْآسَادَا
وَوُرُودُ الْمَنَى تَعُودُ قَتَادَا
لَمْ يَطِبْ لِلْعَدُوِّ فِيهِ رُقَادَا
مُسْتَعِدِّينَ لِلْفِدَى اسْتِعْدَادَا
لَمْ تَنْلُ مِنْهُ بُغْيَةً أَوْ مُرَادَا
فَأَبَى عَرْضَهُمْ .. وَشَاءَ بَعَادَا
لَسْتُ أَرْضَى عَمَّا عَزَمْتُ ارْتِدَادَا
وَجَعَلْتُمْ مِنَ الْهَلَالِ قِلَادَا
أَوْ تَنَاسَيْتُمْ عَنْهُدَهُ وَالْوِدَادَا
لَسْتُ أَخْشَى مَوْتًا وَلَا إِبْعَادَا
يَمْلَأُ السَّهْلَ صَوْتُهَا وَالنَّجَادَا

مَا نَظَّمْتُ الْقَرِيضَ يَوْمًا عِنَادَا
إِنَّمَا الشَّعْرُ جَذْوَةٌ بِدِمَائِي
كُلَّمَا رُمْتُ نَظْمَهُ فِي بِلَادِي
يَا بِلَادِي، يَا مَوْطِنَ الْعِزِّ عِشْيِي
حَدَّثِي النَّاسَ عَنْ بَطُولَةِ شَعْبِي
وَاحْكِي يَا غُشْتُ عَنْ مَلَا حِمِّ عَرْشِي
يَوْمَ جَارَتْ عَلَى الْبِلَادِ فَرَسَا
ظَنَنْتِ الْأَرْضَ كَالْخَلَاءِ مُشَاعَا
فَإِذَا حُلْمُهَا يَصِيرُ هَبَاءَا
وَإِذَا الْأَرْضُ تَسْتَحِيلُ جَحِيمَا
وَجَدْتُ فِي الْبِلَادِ عَرْشًا وَشَعْبَا
حَاوَلْتُ فَضْلَهُ عَنِ الشَّعْبِ لَكِنْ
سَاوَمُوا مَلَكْنَا بِكُلِّ ثَمِينِ
قَالَ لِلْغَادِرِينَ: لَا بِإِعْتِزَا
لَوْ وَضَعْتُمْ بِمَفْرِقِي الشَّمْسَ تَاجَا
مَا تَخَلَّيْتُ عَنْ مَطَالِبِ شَعْبِي
فَاَفْعَلُوا مَا بَدَا لَكُمْ بِحَيَاتِي
وَسَرْتُ ثَوْرَةَ الْمَلِكِ نِدَاءَا

أَهْبَيْتُ لِلْفِدَى أَشُودَ بِلَادِي
كَمْ أَذَاقُوا سَمَاسِرَ الْغَدْرِ هَوْلًا
وَهَبُّوا الرُّوحَ لِلْبِلَادِ فِدَاءً
لَمْ يَلْنِ عَزْمُهُمُ لِلْغَايِبِ حَتَّى
وَأَعَادُوا لَنَا ابْنَ يُوسُفَ حُرًّا
أَيُّهَا الْخَامِسُ الْعَظِيمُ سَلَامًا
سَوْفَ تَبْقَى مَدَى الْحَيَاةِ مَنَارًا
وَسَيَبْقَى ابْنُكَ الْعَظِيمُ الْمُشْتَى
إِنْ يَكُنْ رَبَّنَا اضْطَفَاهُ لِحُلْدٍ
بَاقِيًا فِي مُحَمَّدٍ مَنْ تَوَلَّى
شَرَّفَ الْعَرْشَ بِاسْمِهِ إِذْ عَالَاهُ
مَا رَأَيْنَا كَالسَّادِسِ الْخُرَّ شَهْمًا
وَيُضْحِي لِأَجْلِ شَعْبِهِ حَتَّى
يَا مَلِيكَ أَنْحِيَا بَعِيدَهُ عَنْهَا
فَتَقَبَّلْ مِنْ شَعْبِكَ الْخُرَّ حَبًّا
وَدُعَاءَ مَنْ الشَّيْبَةِ تَرْجُو
يَا إِلَهِهِ أَطْلُ لَنَا عُمَرَ مَلِكٍ
وَلْتَوْفِّقْ وَلِيَّ عَهْدِهِ، وَامْنَحْ
وَأَدِّمْ صِنُوهُ الرَّشِيدَ وَصْنَهُ
وَهَبِ الْخُلْدَ مَنْ لَأَجْلِنَا مَاتُوا

فَتَنَادَوْا جَمَاعَةً وَفُرَادَى
وَبِعَزْمِ كَمْ جَنَدُوا أَوْغَادًا
وَأَسْتَطَابُوا لِأَجْلِهَا اسْتِشْهَادًا
كَسَرُوا عَنْ بِلَادِي الْأَصْفَادَا
يَحْمِلُ النَّصْرَ لِلْحَمَى وَالْمُرَادَا
فَاحَ طَيِّبًا يُنَافِسُ الْأَوْرَادَا
يُلْهِمُ الشَّعْبَ حِكْمَةً وَقِيَادَا
بَطْلًا حَرَّرَ الصَّحَارَى وَشَادَا
فَهُوَ مَا زَالَ يَسْكُنُ الْأَخْلَادَا
بَعْدَهُ الْأَمْرَ مُخْلِصًا فَأَجَادَا
خَيْرٌ سَبْطُ، وَشَرَّفَ الْأَجْدَادَا
دُونَ سُؤْلِ يُقَدِّمُ الْإِنْجَادَا
يَبْلُغُ الشَّعْبُ فِي الْعُلَى مَا أَرَادَا
وَكَانَ ابْنُ يُوسُفَ قَدْ عَادَا
مِنْ قُلُوبٍ تُبَارِكُ الْمِيلَادَا
لَكَ نَصْرًا وَرَفْعَةً وَرَشَادَا
قَدْ حَمَى دِينَنَا وَصَانَ الْبِلَادَا
لَهُ فَوْزًا فِي خَطْوِهِ وَسَدَادَا
لَهُ دَوْمًا فِي الْمُعْضَلَاتِ عِمَادَا
شُهَدَاءَ، فَأَنْتَ نَعْمَ الْمُنَادَى

ذكرى ثورة الملك والشعب ذكرى المفاخر والوطنية الحق

شعر: ذ. مولاي أحمد هشامي- مكناس

حمداله، لسوابغ النعماء
يترى مدى الأزمان والأنحاء
نور الإله: يشع في الظلماء
ولعاهلي، حبي، دوام ولائي
مالي بديل عنه في الغبراء
ليصيب أهل العز في الأحشاء
شر الغوائل منتهى الأعداء
وعثوا فسادا في ربى الغبراء
قد قتلوا، قد عذبوا بجلاء
قد شردوا الأحرار في الأرجاء
لكيانهم أسمى وخير بناء
وخيانة تبدو بدون حياء
لا حق، لا إنصاف في الأنحاء
أقوى سعار، ثورة الأعداء
ظنوا بأهل وهدة الإخساء
دان لقطف، سائب الإهداء
جسم، تلاشى، شل بالأدواء
قد جرعوا مرا، برقم الياء
من خيرة الشجعان في الغبراء
ومطالبها بعدالة الأعداء
ليناشر السلطان في الأنحاء
ليزعزع الأعداء في الأحشاء

حمدالمولانا على السراء
أسدى من المعروف أقصى مده
ثم الصلاة على النبي المجتبى
ولمغرب الأحرار كل محبتي
وطني محط محبتي وهيامي
ولذاك رام الخصم سدة عزه
الظلم يسعى أهله لفناء
ظلموا، تعدوا كل حد في الدنى
استعمروا، بل دمروا، وتجبروا
نخروا اقتصادا، أهلكوا أهل النهى
جاءوا لإفساد، وهدم كياننا
مكر، خداع، ثم غدر صارخ
للكره والخذلان يسعى جمعهم
بغض دفين، زاده حب الأنسا
ظنوا بمغربنا ظنوننا هشة
ظنوا بأن الأمر سهل، سائب
ظن العدى كيدا، إذا هم قسموا
والعكس، كل العكس، يبدو طافحا
آلام بشر، شحذت بغضا لهم
ثار ابن يوسف، كالهزبر، مزجرا
ليثور هذا الشعب، بكرة يومه
ليضارع الظلم المقيت بقوة

لمضاجع قد أقلت، بدهاء
ظنوا الخنوع لهم، بكل جلاء
أبطال حرب، خيرة الأبناء
هد لتخطيط لدى الأعداء
ولآله، غزرا بلا إحصاء
كرسوخ طود شامخ الأعضاء
أهدى الحياة لشعبه بوفاء
كيد العدى والبغي والرعناء
تحرير شعب رافض لعداء
في فك أوصال لشعب راء
نفث لسم داخل الأحشاء
حرب ضروس تنتهي بولاء
نحن التقاة، رواسخ الإخفاء
فولاذنا تهشيمها بولاء
تدير سلطان بكل نقاء
تنويره لحوالك الأبناء
في غفلة عن خسة الأعداء
صار الجميع الجندي الأنحاء
نلنا التوفيق في ربى الأنحاء
إبعاد طود الملك والإنماء
زنوه إبراماً بكل دهاء
فيض العناد، محينا بنماء
أنا جنود الملك في الأرجاء
صدق، وفاء، شفعا بولاء
الموت رافعة إلى الأرضاء

ووثيقة رفعت لفك حصارنا
لاقوا مقاومة الشراسة، كلما
إن الأشاوس ناهضوا كيد العدى
ملك همام، فاضل، إخلاصه
أغروه بالأموال، إمتاعاله
هيهات، فالشهم الغيور مقاوم
إن ابن يوسف صادق وموفق
لا، لا بديل عن التحرر من لظى
هدف وحيد لا بديل بغيره:
زادت مكايدهم شعاعاً، فكروا
زرع لأحقاد تصدع صفتنا
نزعات أعراق تشتت شملنا
لكننا لسنا بعرق نحتفي
أحجارهم رغم الصلابة، هشّة
شبت مقاومة بكل شراسة
تأطيره، توجيهه، تخفيه
علماءنا هبوا للتوعية الألى
كل تفتن للمكيد كلها
شبت حروب، سعرت نيرانها
عاد العدى لكيد، هاهم قرروا
قاموا بنفي غادر ومكيّدة
ظن الخصوم بأنهم لن يغلبوا
ولقد نسوا إيماننا وثباتنا
إخلاصنا للعرش أمر ثابت
إننا نرود الموت، نرجو نيله

فهرس العدد:

افتاحية 5

ملف العدد

- المقاومة المغربية وأثرها في تحرير المغرب من الاستعمار، الشهيد محمد الزرقطوني نموذجاً
(1927- 18 يونيو 1954م)

ذ. أباسيدي أمراني علوي (كلية الآداب - مكناس) 7

- العمق التاريخي للمغرب المتجدد، قراءة في مسارات الدولة المغربية

ذ. سمير بوزويطة (عميد كلية الآداب سايس - فاس) 19

- مفهوم البيعة في الإسلام وعلاقتها بالإمام والأمة

ذ. أحمد الأزمي (فاس) 33

- الأبعاد الاجتماعية لثورة الملك والشعب

ذ. أحمد بوزيدي (كلية الآداب - مكناس) 41

- ثورة الملك والشعب قوام الوحدة والتلاحم وأساس التنمية والتقدم

ذ. إبراهيم بنزيدي (عضو المجلس العلمي المحلي لعمالة

مقاطعة عين الشق) 45

- العرش العلوي المجيد: تاريخ من الجهاد والنضال المشترك
 ذ. وسام شهير (كلية الآداب - وجدة) 51
- الإعلام وثورة الملك والشعب، صورة محمد الخامس في القمر، قراءة في الرواية
 ذ. محمد امراني علوي (الكلية المتعددة التخصصات - الرشيدية) 59
- ثورة الملك والشعب وانتقال العمل الوطني من المقاومة السياسية إلى العمل المقاومة المسلحة
 ذ. سعيد عبيدي (الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين، فاس -
 مكناس) 73
- ثورة الملك والشعب بين الدفاع عن الهوية وتحقيق الاستقلال
 ذ. عمر الحنافي (مركز التوثيق والأنشطة الثقافية بمكناس) 85
- التربية والتعليم في المغرب من الاستقلال إلى المرحلة الراهنة
 ذ. محمد الحجوي (سلا) 99
- البعد المقاصدي في الفكر الحسني
 ذ. عبد الرحمن بوعلي (المركز الجهوي للتربية والتكوين -
 العيون) 111

مقالات داعمة

- الأمن المائي في العهد العلوي الزاهر، من سياسة السدود إلى النموذج التنموي الجديد،
 مكتسبات ورهانات مغرب الغد
 ذة. ناجية أقجوج (جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس) 121

ديوان العدد

- من وحي ثورة الملك والشعب وعيد الشباب المجيد

شعر: ذ. محمد البلغمي (فاس) 145

- ذكرى ثورة الملك والشعب ذكرى المفاخر الوطنية الحققة

شعر: ذ. مولاي أحمد هشامي (مكناس) 147

شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

■ أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلماً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.

■ أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.

■ ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.

■ في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.

■ في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.

■ تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.

■ ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.

■ البريد الإلكتروني هو : alamihamid49@gmail.com

■ ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

■ الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.

■ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

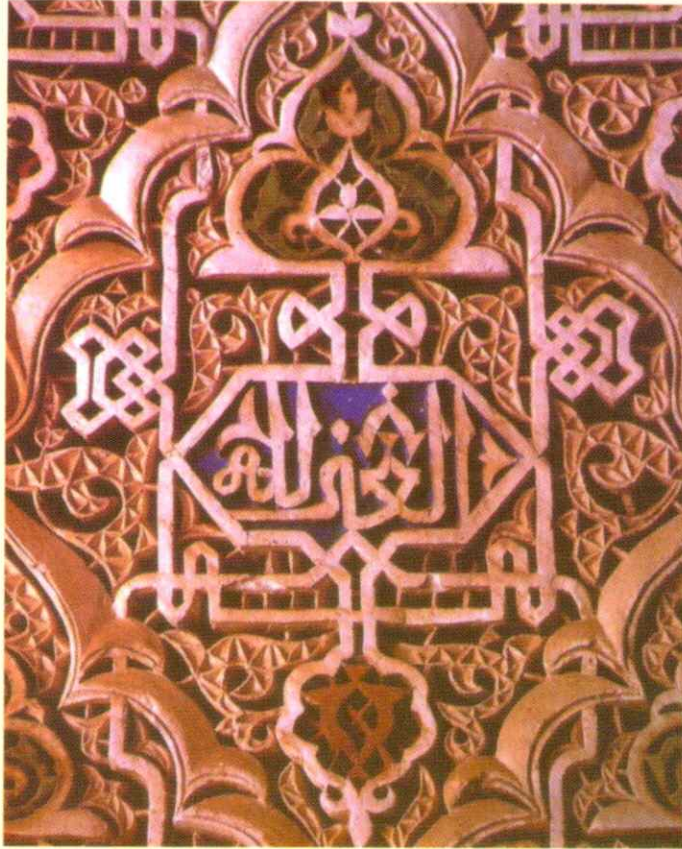
ملف العدد المقبل:

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد الموضوعين الآتيين:

1 - الشرائع المحمدية في الكتابات المغربية.

2 - المقاصد الشرعية لدى علماء المالكية.





دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والعمر
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية